الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: التاريخ

الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

على ضوء المصادر المحلية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: سالم بوتدارة

إشراف الأستاذ الدكتور: حنيفي هلايلي

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
د. عبد القادر صحراوي	أستاذ محاضر "أ"	رئيساً	جامعة سيدي بلعباس
أ.د.حنيفي هلايلي	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة سيدي بلعباس
د. مصطفى حجازي	أستاذ محاضر "أ"	مناقشاً	جامعة معسكر
أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً	جامعة غرداية
د. عبد الحق شرف	أستاذ محاضر "أ"	مناقشاً	جامعة تيارت
د. قادة الأحمر	أستاذ محاضر "أ"	مناقشاً	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية:

1436-1437هـ/2015- 2016م

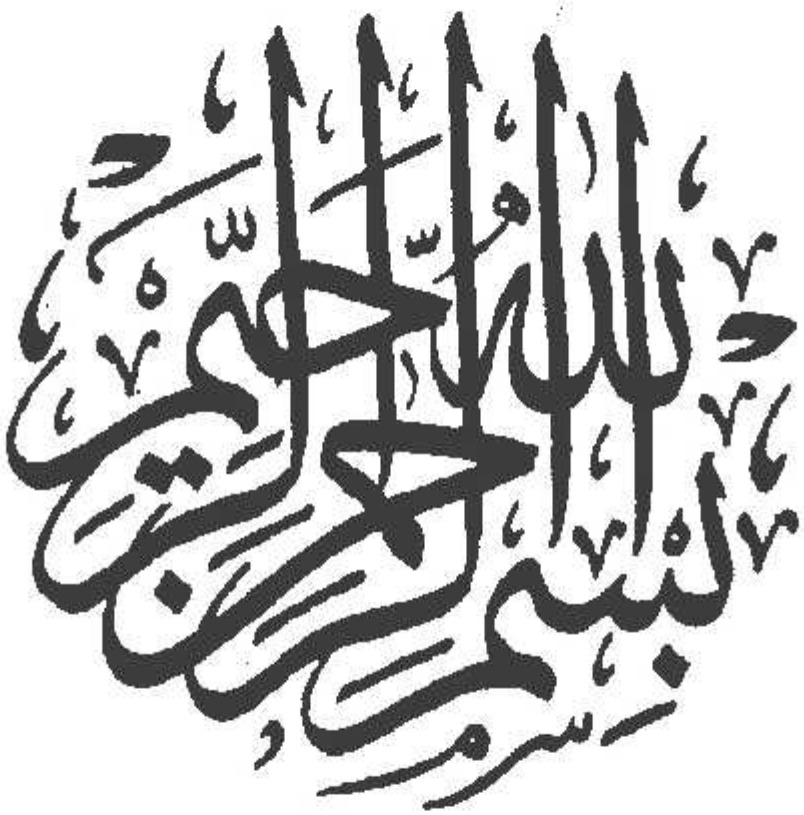

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

يوسف:الآية111

" إني رأيتُ أنه لا يكتب إنسانٌ كتابا في
يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان
أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسَن
ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا
لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو
دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

العماد الأصفهاني

الإهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضلهما

إلى والديَّ العزيزين أدامهما الله لي

إلى إخوتي وأخواتي سندي في الحياة ولا أحصي لهم فضلا

إلى مصابيح الهدى وأنوار الحجى مشائخي الأجلاء بمنطقة توات

إلى زملاء الدراسة والتدريس

إلى كل الأصدقاء ورواد العلم ببلدنا الحبيب

إلى كل غيور يبتغي صلاح الأمة

أهدي هذا الجهد المتواضع

سالم

كلمة شكر

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ الأحقاف الآية: 15

فاللّهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

وما دام شكر الناس من شكر الله فإني أتوجه بجزيل معانيه وأسمى مبانيه إلى

أستاذي الدكتور حنيفي هلايلي لتفضله بالإشراف على هذه الدراسة

ومرافقته لي طيلة مشوار البحث مرشدا وموجها وناصحا

والشكر موصول لأخي وصديقي الدكتور بن عتو حمدون

على مجهوداته التي بذلها لأجلي المستمرة واللاّمتناهية

كذلك للأستاذ الجواد الكريم محمد مولاي

ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث

إلى النور بالدعاء

الخالص وبالكلمة

الطيبة

المختصرات والرمـــوز

1- المختصرات باللغة العربية

*د.ن: دون دار نشر

*دط: دون طبعة

*دت: دون تاريخ

*ط: الطبعة

*مر: مراجعة

*ج: الجزء

*تح: تحقيق

*م: ميلادي

*هـــ: هجري

*د.م: دون مكان نشر

*ع: العدد

2- المختصرات باللغة الفرنسية:

* édit. : édition

* Ibid. : Remplacer une référence déjà donnée, mais à condition qu'elle soit citée dans le renvoi précède immédiatement.

* Imp. : Imprimerie.

* Op : Cit. : Précédé du nom de l'auteure, renvoie à une étude à article de cet auteur déjà mentionné plus haut.

* T : Tome.

* Trad. : Traduction.

المقدمة

لم تنل الدراسات التاريخية المهتمة بالجانب الحضاري للأمم والشعوب حظّها الأوفر من البحوث العلمية مقارنةً بما نالته نظيرتها المهتمة بالشقّ السياسي، ذلك أنّ اهتمام كثير من المؤرخين المتقدمين وبعض الباحثين المعاصرين اقتصر على أصحاب العروش والتيجان، بينما غُيِّبت شرائح المجتمع الأخرى من العلماء والعامة، ولكنّ هذه المعادلة بدأت تتغيّر نتيجة تطور حقول المعرفة التاريخية، واتساع مجالات البحوث والدراسات الأكاديمية، وذلك باعتماد الباحثين على المصادر المخطوطة المتنوعة المواضيع كالفقه والأحكام والنوازل وفهارس الشيوخ، واستنباط رؤية تاريخية من خلال مواضيعها، تُبلوَر في دراسة علمية لجانب من جوانب التاريخ الحضاري.

والباحث في تاريخ العلم والعلوم كجزء هام من التاريخ الحضاري، يدرك أهمية المصادر المحلية في دراسة منطقة بعينها، ذلك أنّ المصادر المحلية لأيّة منطقة هي لسانُ حالها الذي يُترجم أوضاعها المختلفة.

التعريف بموضوع البحث:

انطلاقا من تلك المعطيات تبلوَرت لديَّ فكرة إعداد دراسة ثقافية عن الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، استنادا إلى المصادر المحلية، وسـمْتُها بعنوان "**الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية**".

وهي دراسة تهدف في مجملها إلى التعريف بواقع الحياة العلمية في المنطقة خلال الفترة الحديثة، اعتمادا على ما تضمّنته المصادر المحلية المخطوطة من دلالات وإشارات ثقافية، وعلى ما رصدته من جهود علمية، دون إغفالٍ لطبيعة المنطقة الجغرافية، وإسهاماتها وعلاقاتها بامتداداتها الجغرافية ومجالها السياسي وبُعدِها الحضاري، كل ذلك من خلال الاهتداء بضوء

المخطوطات المحلية التي هي مصادر نفيسة قيّمة، جامعة للعلوم المختلفة، عاكسة لأوضاع المجتمع وتقلّباته، مصوّرة لمكوّناته وفعالياته، دالّة على أعلام المنطقة وتنافسهم في الفكر والاجتهاد.

وعالجتْ الدراسة في جوانبها نموذجا للصراعات الدائرة في المنطقة وخلفيتها التاريخية، نتيجة التطلّعات العثمانية ومحاولات الإستقطاب من طرف السعديين ثم العلويين بالمغرب الأقصى، إضافة إلى محاولة رسم صورة للأوضاع الاقتصادية والأحوال المعيشية للسكان، وتأثيرات التيارات المذهبية والفكرية على حياتهم.

دوافع اختيار الموضوع:

جاء اختياري لموضوع " الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية" نتيجة تراكم جملةٍ من الأسباب والدوافع الموضوعية والشخصية، أهمّها:

- تِبيان أهمية المصادر المحلية خاصة التي لا تزال مخطوطة منها في إثراء الدراسات التاريخية، واعتبارها مصادر لتاريخ المنطقة، على غرار مخطوط فهرسة التنيلاني، ونوازل الزجلاوي، وجوهرة المعاني للتمنطيطي، والدّرة الفاخرة للمهداوي.
- إثراء دراسة الحياة العلمية بمنطقة توات إبان الفترة الحديثة من خلال دراسة شاملة للفترة المذكورة، وذلك بعدم الإقتصار على مرحلة منها دون أخرى، حيث أنّ الدراسات التي تناولت الحياة العلمية بتلك المنطقة – وهي قليلة- ركّزت على القرن 12هـ لإزدهار العلوم فيه بينما غيّبت الفترات التي سبقته أو التي أعقبته من العصر الحديث.
- المساهمة في نفض الغبار عن المصادر المحلية المخطوطة، وتمكين الباحثين الدارسين من التّعرف على مظانّها والإطّلاع عليها والإستفادة منها، كلّ في مجاله.

- إبراز مكانة توات كحاضرة علمية في قلب الصحراء كانت لها مميزاتها ومكانتها العلمية مثل بقية الحواضر الكبرى كتنبكتو وشنقيط وتلمسان وفاس، مكّنها من ربط علاقات بين الشعوب الإفريقية، وكان الوجه الأبرز فيها هو الوجه العلمي.
- إثراء وتنويع الكتابات التاريخية حول المنطقة، وإبراز دور الدراسات المحلية باعتبارها رافدا من روافد المعرفة وَلبِنة في صرح التاريخ الوطني والمغاربي.
- التأكيد على دور البحوث الجامعية في إثراء الحياة الثقافية، وتسليط الضوء على أعلام الثقافة والمعرفة بالمنطقة، والانخراط في مسيرة الحركة العلمية المنبعِثة، الهادفة إلى الخروج بذاكرة الجنوب الجزائري من دائرة النسيان، ورفوف الخزائن التقليدية.
- قناعتي بأن الدّراسات المحلية تكون أكثر دقّة وعمق إذا تحلّت بالموضوعية.
- إيماني الراسخ أنّ خدمة أيّ نوع من أنواع التراث في أيّ منطقة من الجزائر، هو خدمة لإرثنا الوطني، وإسهام في إبراز شخصيتنا الوطنية، وتعريف بمنتوجنا الحضاري. يتطلّع كل مخلِص أن يحظى بشرف المشاركة فيه.

إطار البحث:

أما عن الإطار المكاني للدراسة فهو الجنوب الجزائري بالحدود الجغرافية الحالية، وقد جعلتُ من منطقة توات –أدرار حاليا– بأقاليمها الثلاثة: توات، قورارة وتيدِكّلت، نموذجا للدّراسة، وعن الإطار الزماني فقد جعلتُ ما يُقابل الفترة العثمانية في الجزائر الممتدة من 1518م حتى 1830م هي الحدود الزمانية للدراسة مع مراعاة ما قد تقتضيه طبيعة الدراسة من إلقاء الضوء بين الفينة والأخرى على ما يسبق الفترة المدروسة بقليل.

ولا يمكن بحال من الأحوال عزل هذا المعطى الزماني "الفترة الحديثة" عن امتداداتها في الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء شمال بلاد المغرب وجنوب صحرائها، كتلمسان وفاس وسجلماسة وتونس والقيروان وطرابلس وبجاية والجزائر وقسنطينة وتمبكتو وغيرها، ولا عن

إسقاطاتها المكانية، بحكم وقوع المنطقة في مفترق تقاطع طريقين حضاريين، هما طريق القوافل التجارية عمودا، وطريق ركاب الحُجّاج أُفقا.

إشكالية البحث:

يسعى البحث في تفاصيله إلى طرحِ ومن ثَمّ معالجة إشكالية تاريخية ذات طابع ثقافي عبر التساؤلات التالية: هل عكست المصادر المحلية الحياة الفكرية بالمنطقة بتجلّياتها وحيثياتها؟ ثم ما هي الدلائل على تميّز هذه الفترة الزمنية من تاريخ المنطقة وهي الفترة الحديثة؟ وما هي المؤشرات الثقافية ذات الدلالات الإيجابية أو الدلالات السلبية التي طبعت الحِراك العلمي للمجتمع الصحراوي الجزائري؟ وما مدى إسهامات علماء المنطقة في تنشيط الحقل المعرفي والعلمي؟ وما حدود تلك الإسهامات والتأثيرات؟ وما مكان الزوايا العتيقة والعائلات العريقة في خضمّ ذلك النّشاط؟ وما مدى مساهمة كل من التجارة والرحلة والتصوف في إثراء العلاقات العلمية بين توات والحواضر العلمية بشمال وغرب إفريقيا؟.

مناهج البحث:

وأما عن مناهج البحث فقد اعتمدتُ منهجيةً تقوم أساساً على استعراض المادة التاريخية للمصادر المحلية، وتعضيد ذلك بالمصادر الأخرى العربية والأجنبية، ونظرا لطبيعة الدراسة المتمثلة في الحركة العلمية وخصوصياتها، فقد اعتمدتُ على المنهج التاريخي عبر بعض آلياته المرتبطة به أساسا، آثرتُ فيها تغليب آلية النقد المعتمد على الجانب التحليلي، وآلية الاستقراء القائم على رصد وتتبّع الأحداث، بينما تتبّعتُ آليَتي المقارنة والمقاربة بصفة أقل من سابقيهما.

فالآلية التحليلية جعلتُها سبيلاً لفهم المادة التاريخية التي تُتيحها المصادر وظروفها، ومن ثَمّ نقدها وتمحيصها، كما اتخذتُها وسيلة لترجمة الإشارات والمفاتيح العلمية الواردة في المخطوطات إلى صوَرٍ حيّة تعبّر عن الواقع الثقافي المعاش خلال الفترة الحديثة.

أما **آلية الإستقراء** فوظفتُها بغرض القيام بعملية استقراء شاملة للمعلومات والمعطيات التي تُتيحها دراسة الحركة العلمية، إذْ أنّ هذه الأخيرة توفّر كمّاً هائلاً من أسماء الأعلام والأماكن والمصنّفات، لا يُوَفّى الغرض منها إلا بعملية استقراءٍ لمختلف مصادرها المخطوطة والمطبوعة.

أما **آليتي المقارنة والمقاربة** فقد اعتمدتُهما للمقابلة بين الروايات والمعطيات التاريخية التي تمنحها لنا المصادر المحلية، ومقارنتها ببعضها البعض أو بمصادر أخرى، خاصة إذا وقع اختلاف في تفاصيل حدث ما، والإستعانة بالمقاربات التاريخية للوصول إلى بعض الحقائق، وفهم كُنه بعض الأحداث وتجلياتها.

صعوبات البحث:

وقد لاقيتُ في سبيل إنجاز هذه الدراسة صعاباً ومتاعب جمّة، يرتبط بعضها بمرحلة البحث عن المادة وجمعها، والبعض الآخر بمرحلة التحرّي والتّحقق والتركيب، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- طبيعة الدراسة القائمة أساسا على معطيات المصادر المحلية التي جلّها لا زال مخطوطا لم يُطبع بعدُ أو يُحقق، مما شكّل عبئاً إضافيا استلزم مني القيام بما يمكن اعتباره تحقيقا مرحليا جزئيا، انتهى في بعض الأحايين بخيبة أمل، نظرا لمحدودية ما يوفره من مادة علمية تتعلق بموضوع الدراسة.
- تناثر كثير من المعلومات المتعلقة بصلب البحث ضمن طيّات المخطوطات الفقهية والنوازل، مما جانب البحث – أحيانا- مساره التاريخي، ودفع بي مرات عديدة إلى مراجعة بعض الدراسات الفقهية واللغوية.
- غياب بعض المخطوطات التي لا أجد إلا اسمها أو بعض النتافات منها، وقلة المصادر والمراجع التي تترجم لبعض الأعلام الذين لا أجد إلا أسماءهم كذلك.

- مواجهة كلمات صعبة القراءة، يصعب ضبطها، وأخرى غير واضحة أو مبتورة، مما يستلزم استنتاجها قياسا ومقارنة، أو تقديرا واجتهادا.
- صعوبة الوصول إلى بعض المخطوطات أو حتى نُسَخها المصوَّرة، نتيجة السياسة الإحتكارية التي يعتمدها جلّ أرباب خزائن المخطوطات ونظرتهم لسعي الباحثين والدارسين المنقبين على التراث وكنوزه المعنوية، كما لو أنه سعيٌ نحو كنوز مادية، أو سلْبٍ لسلطة أو وصاية تاريخية، لطالما احتكرتها خاصةُ الخاصّة وحُرمت منها العامة.
- توزّع المخطوطات التواتية بين خزائن ومكتبات متباعدة الموقع والمسافة، مما يكلّف جهدا وعناءً في التنقل للإطلاع عليها، كالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، والمكتبة الوطنية بالمغرب، ومركز أحمد بابا بتنبكتو بمالي.

الدراسات السابقة حول الموضوع ونقدها:

إن الثراء الثقافي الذي عرفته منطقة توات في الفترة الحديثة جعلها تحظى بالعديد من الكتابات التاريخية من طرف الأكاديميين والشيوخ المجتهدين، إلا أن معظم تلك الكتابات أَدرج الدراسات المتعلقة بالحياة العلمية ضمن إطار عام يشمل جميع مناحي الحياة، سياسية واقتصادية واجتماعية، ولم يُفرد لها مجالا لوحدها، ولم يتّخذ من المصادر المحلية سندًا رئيسًا، إضافة إلى اقتصار معظمها على قرن أو اثنين من الفترة الحديثة، ومثال ذلك:

- "الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية" لمختار حساني حيث عالج الجزء الخامس من الدراسة حواضر الجنوب الجزائري ولكن ضمن سياق عام.
- "التاريخ الثقافي لإقليم توات" للصديق حاج أحمد، وهو من بواكير الدراسات المختصة في الحياة الثقافية، لكنه جاء وجيز جدا في شكل دليل أو مدخل للحياة

الثقافية بتوات، حيث سقطت منه مفاهيم كثيرة لا غنى عنها لدارس الحياة العلمية بالمنطقة.

إضافة إلى كتابات بعض شيوخ الزوايا حول تاريخ توات الثقافي، والتي كانت في مجملها إشارات وتراجم لأهم أعلام الأسر العلمية، ورغم فائدتها الكبيرة إلا أنها تَبعد عن الأسلوب المنهجي الأكاديمي، كما تطغى عليها أحيانا الروايات الشفهية التي تنتابها بعض المبالغة، وتدوين تلك الروايات دون تمحيصها، ومن هته الكتب:

- "النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن الخامس إلى القرن الربع عشر الهجريين" للشيخ عبد الحميد بكري.
- "الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" للشيخ محمد باي بلعالم.

أما الدّراسات الأكاديمية فمعظمها كان تحقيق لمخطوط من مخطوطات المنطقة، لذا غلب عليها الطابع الفقهي أو الإجتماعي ولها إشارات طفيفة على الحياة العلمية، أو غير شاملة للفترة الحديثة، ومثال ذلك:

- "إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين" لفرج محمود فرج، وهي أطروحة دكتوراه تعتبر البدايات التّأسيسية للدراسات الإجتماعية المستقلة الخاصة بالمنطقة، إلاّ أن معالجتها لموضوع الحياة العلمية كان ضمن سياق عام وغير شامل للمراحل الأولى من الفترة الحديثة.
- "نوازل الزجلاوي دراسة وتحقيق" لمحمد جرّادي، وهي أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله، غلب عليها الطابع الفقهي.

- "توات والأزواد خلال القرنين 12هـ و 13هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية " لمحمد حوتية، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ، تعدّ من بواكير الدراسات التأصيلية للمجتمع التواتي، خاصة فيما يتعلق بتحليل المكوّنات والأجناس والقبائل المستقرة أو الوافدة على منطقة توات، وطبيعة العلاقات الناشئة فيما بينها، إلا أنها -كما هو ظاهر- اقتصرت على القرنين 12هـ و 13هـ دون سواهما مما سبقهما من الفترة الحديثة.

أهم مصادر البحث ومراجعه:

وقد سعيتُ إلى تخطي مختلف الصعوبات، فاستندتُ إلى دراساتِ مَن كان لهم فضل السبق، واستفدتُ من جولَاتٍ ميدانية إلى أهم الخزائن والزوايا والمراكز التي تحوي تراث المنطقة، وكذا من الحملة الثقافية الناشئة التي تستهدف إعادة بعْث تراث الجنوب الجزائري الثقافي والفكري بشتّى صنوفه، فتلقّفتُ ما أمكنَ الوصول إليه من المصادر والمراجع – رغم قلّتها- سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة، وعضّدت بها المخطوطات المصوّرة المتوفرة لديّ من أجل استنطاق ما ورد فيها وتمحيص الاستنتاجات الثقافية، ومن أهم تلك المصادر المخطوطة:

- مخطوط "جوهرة المعاني فيما ثبت لديّ من علماء الألف الثاني" لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري التمنطيطي، وهو من أهم مصادر التراجم، إذْ ترجم لـ 193 عالما أغلبهم من توات والجزائر وفاس وتونس، استقيتُ منه معلومات وافية حول تراجم كثير ممن حوَتهم الدراسة من علماء وأعلام.
- مخطوط "فهرسة شيوخ عبد الرحمان التنلاني"، ويعتبر هذا المخطوط أهمّ ما كُتب في مجال التراجم، كما أنه رسم صورة للتواصل العلمي بين منطقة توات وحواضر المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، كما تضمن ذِكر الأسانيد والإجازات التي تحصّل عليها المؤلِّف، والتي من خلالها ترجم للشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، وفيه

أيضا إشارات وافية للرحلات التي قام بها مؤلِّفه إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى، والسودان الغربي. كلها معطيات قيّمة أثريتُ بها موضوع الدراسة.

- مخطوط "درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" ، لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري التمنطيطي، الذي يعتبر من أهمّ المخطوطات التاريخية التواتية، حيث يتضمن دراسة عامة لتاريخ المغرب الإسلامي، ودراسة خاصة لمنطقة توات وحاضرتها تمنطيط، أفدتُ منه كثيرا، واعتمدتُ على ما تضمّنه من دُرر في أكثر من مبحث.
- مخطوط "غُنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل" وهي نوازل جمعها الشيخ عبد العزيز البلبالي، تتضمن الوقائع التي حدثت بتوات، والفتاوى المنتقاة التي جادت بها قرائح الشيوخ، والتي من خلال تتبُّعها استطعتُ أن أتصوّر بجلاء صورة متكاملة الجوانب عن حياة المجتمع التواتي، وطريقة تعاطيه مع قضايا عصره.
- مخطوط "تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط"، لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري التمنطيطي، يتحدث في طيّاته عن تأسيس مدينة تمنطيط والتطور التاريخي لها، وتاريخ توات من عهد الدولة الموحدية إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة، كما تعرض لفترة الشيخ المغيلي وقضيته مع يهود توات، وقد وظّفتُ ما أُتيح لي منه عند الحديث عن الخلفية التاريخية للمنطقة، وكذا الأوضاع السياسية السائدة بتوات خلال الفترة الحديثة.
- مخطوط "الدّرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية"، للشيخ عبد القادر بن عمر المهداوي، وهو مصنّف ذو أهمية بالغة، أتى على ذكر تراجم الكثير من علماء توات ومشائخها وأعيانها، استخرجتُ منه تراجم الكثير من الأعلام والعلماء، كما

استخلصتُ منه معلومات وفيرة حول الحركة العلمية بالمنطقة، والتي أوردها ضمن ثنايا التراجم.

تلك هي أهمّ بعض المصادر المحلية المخطوطة التي هي أساس هذه الدراسة، أما الكتب المطبوعة فنظرا لطبيعة البحث المتعلق أساسا بالعلم والعلماء، فقد غلبتْ عليه الدراسات الثقافية العلمية، وكذلك كتب المسالك والبلدان والتراجم والرحلات، في بلاد المغرب والساحل الإفريقي بصفة خاصة، ومن أهمّها:

- "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، لعبد الرحمان بن خلدون، ويعدّ من أهم المصادر التاريخية التي لا غنى للباحث في التاريخ عنها، لما اشتمل عليه من وصف دقيق وتحليل الحوادث التاريخية، اعتمدت على الجزأين السادس والسابع، واستفدت منهما استفادة عظيمة، وذلك من خلال ما ذكره عن بلاد توات، حيث أشار إلى بعض أقاليمها مثل تيكورارين وحاضرة تمنطيط، وبعض المميزات التي ميّزت توات عن غيرها من الأقطار، كما استقيتُ منها معلومات هامة عن التجارة والرحلات ومسالكهما.

- "الرحلة العياشية" المشهورة بماء الموائد، لأبي سالم العياشي، وهي رحلة في غاية الأهمية، ذلك أنها تمت من طرف المؤلِّف نفسه بالمعاينة الميدانية خلال الفترة المدروسة وفي بعض أماكن الدراسة، إذاً فهي تلامس البحث من جانبيه الزماني والمكاني، وقد اعتمدتُ عليها ووظّفتُها في الفصل التمهيدي خاصة، في معرض الحديث عن بعض الخصائص الطبيعية والجغرافية، ووصف بعض القصور، والأمر عينه ينطبق على أمهات المصادر التاريخية الجغرافية، مثل تحفة النظّار لابن بطوطة، ووصف إفريقيا للحسن الوزان، وإفريقيا لمارمول كربخال.

- "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، لأحمد بابا التنبكتي، وهذا الكتاب بمثابة قاموس حول تراجم الأعلام والعلماء، لاسيما في كل من المغرب والأندلس وبلاد الساحل الإفريقي، ومعظم هؤلاء ممن ترجم لهم من المالكية، وقد اتّخذته عُمدة لي في معرفة حالة العلاقات العلمية بين منطقة توات والسودان الغربي.

- "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" للونشريسي، وهو من أهمِّ وأجلِّ ما أُلِّف في فقه النوازل ببلاد المغرب، وقد استعنتُ به على فهم المسائل المرتبطة بالقضايا العلمية والاجتماعية الشبيهة بما ورد في المصادر المحلية، وإجراء بعض المقارنات والإسقاطات.

- "موسوعة أعلام المغرب" لمحمد حجي، وهي موسوعة مِلمّة بالمعطيات البالغة الأهمية عن أصول كتب التراجم من النصوص التراثية المغاربية، حيث حوَتْ نُتَفا تعريفية وتراجم وافية لأعلام التواتيين، ارتبطت أسماؤهم بالحواضر الكبرى ذات الصلة الوطيدة بتوات، لذا فقد ركّزتُ على مصادر الموسوعة المؤرِّخة لأعلام الفترة الحديثة على غرار نشر المثاني للقادري، وتذكرة المحسنين لعبد الكبير الفاسي.

- "وصف إفريقيا"، للحسن الوزان الفاسي، وهو مصدر في غاية الأهمية، يعدّ من خيرة ما كُتب في مجال الجغرافية التاريخية، أفادني في تبيان الخصائص الجغرافية والاجتماعية لمنطقة توات ومحيطها الإفريقي، وأيضا في تحديد بعض الأماكن من خلال رحلة المؤلِّف التي زار فيها توات وبعض جهاتها مثل تسابيت وقورارة، حيث وصف مبانيها وعاداتها وتقاليدها وتجارتها ومراسيمها وعلاقاتها فيما بينها وبين العالم الخارجي.

أما المراجع، فقد وظّفتُ منها الكثير ممن يلامس الدراسة في تفاصيل موضوعاتها المتعلقة بالحياة العلمية وحيثياتها، ومن أهمها:

- "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله وقد استفدتُ من الجزء الثاني منه المتعلق بالفترة العثمانية كثيرا، خاصة في القسم الثاني في معرض الحديث عن العلوم المتداولة، كما رسم لي الطريق حول كيفية معالجة الدراسة التي ترتبط بالتاريخ الثقافي والتي هي من صميم دراستي.

- "الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" للشيخ محمد باي بلعالم، وهو كتاب في جزئين جامعٌ لدُرر قيّمة من تاريخ توات، أفادني كثيرا في مباحث عديدة من فصول الدراسة، كتراجم الأعلام وتنقلاتهم، والمحاورات العلمية، وغيرها.

- "توات والأزواد" لمحمد حوتية، وهو كتاب في جزئين، أصله أطروحة دكتوراه، استقيتُ من الجزء الأول منه -خاصة- معلومات وافية عن جميع مناحي الحياة بتوات.

- "موسوعة البلدان الجزائرية" لمختار حساني، وهو مرجع عني في جزئه الثاني بدراسة الجنوب الجزائري من جوانب متعددة، إذاً فهو كتاب مرجعي، ساعدني في تكوين صورة نهائية للبحث وأمدّني بمفاتيح المعطيات والمعارف الضرورية.

- كتابي: "Quatre siècles d'histoire marocaine de (1504-1904)"، و "Les oasis sahariennes" للضابط الفرنسي مارثان MARTIN، وهما دراستان تميّزتا بدقتهما في الجانب الجغرافي، لأن صاحبهما اعتمد على المشاهدة الميدانية، مدعّما ما رآه بما أُتيح له من إمكانات ومصادر محلية

أضْحت الآن في عِداد المخطوطات المفقودة التي لم يصلنا إلا اسمها، وقد اعتمدتُ على كتابيه كثيرا لضبط المدخل التمهيدي للدراسة وكذا أخذ صورة عن الأوضاع السائدة بالمنطقة آنذاك. والأمر نفسه بالنسبة لكتاب Jacob Oliel الموسوم بعنوان:" Les juifs au Sahara. Le Touat au moyen âge " والذي أَوضح لي المجهول عن تاريخ اليهود في المنطقة.

خطة البحث:

ومن أجل إيفاء الدراسة حقّها، ارتأيتُ تقسيم الرسالة إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاثة أقسام وخاتمة، يحتوي كل قسم على فصلين وكل فصل على مجموعة من المباحث، ثم زيَّلت الرسالة بملاحق ذات صلة وفهارس متنوعة.

يعتبر **المدخل** بمثابة تمهيد شامل، قسّمته إلى ثلاث مباحث، الأول منها خصّصته للروايات المتواترة عن أصل تسمية المنطقة، عرضًا ونقدًا، مراعيا تسلسلها الزمني، ثم المبحث الثاني تحدثت فيه عن الموقع والخصائص الطبيعية والذي قسّمته بدوره إلى ثلاث عناصر أولها الموقع الطبيعي والفلكي، وثانيها التّقسيم الجغرافي، والتضاريس والمناخ، ثم المبحث الثالث حول الأهمية التاريخية للمنطقة والذي جعلته في ثلاث عناصر، الأول منها: توات في المصادر التاريخية ثم الخلفية التاريخية وكذا التعمير البشري للمنطقة.

أما **القسم الأول** فقد جعلته بين فصلين؛ الأول منهما تحدثتُ فيه عن الخلفية التاريخية للحركة العلمية وتأثيراتها على الحياة العلمية وجعلتُه هو الآخر من مبحثين اثنين يعالج الأول الجذور التاريخية للحركة العلمية بمنطقة توات من هجرات العلماء وتأسيس الحاضرة، إلى بوادر الحركة العلمية، أما المبحث الثاني فيرجع بنا إلى واقع الحركة العلمية بالبلاد التواتية قبيل القرن السادس عشر الميلادي. هذا عن الفصل الأول؛ أما الفصل الثاني ففصّلت فيه القول عن

الأوضاع العامة بمنطقة توات خلال الفترة الحديثة، وأثَرها على الحركة العلمية، ولذلك قسّمته إلى أربع مباحث، تكلمتُ في كل مبحث عن واحد من الأوضاع؛ إما السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو المذهبية، وأوضحتُ أثر كل وضْعٍ على الحياة العلمية إيجابًا كان أو سلبًا.

و في **القسم الثاني** الذي عنونتُه بالتعليم والعلوم، فقد قسمتُه إلى فصلين؛ الأول منهما خاص بالتعليم والثاني بالعلوم، أدرجتُ في الفصل الخاص بالتعليم كل ما يتعلق بهذا الأخير من ناحية المناهج المستعملة، والمراحل المتعارف عليها، وذِكر المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد وزوايا، ثم الشهادات المحصّل عليها، والتي كانت تُعرف بالإجازات العلمية، وقد جعلتُ كل عنصر في مبحث مستقل. أما الفصل الخاص بالعلوم فقد قسمته إلى أربعة مباحث، كل مبحث يخصّ علوم مجال معيّن، فالأول مخصص للعلوم الشرعية التي تحوي علوم القرآن والحديث النبوي والفقه والعقيدة والتصوف، أما الثاني فكان للعلوم اللّسانية من نحو وأدب وشِعر وبلاغة، وتضمّن المبحث الثالث العلوم الإنسانية والاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والرحلات والفلسفة و المنطق، أما المبحث الرابع فحوى العلوم التجريبية حيث أوردت فيه الطب والحساب والفلك والكيمياء.

أما **القسم الأخير** الموسوم بعنوان التراث العلمي لتوات وعلاقة المنطقة بالمناطق والبلدان الأخرى، فقد استعرضتُ فيه مكامن الحراك الثقافي ومواطنه، مستعينا في ذلك بتقسيم القسمَ إلى فصلين؛ الأول منهما عن التأليف والمؤلفون، عرضت فيه تراجم بعض أشهر الأعلام على مدى الثلاثة قرون وطوال فترة الدراسة، وذِكر ما خلّفه هؤلاء الأعلام من تلامذة ومؤلفات، إضافة إلى ما كان يقع بين هؤلاء العلماء من محاورات ومناظرات، وما كانوا يقومون به من رحلات علمية إلى الحواضر والمراكز العلمية الأخرى، هذه الأخيرة –أي الرحلات- هي التي خلَقت علاقات ثقافية بين توات ومختلف الحواضر والأمصار الإسلامية آنذاك، وهو العنصر الذي خصّصت له الفصل الثاني من هذا القسم، إذْ استعرضت فيه واقع هذه العلاقات العلمية

وأسبابها والبلدان التي قامت معها هذه العلاقات، والبلدان بدورها قسّمتُها إلى حواضر جزائرية كتلمسان ومدينة الجزائر العاصمة، قسنطينة وبجاية، أو غير جزائرية كحواضر المغرب الأقصى فاس وسجلماسة، وحواضر بلاد الساحل الإفريقي تنبكتو، أروان وشنقيط، ثمّ تونس، وطرابلس الغرب، القاهرة، واسطنبول.

وفي الختام أوجزتُ ما توصّلت إليه من نتائج، وما خرجتُ به تدريجيا عبر فصول الدراسة ومباحثها في **خاتمة** عامة شاملة، طعّمتها بجملةٍ من المقترحات والتوصيات المأمولة، أرجو من ورائها أن أكون قد وفّيتُ الدراسة حقّها، أو أحطتُ – على الأقل- بجانب من مستلزماتها، إذْ لا سعة من الوقوع في الخطأ قطّ، ولا سبيل للحُسْن وحده فقط، سائلاً الله - عزّ وجلّ- التوفيق والسّداد، وأن يكون ذلك الجهد المتواضع المبذول خالصا لوجهه تعالى، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

سالم بوتدارة

24 مارس 2016

مدخل تمهيدي

البيئة الجغرافية والتاريخية

أولا – أصل التسمية

ثانيا – الموقع والخصائص الطبيعية

ثالثا – الأهمية التاريخية

تقديم:

يمكن التعرف على خصوصيات المناطق والوقوف على حقائق تاريخها بدراسة البيئة الجغرافية والخلفية التاريخية المرتبطة بها، مما يسهل دراسة جوانب الحياة الخاصة بساكنتها، ذالك أن الإنسان ابن بيئته، وللمحيط الجغرافي تأثير يتعدى الأسوار إلى دراسة الأفكار، وما يميز المنطقة التواتية – محل الدراسة – أنها رغم وقوعها في بيئة صحراوية جافة إلا أن ذالك لم يحل دون ارتباطها بامتداد تاريخي، وتحولها مركز استقطاب للدول والأفراد، هذه الرؤية التي ستعالجها مباحث هذا الفصل التمهيدي، أولها استعراض الروايات المتعلقة باسم "توات" في حد ذاته ومحاولة نقدها وتمحيصها بناءا على ما توفر من قرائن وشواهد تاريخية، وثانيه الحديث عن الموقع والخصائص الطبيعية استنادا إلى ما يترتب عن تحليل الموقعين الجغرافي والفلكي من معطيات وخصائص جغرافية تظهر طبيعة تضاريس المنطقة وغلبة المظهر الصحراوي عليها، وكذا منابع ومصاب الأودية الشهيرة التي ارتبط اسمها بتوات، وأخيرا تبيان الأهمية التاريخية لتوات في المصادر التي أشارت وأشادت بالمنطقة وما ذكرته عن مختلف التشكيلات البشرية التي استوطنت توات عبر الزمن.

أولا: أصل التسمية

أ- توات: تباينت آراء المؤرخين والرُّواة حول أصل التسمية (توات) واختلفت آراؤهم وتفسيراتهم حول ذلك، لكنهم اتفقوا على قِدم عمارة المنطقة، وأن تاريخ عمارتها يسبق زمن حملها هذا الإسم بدليل الشواهد والبقايا الأثرية المتواجدة بأماكن عديدة من المنطقة[1]، وكذا كتابات الرحالة الجغرافيين القدامى كهومير Homére وهيريدوت Hérodote وبتوليمي Ptolémée وبلين Pline، إضافة إلى ذكر المؤرخين المسلمين والعرب لها كاليعقوبي (ق3هـ)، الأصطخري، المسعودي، ابن حوقل، المقدسي (ق4هـ)، البيروني، البكري

[1]- توجد هذه البقايا الأثرية كالنقوش الصخرية في منطقة أولف، المطارفة، مطريون، تمبقطن، تيماوين.

(ق5هـ)، الإدريسي (ق6هـ)، البغدادي، ياقوت الحموي، ابن سعيد، العبدري، المراكشي (ق7هـ)، التجاني، ابن بطوطة، ابن خلدون (ق8هـ)، الحسن الوزان (بين ق9هـ وق10هـ) والعياشي (ق11هـ).

وإن كان معظم أولئك المؤرخين لم يشيروا في كتاباتهم إلى توات مبنى، فإنهم أشاروا إليها معنى[1] بذكر حدود ومواصفات مطابقة لتركيبة المنطقة وجغرافيتها.

أما تفسيرات "توات" اللغوية أو الإصطلاحية فقد تعددت بتعدد الروايات المتواترة عن ذلك والتي سأعرض ما توصلت إليه منها:

- **الرواية الأولى:**

أرجع محمد بن عمر البوداوي الجعفري المؤرخ التواتي سبب تسمية هذه المنطقة بتوات إلى القرن الأول الهجري، حيث أورد في كتابه المخطوط " نقل الرواة عن من أبدع قصور توات"، "... أنه – على ما يحكى– لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب ووصل إلى ساحله ثم عاد لواد نون[2] ودرعة وسجلماسة والفائجة، ووصلت خيله توات وذلك في تاريخ 62هـ/682م، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف هل تواتي لنفي المجرمين من عُصاة المغرب، يُنزله بها أو يجليه بها، فأجابوه بأنها تواتي لهذا الأرب،

[1]– ورد اسم توات مكتوب في رسالة مخطوطة مؤرخة بتاريخ 15 ماي 1235م ذكر فيها اسم الحبر اليهودي التواتي "الربّي إسحاق التواتي" والرسالة هذه تعتبر لحد الآن أقدم مصدر ذكر فيه اسم توات، وهي مكتوبة بالعبرية، ومحفوظة حاليا بجامعة كمبريدج بالولايات المتحدة الأمريكية تحت رقم Ts.AR.53.67. ينظر:

Jacob Oliel, Les juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, GNRS Edition, Paris, 1994, P :143.

وانظر الشكل في الملحق رقم:04.

[2]- وادي نون، هي منطقة تقع في صحراء المغرب الأقصى، قريبة من المحيط الأطلسي،تسكن بها قبائل صنهاجة .

فانطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف لجري العادة بذلك".[1]

والملاحظ على هذه الرواية أنها لم تثبت في مصادر التاريخ الإسلامي والتي تُعنى بالفتوحات الإسلامية ولم نقف لها على سند تاريخي لاعتمادها على ما يحكى فقط، ضف إلى ذلك أنها تخالف ما أثبته المؤرخون الأوائل الذين كتبوا عن حملة عقبة الثانية بين سنتي 60هـ/680م و 63هـ/683م، والذين لم ترد في كتبهم انحدار عقبة جنوبا نحو أقاليم الصحراء بالمغرب الأوسط، أو المغرب الأقصى، بل سلك طريقا ساحليا في غدوِّه أشرف من خلاله على المحيط الأطلسي، ثم عاد أدراجه عبر طريق الداخل كثير الشعاب والهضاب والمفازات، حتى وصل تهودة من بلاد الزّاب (قرب بسكرة) وهناك استشهد سنة 63هـ/683م[2].

ولو كان مصدر نسبة هذا الإسم شخصية عظيمة مثل عقبة بن نافع الفهري، لرسخ في الأذهان وتناولته كتب المسالك والبلدان، وذلك ما لم يتمّ، حيث أشار اليعقوبي (ق3هـ) وهو أقرب زمانا لتلك الرواية إلى صحراء دون ذكر اسم توات "... ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان، من سائر بطون السودان، يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صهناجة، في صحراء ليس لهم فيها قرار، شأنهم كلهم أن يتلثَّموا بعمائمهم، سُنَّة فيهم..."[3]

---

[1]- محمد بن عمر الجعفري البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة كوسام ولاية أدرار، ص 04-05.

[2]- ينظر تفاصيل هذه الحملة في: حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ص 177-207.

[3]- أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان، ليدن: مطبعة بريل 1890م، ص 151.

أما الأصطخري (ق 4هـ) فقد أشار إلى الجزء الجنوبي من بلاد المغرب إشارة مماثلة لليعقوبي، حيث قال:"... ثم إلى أزلية ثم إلى السوس[1] الأقصى، ثم يمتد على برية ليس وراءها عمارة، وجنوبية رمل من حده البحر المحيط، حتى يمتد من وراء سجلماسة الى زويلة."[2]

- **الرواية الثانية:**

أرجع أحد مؤرخي توات[3] أصل التسمية إلى عصر بداية الدولة الموحدية[4] ببلاد المغرب حيث قال:" حكي عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لّما طالبهم ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أثمار الكروم ففعل، ثم باعه السلطان للبدو النازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة، فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلاً ووزنا على حسب التخريص، فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات لأن السلطان قبلها منهم في المغرم ، وهذه الرواية أصحّ... قال في المصباح، التوت هو الفاكهة والجمع أتوات، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه".[5]

---

1 - **السوس :** هي منطقة واقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، تبدأ غرباً من المحيط الأطلسي وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً عند جبال الأطلسي وشرقاً عند نهر السوس . انظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، بيروت،دار الغرب الإسلامي،1983، ج2، ص 113.

2- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي، مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل 1927، ص 37.

3- هو المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي توفي سنة 1374هـ/ 1955م.

4- **الدولة الموحدية:** من أعظم دول المغرب الإسلامي شأنا ، أسسها محمد بن تومرت الملقب بالمهدي، أما أشهر حكّامها إطلاقا فهو عبد المؤمن بن علي الندرومي التلمساني، الذي قضى على المرابطين ودخل مراكش سنة 541هـ/1147م، ووطد الدولة الموحدية. ينظر: علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، عمّان، دار البيارق للنشر، 1998م، ص111.

5- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص 08.

والدّارس لهذه الرواية يجد أنها رغم صدورها عن مؤرخ تواتي كبير كان سببا في اعتمادها عند كثير من المؤرخين أمثال[1]: محمد بن عمر الجعفري البوداوي، ومولاي أحمد الطاهري الإدريسي، ومحمد باي بلعالم، إلا أنها مجانبة للتاريخ والمنطق، فمن جهة مجانبتها للتاريخ، فمن المعلوم في كتب التاريخ أن الذي أمر بجمع الخراج والأتوات هو ليس المهدي محمد بن تومرت[2]، وإنما خليفته عبد المؤمن بن علي[3]، وذلك بعد أن خضعت له بلاد المغرب كلها من برقة شرقا إلى بلاد السوس الأقصى غربا وإلى الأندلس شمالا.حيث نجد عند ابن أبي زرع الفاسي قوله:" وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب، من برقة إلى بلاد الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا، فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والأنهار والسباخ والطرقات، وما بقي قسّط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب".[4]

---

[1]- أحمد جعفري أبا الصافي، محمد بن أبّ المزمري حياته وآثاره، ط 1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2004، ص 27.

[2]- **محمد بن تومرت** الملقب بالمهدي، ولد سنة 475هـ/1095م، على وجه التقريب، ينتسب إلى قبيلة هرغة المصمودية، قام سنة 514هـ/1120م، في منطقة السوس بالمغرب، في صورة آمر بالمعروف، ناه عن المنكر، وجمع حوله أنصار كثيرون آمنوا بدعوته، سماهم الموحدون، وأعلن أنه المهدي المنتظر، توفي يوم 14 رمضان 524هـ/1130م، بعد أن مهد الطريق أمام خليفته عبد المؤمن بن علي في قيادة الموحدين. للمزيد يُنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 155 وما بعدها.

[3]- هو **عبد المؤمن بن علي** بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر الكومي الندرومي التلمساني (458هـ/587هـ - 1094م/1163م) كان أول من وحد كامل الساحل المتوسطي من مصر إلى المحيط الأطلسي في إطار دولة الموحدين، فحكمها دولة واحدة هي الأندلس وجعلها تحت عقيدة واحدة وتحت حكومة واحدة يديرها من مراكش. ينظر محمد علي الصلابي، الدولة الموحدية، المرجع السابق، ص 107.

[4]- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 199.

وأما ما نجده في بعض المصادر من أن الموحدين فرضوا على القبائل والأمصار والجنوبية بعض المغارم والمكوس، فإنما في حقيقة الأمر قد اقتصروا على الزكاة والعشور وأخماس الغنائم والمعادن والخراج[1].

هذا من جهة مجانبة هذه الرواية للتاريخ، أما من جهة مجانبتها للمنطق فالدولة الموحدية دولة عظمى مترامية الأطراف متعددة الأقاليم عملت على توحيد الأمصار وإقامة العدل فمن المستبعد أن تلجأ إلى استغلال خيرات أقاليم صحراوية بعيدة من أجل إرضاء فئة ما وهي تملك أقاليم شتى أكثر قربا وغنا.

والمتأمل في الرواية يجدها مركبة من روايتين، تاريخية ما ذكره عن الموحدين ولغوية ما اشتقه من اسم فاكهة التوت، ضف إلى ذلك أن الأتوات لم تقتصر في التاريخ على منطقة توات فقط وهي التي لم تعرفها إلا أوقات نادرة من تاريخها بل كانت تفرض على أقاليم وأمصار عديدة وإذا كان الأمر كذلك فمن المنطق أن تعم هذه التسمية على كثير من الأمصار شرقا وغربا إذا كان السبب وهو الأتوات في ذلك عاما شرقا وغربا ولا تقتصر على منطقة دون أخرى وهو ما لم يحدث.

- **الرواية الثالثة:**

وهذه الرواية منقولة عن محمد بن امبارك صاحب "تاريخ توات" حيث يقول أن أصل كلمة توات أعجمي، وقد أطلقها على المنطقة قبائل من لمتونة[2] عندما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن السادس الهجري (12م).[3]

---

[1]- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الأسكندرية، 2001م، ص 222.

[2]- **لمتونة:** إحدى قبائل صنهاجة البربرية، إخوتهم جدالة، وهم صحراويون، ولهم بطون ضخمة ومنهم يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لدولة المرابطين. ينظر: ابن عِذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط 3، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت 1983، ج 4، ص 7.

[3]- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنيين 18 و 19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص 02.

وباستقراء وقائع التاريخ وخصوصا القرن 6هـ الذي ذكره المؤرخ آنفا نجد أنه في منتصف هذا القرن سقطت دولة المرابطين اللمتونية، ويحتمل هجرة بعض قبائلها نحو الصحراء موطنها الأصلي فرارا من تعقب الموحدين وبطشهم، لكن من المستبعد استقرارهم في توات معقل قبائل زناتة المعادية- تاريخيا- للصنهاجيين، والأقرب إلى التحقيق عبورهم منها نحو أبناء عمومتهم قبائل الطوارق الملثمين.

وتذهب بعض المصادر التاريخية التي تعود إلى القرن السادس الهجري إلى أبعد مما ذكرنا، إذ تعتبر المنطقة خالية لا عمارة بها، فهذا مؤلف مجهول من مراكش يقول عن المنطقة في معرض حديثه عن مدينة سجلماسة التي ارتبط ذكرها كثيرا بمنطقة توات: "... وهي على طرف الصحراء، لا يُعرف في قبليّها ولا غربيّها عمران، بينها وبين غانة[1] صحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة، قليلة المياه، يسكنها قوم من مسوفة رحّالون لا يستقر بهم مكان، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة، وبينه وبين سجلماسة خمسة أيام".[2]

1- **غانة :** بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مضمومة وهاء في الأخير وهي كلمة أعجمية لا يعرف لها معنى في العربية، وهي بلد مملكة السودان، وليست هي غانة الحديثة التي تحمل هذا الاسم،إذًا هذه الحديثة كانت تسمى ساحل الذهب , ثم تسمت باسم غانة، تيمناً إذ هي تقع على بعد نحو ألف ميل جنوب غانة القديمة،أما موقع غانة القديمة فهو محل اختلاف وقد ذكر في تقويم البلدان انها مدينتان على ضفتي نيلها إحداها يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار , ويذكر الدكتور طرخان أطلالها تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا وتقع ضمن ارض جمهورية مالي الحديثة وهي على الطريق الغربي للقوافل التجارية القادمة من مراكش، والمكان الصحيح يبعد عن تنبكتو بمسيرة بضعة أيام الى الجنوب الغربي منها وعلى بعد نحو 200 ميل شمالاً باماكو عاصمة مالي الحالية . انظر :حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981، ص 90 .

2- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 200.

ويؤكد ما كتبه هذا المؤرخ ما ذهب إليه الإدريسي وقد عاش نفس الفترة (ق 6هـ) من أن منطقة توات " صحراء خالية لا عمارة بها، أكثر أرضها رمال تنسفها الرياح، كثيرة الحر حامية جدا".[1]

- **الرواية الرابعة:**

ذكر السعدي في كتابه تاريخ السودان من أن السلطان كنكن موسى[2] ملك مالي، لما أراد الحج في أوائل القرن 8هـ، اصطحب معه كثيرا من الرعية وعند وصوله إلى منطقة توات تخلف الكثير من أصحابه لوَجع أصابهم في أرجلهم، يسمى في لغتهم "توات" ، فبقوا هناك واستوطنوها و لم يستطيعوا إكمال السفر في ملكهم، ومنذ ذلك الحين سمي ذلك المكان بذلك المرض.[3]

والملاحظ عن هذه الرواية التي تفرد بها السعدي أنها لم تنقل في كتب المؤرخين التواتيين[4] رغم عنايتهم بكل ما كتب عن بلادهم، وبالرجوع إلى المصادر التي فصّلت في تاريخ بلاد المغرب في القرن 8هـ/ 14م، نجد إشارة إلى ذكر المنطقة باسمها "توات" قبل رحلة حج ملك مالي، فقد ذكر الناصري أن الأمير أبا علي ابن السلطان المريني أبي سعيد ارتحل إلى سجلماسة

---

[1]- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863م، ص 02.

[2]- **كنكن موسى:** هو منسا موسى أبي بكر، تولى مقاليد مملكة مالي سنة 712هـ/ 1312م، عرفت المملكة في عهده درجة عالية من التوسع والازدهار والتقدم، قام برحلته الشهيرة إلى الحج عام 725هـ/ 1325م، توفي سنة 738هـ/ 1337م. أنظر: محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس، 1964، ص 32 وما بعدها. وتذكر بعض المصادر أنه توفي سنة 734هـ/ 1335م. أنظر:
Robert Corne Vin, Histoire de L'Afrique ; imprimerie Bussiére, Paris 1962, p 352.
ويذكر حسين مؤنس أن هذا الملك تولى الملك سنة 738هـ/ 1337م وتوفي سنة 742هـ/ 1341م، يُنظر: حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، 2003، ص 232.

[3]- عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، تاريخ السودان ، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص 07.

[4]- المؤرخون التواتيون من أمثال: محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ومحمد بن عمر الجعفري البوداوي ومولاي أحمد الطاهري وغيرهم.

سنة 715هـ/1315م، بعد صراع مرير على السلطة مع والده، حيث عزم على فتح الأقاليم الجنوبية لسجلماسة ومنها توات، تعويضا عما ضاع منه من أقاليم الشمال: "وارتحل (أبو علي) إلى سجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمائة، فأقام بها دولة فخيمة، واستولى على بلاد القبلة، ودوّن الدواوين واستلحق واستركب واستخدم ظواعن العرب من بني معقل، وافتتح معاقل الصحراء، وقصور توات وتيكورارين وتامنطيت وغير ذلك".[1]

واستفتاح الأمير المريني أبي علي قصور توات- المعروفة حينذاك- سبق عبور السلطان كنكن موسى المنطقة إلى الحج، والذي كان في سنة 724هـ/1324م[2].

- **الرواية الخامسة:**

صاحب هذه الرواية هو أبو عبد الله الأنصاري (ت 894هـ/489م) صاحب كتاب فهرست الرّصاع، فيذكر هذا الأخير أن اسم توات هو اسم لأحد قبائل الصحراء بالجنوب[3]، يسمون بالملثمين، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف التوارق ولمطة ولمتونة والتوات[4].

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار النغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1954، ج3، ص 107.

[2] - Bernard Saffray, Chronique du Touat, Ghadaia, C- D- S , p 05.

[3]- أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، المكتبة الوطنية القديمة، تونس، تحت رقم 44201 ص 127. نقلا عن: الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، ط 2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011، ص 27.

[4]- بهية عبد المؤمن، الحياة الإجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18- 19م) من خلال نوازل الغنية البلبلية، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: د. محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005/ 2006م، ص 02.

والملاحظ عن هذه الرواية أنها تجعل من توات اسما لأحد بطون الملثمين الصنهاجيين، والمعلوم في كتب التاريخ أن بلاد الطوارق[1] هي غير بلاد توات، وهؤلاء الملثمون ليسوا هم من اختط منطقة توات وليسوا هم أصول القبائل التواتية الأولى، إذ نجد عند ابن خلدون أن القبائل التواتية نوع من زناتة، وننقل عنه قوله عن عرب المعقل:" وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا، ثم توات، ثم بودة، ثم تامنطيت، ثم واركلان، ثم تاسبيت، ثم تيكورارين شرقا، وكل واحد من هذه وطن منفرد، يشمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار، وأكثر سكانها من زناتة[2]."

- **الرواية السادسة:**

هذه الرواية لأحد المؤرخين المحليين، وهو مولاي[3] أحمد الطاهري الإدريسي (ت1399هـ/1979م)، حيث يجعل أصل كلمة توات مشتق من فعل "واتى- يواتي- تواتي" أي بمعنى تناسب، فيقول عن ذلك:" سُميت توات بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة، أي تليق بها، لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة، فلذلك سكنها كثير من أولياء الله الكُمّل العارفين، وقيل من الأتوات أي المغارم والمكوس أو الفواكه، والله أعلم".[4]

تبدو هذه الرواية لمتأملها مجرد احتمالات غير قطعية الدلالة.

---

[1]- **الطوارق:** هم الشعب الذي يستوطن الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر الشرقي وأزواد شمال مالي وشمال النيجر وجنوب غرب ليبيا وشمال بوركينا فاسو. يتحدثون اللغة الطارقية وهم مسلمون سنيون أمازيغيون من قبائل صنهاجة ينتسبون إلى الأمازيغ البرانس. ينظر: عمر الأنصاري، الرحال الزرق، دار الساقي، ص 49.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، ج 6، ص 78.

[3]- يمنح في منطقة توات كما في كثير من مناطق المغرب الإسلامي لقب (مولاي) للأشراف من نسل الحسن والحسين أبناء علي وفاطمة الزهراء- رضوان الله عليهم- ويمنح للنساء لقب (لالة) وهو عرف موجود إلى اليوم إكراما لآل أهل بيت النبي –صلى الله عليه وسلم- .

[4]- أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء التقات، تحقيق عبد الله الطاهري، (دون دار نشر)، الجزائر 2010، ص 119.

- **الرواية السابعة:**

هذه الرواية أوردها مؤرخون غربيون، يرجعون فيها أصل ومعنى تسمية توات إلى الواحات، فنجد عند (ماندوفيل Mandeville) قوله: "اسم توات أطلقه الطوارق والعرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة وواد مسعود."[1]

وتكاد تشبه هذه الرواية ما ذهب إليه (روكليسReclus) الذي يقول:" توات اسم بربري يعني الواحات".[2]

أما (مارتان Martin) وهو أحد المؤرخين الفرنسيين الذين اهتموا بتارخ توات، فيرى أن اسم توات Touat هو مفرد المصطلح البربري (وا oua) المتطابق بدوره مع المقطع الإغريقي «oa»، الذي يشير إلى «Oasis» أي بمعنى الواحات، ويعطي مثالا على ذلك بما شاع من تعبير مشابه على اللسان البربري الزناتي مثل: تواتن عبو Touat'n ebbou وتعني واحة الماء[3].

ويتبنى هذه الرواية مؤرخ غربي آخر هو (ماريو فيفاري Mario vivarer) الذي يرى أن هذا التركيب موجود في اللهجة الزناتية الموجودة بالمنطقة والنتيجة- حسب رأيه- أن كلمة توات بربرية الأصل وتعني الواحات.[4]

والدارس لهذه الروايات الغربية يجد أنها تحاول بطريقة أو بأخرى إيجاد مكان ما لإقحام اللغة الفرنسية في أصل تسمية توات، والهدف من ذلك استعماري بنسقه المعرفي الثقافي، يكشفه تاريخ صدور هذه الرواية التي يلمس فيها جليا التركيب والاصطناع والربط بين معطيات متباعدة علميا وهي الإغريقية والفرنسية والبربرية (الزناتية).

---

[1] - Mandiville G : L'Algérie méridionale et le Touat, Paris, 1898,p 8.

[2] - Reclus Elisée : Nouvelle Géographie universelle,T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris, 1886, p 845.

[3] - Martin A.G.P : quatre siècles d'histoire marocaine (1504-1904),paris.

[4] - Mario vivarer, Au Sujet du Touat, Librairie Michel Ruff, Alger, 1896,p 03.

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن أصل تسمية توات شمل عدة تفسيرات ومعان متباينة منها ما كان تاريخيا ومنها ما كان تفسيرا لغويا محضا ومنها ما جمع الاثنين معا، وأصل هذا التباين هو القول بعربية التسمية أو بربريتها، لكن الأرجح والأقرب إلى الصواب أن اسم توات بربري قديم قدم قبائل زناتة التي اختطت الإقليم وعمّرته[1] وتزامن أول ذكر لإسم توات[2] مع دخولها له في القرن 8هـ/14م، وبذلك كانت معظم أسماء القصور والمناطق داخله بربرية التسمية فكيف يكون الفرع بربري بينما الأصل عربي، واسم توات غير غريب عن أسماء مناطق غرب إفريقيا مثل تنبكتو وتاودني وتغز،كما أنه غير بعيد عن تركيبة معظم أسماء المنطقة التي تبتدئ بالتاء المشار بها في اللهجة الزناتية إلى التأنيث مثل تمنطيط، تيمي، تيميمون.

ثانيا: الموقع والخصائص الجغرافية

أ. الموقع الطبيعي والفلكي:

تعتبر منطقة توات الواقعة حاليا بالجنوب الغربي الجزائري، ملتقى تجمع واستقرار بشري منذ فترة قديمة، وقد شكلت نقطة تواصل هامة بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي بين حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال والمراكز الحضارية الواقعة جنوب الصحراء المسماة بلاد السودان الغربي.

تتربع توات حاليا على أجزاء عديدة من ولايتي أدرار وتمنراست، وقد حددت هذه الأجزاء التي عرفت بإقليم توات من طرف المؤرخين المتقدمين الذين رسموا لها معالم متباينة اتّسمت بالبساطة أحيانا وبالتركيب أحايين أخرى.

---

[1]- احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 2، ص 159.

[2]- أول من ذكر اسم توات في كتاباته – حسب علمنا- هو الرحالة الكبير ابن بطوطة، أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت 2001، ص ص 406-407.

ويُحدّد الامتداد الجغرافي لتوات بما يلي:[1]

- من الشمال الشرقي واد اميقدن (اميكدن).[2]
- من الشمال الغربي منطقة واد الساورة.
- من الجنوب الشرقي هضبة مويدر.
- من الجنوب الغربي رق[3] تنزروفت[4] وهو أكثر مساحة في الحدود الجنوبية.
- من الشرق واد اميقدن الآتي من جهة الشمال الشرقي، وهضبة تادمايت في ناحية الحدود الوسطى وهي أكثر الحدود الشرقية مساحة، وهضبة مويدر الزاحفة من جهة الجنوب الشرقي.
- من الغرب واد الساورة الآتي من جهة الشمال الغربي وعرق شاش الزاحف نحو الجنوب.

هذا عن الموقع الجغرافي لتوات، أما عن الموقع الفلكي فالمنطقة تقع بين خطي الطول 1° درجة شرقا و4° درجة غربا، وبين دائرتي العرض 26° درجة و30° درجة شمالا، مما يعني اشتماله على خط الطول الرئيس (غرينتش) المستعمل في التوقيت العالمي (GMT).

---

[1]- اعتمدتُ في تعيين الحدود بشكل دقيق على تقنيتي GPS و Google Earth في تسمية هذه الحدود على: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ج 1، ص 09.

[2]- **امقيدن:** وتذكر عند القدامى اميكدن وهي كلمة بربرية تعني المكان الرطب الذي توجد به المياه. ينظر: رشيد بلّيل، المرجع السابق، ص 35.

[3]- **الرق:** مساحات من الأراضي المستوية تغطيها الحصى تسمى مجازا السهل الصحراوي، أنظر: محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم دار الهدى، الجزائر 1998، ص 14.

[4]- **تنزروفت:** صحراء شاسعة حصوية جافة قاحلة تمتد إلى غاية المناطق الخصبة بأهقار وكل طرقها تؤدي إلى بلاد السودان، اشتق اسمها من لغة التوارق والذي يعني الأرض الموات والمنطقة القاحلة. ينظر:

Le Chatelier, Les medagnat, Revue Africaine, Alger, Office des publications universitaires, 1869, N' 30, P 96. وأيضا : G. Autier. E.F, Le Sahara, Payot, Paris, 1946, PP 117-118.

ب. التقسيم الجغرافي:

تتكون منطقة توات تاريخيا من ثلاثة نواحي شاسعة جغرافيا تمتد في شكل هلال من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي:

1. جهة قورارة:[1]

سميت قديما بتينجورارين من طرق قبائل البربر وتسمى أيضا تيكورارين، أشار إليها ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) في كتابه العبر أنها تقع على مسافة عشر مراحل من تلمسان، واد منحدر من المغرب إلى المشرق، أما الحسن الوزان (ت 957هـ/ 1550م تقريبا) فقد أشار إليها بأنها "منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن شرق تسابيت حيث يوجد ما يقرب من خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل". ونفس الكلام نجده عند مارمول كربخال في كتابه "إفريقيا".

قصورة قورارة:

تضم منطقة تيكورارين أعداد كبيرة من القصور تبتدئ من تابلكوزة شمالا إلى المطارفة جنوبا وتتجمع في مناطق رئيسية تعرف هذه المناطق عادة باسم أكبر قصورها وهي من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي:

- **منطقة تينركوك:** تقع بمحاذاة العرق الغربي الكبير، قرب واد امقيدن، استقرت بها قبيلة المحارزة[2] التي حلت محل قبائل زناتة في القرن الحادي عشر الهجري، وبها عدة قصور أسس

[1]- تعرف في كتب المؤرخين المتقدمين بتيكورارين وهذه الأخيرة كلمة بربرية تعني المعسكرات وتعرب فيقال قورارة.أنظر الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ج 2، ص 133. ولفظ "قورارة" لم يستحدث في عصرنا فقد عثرنا على ذكر له في قصيدة مخطوطة من الشعر الملحون مدونة بتاريخ الإثنين منتصف جمادى الثانية سنة 906هـ/ 1500م. أنظر: الحاج الطيب الدلدولي: قصيدة في مدح الشيخ أحمد بوتدارة وذكر أولياء الله الصالحين، مخطوط بملكيتنا ورقة رقم 2 في بيت رباعي نصه: "سيدي حمو براح*سيدي صالح قبل الصباح* قال أنت غير أرواح *نجمع ليك أهل قورارة".

[2]- **المحارزة:** قبيلة عربية من بني عامر، ارتبط مجيء هذه القبيلة إلى منطقة تينركوك باسم علي بن مسعود المحرزي الذي قدم من الجزائر من بلاد تونس واستقر بمنطقة تينركوك بعدما أمره شيخه بذلك وكلفه نشر العلم في المنطقة. أنظر:

معظمها سنة 1012هـ[1] أهمها: تابلكوزة وتعنطاس[2]، تيزليزة، فاتيس، عين حمو، قصر قدور وزاوية الدباغ التي أسسها الشيخ محمد الدباغي الوافد من جنوب المغرب حوالي 1028هـ/ 1619م[3]، وتيمزلان، أنجلو، تقانت، أولاد عياش.

- **منطقة أولاد سعيد:** تعتبر من أقدم قصور منطقة قورارة، أهم قصورها الحاج قلمان، آغلاد، كالي، إيغزر، فرعون (فاعون[4])، بابالية.
- **منطقة تيميمون:** هي عاصمة تيكورارين وأهم مدنها، وصفها الرحالة الحاج ابن الدين الأغواطي بأنها: "بلدة كبيرة منازلها متراصة ولها سوق عظيم ويختلف لون بشرة السكان، فهناك البشرة البيضاء والحمراء والسوداء".[5] ووصفها عبد الرحمان بن إدريس التينلاني أنها قاعدة قرى قورارة[6].

تنتشر حول تيميمون قصورا أقل منها شأنا أهمها: قصر بادريان، بابا عده، تيلوين، تاغيارت، سموطة، أومراد، تين جلّت، تلالت، القصبة، الكاف، بني مهلال، ليشت، غنت، بني ملوك، زاوية سيدي الحاج بلقاسم، تاورسيت، تمانة، أولاد طاهر، الواجدة، زقّور، طاواية، عمر أقبو، غيات، علي أملال، ماسين، بويحيا، أولاد نوح، تالة.

محمد حوتية، توات والأوراد خلال القرنين 12/ 13هـ- 19/18م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج 1، ص 70.

[1]- محمد حوتية، المرجع نفسه، ص 71.

[2]- أسس هذين القصرين (تابلكوزة وتعنطاس) قبل التاريخ المذكور (1012هـ) فقد وقفت على ذكر لهما في قصيد الحاج الطيب الدلدولي المؤرخة في 906هـ. أنظر: الحاج الطيب الدلدولي، المصدر السابق، ص 2.

[3]- رشيد بلّيل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والاخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008، ص 193.

[4]- هي منطقة قديمة أثرية توجد بها سلسلة يقال أنها كانت تستعمل في إرساء السفن.

[5]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر 2007، ج 2، ص 257.

[6]- عبد الرحمان بن إدريس التنلاني، الرحلة من توات إلى الجزائر: مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص 01.

- **منطقة شروين:** تقع قصورها غرب سبخة تيميمون وتفصلها عنها مساحة شاسعة من الكثبان الرملية، ومن أهم قصورها: أولاد عيسى[1]- حيحا- آجدير الغربي، آجدير الشرقي (القبلي) – تاسفاوت- قنتور- لحمر- سمجان- أوماح- باكو، وانودي- تاونزة- الكرط- تاسفاو- كالي- بني يسلم- تينكرم- تاقلزي- تاوريرت- باكو- تبو.
- **منطقة طلمين:** تقع في غرب منطقة قورارة محادية الحدود لمنطقة الساورة، قصورها تحيط بها الرمال لذا تدعى قصور العرق أهمها: تاغوزي- الساقية- طلمين القصر- بوكرين- باحمو- تاعرابين- نعمة- قلو- تمسقلوت- تاوراخت- تيمارين- يحي وادريس- قطوف- تكيالت- تاقنوت- اللجام.
- **منطقة أوقروت:** تبعد على عاصمة قورارة بحوالي 70كلم، ورغم هذه المسافة فقد حدد العياشي (1090هـ/ 1679م) انتماءها بقوله: " وهي معدودة من بلاد تيجورارين".[2] ومن أهم قصورها: دلدول- تبرغامين- تالة- إقسطن- البركة- تنقلين- توكي- بوقمة- الشارف- زاوية سيدي عومر- قصر الحاج- أقبور- بلغازي.
- **منطقة المطارفة:** هي آخر المناطق لقورارة من الجهة الجنوبية بمحادات منطقة توات الوسطى، تنتشر قصورها بين كثبان الرمال بمحادات قرى أوقروت عدا قصري أوفران وكبرتن، ومن أهم هذه القصور التي تسمى قرى الدعامشة[3]: أولاد محمود- أولاد راشد- أولاد علي- الساهلة.

2. جهة توات الوسطى:

تسمى أيضا توات الأصلية أو توات الأصل، وقد سبق أن ذكرتُ أن هناك من يقصر اسم توات عليها، تتميز بتقارب قصورها وتسلسلها في شكل هلال، تضمها عدة مناطق ذات

[1]- وتسمى بلهجة أهل المنطقة آت عيسى إذ أن آت كذا في اللهجة الزيانية تعني أولاد كذا.

[2]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 1، ص 81. وقد ذكرها باسم أوكرت.

[3]- الدعامسة أو الدرامشة أو الدعامشة أو الدعامسة وهي القرى المنتشرة بقرب أوكرت من جهة توات. أنظر: أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج 1، ص 81.

تسميات تختلف في معظم الأحيان عن اسم قصورها،[1] وهذه المناطق من الشمال إلى الجنوب كالآتي:

- **منطقة تسابيت:** ذكرها مارمول كربخال باسم "تسبين"[2] وقبله الحسن الوزان باسم "تسبت"[3]، وذكر الاثنان أنها إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد نحو مائة ميل عن الأطلس، تضم أربعة قصور وقرى عديدة. لكن قصورها بعد القرن السادس عشر الميلادي يتجاوز الأربعة وأهمها: عريان الراس- برينكان- حماد- لعياد- أوجلان- لمعيز- الهبلة- لقصابي- بن طلحة- اسبع- لقرارة.
- **منطقة بودة:** ذكرها ابن بطوطة في رحلته بأنها: " من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب".4 ومن أهم قصورها: الغمارة- زاوية الشيخ بن عمر- ابنيلو- بن دراعو- الغمارين- القصيبة- المنصور- زاوية سيدي حيدة- بني وازل- أولاد إعيش- ودرار- غرام علي.
- **منطقة تيمي:** هي من المناطق الكبرى في توات وصفها الإدريسي بأنها كانت في القرن 12هـ/ 18م محلّ الحل والعقد ومجتمع الحرب والسلم، تتنافس الرئاسة مع عين صالح وتيميمون، كانت بها أسواقا يقصدها التجار من كل مكان للبيع والشراء بجميع السلع المتنوعة.5 وأهم قصورها: آدغا- أولاد علي- أولاد أوشن- أولاد أحمد- أولاد عيسى- أولاد إبراهيم- أولاد بوحفص- أولاد ونقال- مهدية- منصورية- بني تامر- بربع-

---

[1]- عادة سكان توات في تسمية مناطقهم أن الإسم إذا أطلق على كلي لا يعاد إطلاقه على الجزئي كما هو الشأن في تسمية المناطق: تسابيت، بودة، تيمي، تامست، سالي.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 3، ص 162.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

[4]- محمد بن عبد الله بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي النازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 1997، ج 4، ص 279.

[5]- أحمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 105.

أوقديم- ملوكة- واينه- الميمون- كوسام- أولاد عروسة وشمال المنطقة توجد تينيلان و مراقن.1

- **منطقة تمنطيط**[2]: وصفها ابن خلدون بأنها: "بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه".[3] وتمنطيط مدينة قديمة تواتر ذكرها في كثير من المصادر التاريخية وارتبط اسمها بحادثة إجلاء اليهود من توات على يد الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1503م) وقد وصفها ابنها المؤرخ محمد الطيب بن عبد الرحيم التمنطيطي (ت بعد 1210هـ/ 1795م) وصفا دقيقا مبينا أهميتها قائلا: "فاعلم أن تمنطيط اسم المدينة في إقليم توات وهي بها قاعدة، فيها العلم والولاية والإمارة والديانة والرياسة، انتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارة والبضائع، وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات، فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان".[4] وتمنطيط اسم جامع لقصور متلاصقة عمرانا وأخر تنسب لها لكنها منفصلة عنها، كزاوية سيدي البكري- أولاد الحاج ماماون- بالحاج- بوفادي- توكي- نوم الناس- أبنكور.

---

[1]- تقييد حول تأسيس قصر ملوكة، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، ص 01 وما بعدها.

[2]- **تمنطيط:** كلمة أعجمية مركبة من اسمين وهما " أتما" ومعناها النهاية و" تط" ومعناها العين، فتركب الاسمان وحذف الألف في آخر "أتما" وفي أول " اتط" فكان الاسم على ذلك التركيب الخفيف اتمنطط، ثم قلبت التاء اتمنطيتط بإشباع ياء فكانت تمنطيط. أنظر: الطيب (بن عبد الرحيم)، البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج تابع لإقليم توات خلال القرنين 18- 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 15. بينما يذهب مؤرخ آخر إلى أن معنى اسم تمنطيط هو أمان (الماء) وتيت (العين) بحيث تم احتواء أمان وتيت لتعطي اسم تمنطيط، إن هذه التسمية الأخيرة تظهر المكانة الكبيرة التي كانت يوليها السكان والعلماء. أنظر:

Jacob Oliel, Les juifs au Sahara, GNRS édition, Paris, 1994,P143.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج – ص 118.

[4]- ابن بابا حيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة الحاج محمد بكراوي، زاوية سيدي البكري، أدرار، ص 02.

- **منطقة فنوغيل:** تشتهر بقصورها القديمة أهمها: زاوية سيدي عبد القادر الكنتي- عزي- مكرة- قصبة أولاد مولاي بوفارس- قصبة أولاد مولاي لحسن- برشيد- المنصور- أولاد مولاي عومار- قصبة الأحرار- بن همي- ودغة- العلوشية- اعباني- تسفاوت.
- **منطقة تامست:** هي مجموعة من القصور والقصبات المبنية فوق الحجارة الصلبة والمرتفعات الكلسية وبعض المنخفضات الطينية بموازاة واد مسعود الذي لا يبعد عنها كثيرا، تمتد المنطقة من قصر سيدي يوسف[1] شمالا إلى قصر أغيل جنوبا وتضم قصور أخرى هي أبا عمر (باعمور)- بويحيا (العليا والسفلى) الجديد- عنطر- تمالت- لحمر- إيكيس[2]- تماسخت- تيطاف- غرميانو.
- **منطقة زاوية كنتة:** هي منطقة الوسط في توات الحنه[3] (الوسطى). يرجع الفضل في تأسيس أكبر قصورها الذي عرفت به المنطقة وهو زاوية كنتة إلى أحد العلماء البارزين

---

[1]- يُحسب حاليا قصرا سيدي يوسف وباعمور على فنوغيل لكنهما في الأَصل يحسبان على منطقة تامست كما هو في عرق الأجداد ومدوّن في كتبهم.

[2]- إيكيس أوكيس: قصر قديم بني على مرتفع كلسي به قصر دائري منحوت بناه اليهود الذين استوطنوا توات ثم طردوا. سكنته قبيلة أولاد معمر وبنت به قصبة أهدتها للشيخ أحمد ابن العربي الفاسي المشهور بلقب بوتدارة القادم من فاس وقيل من الأندلس بعد سقوطها لتزامن قدومه بهذا التاريخ 1492م، وبعد ارتحال قبيلة أولاد معمر عمّر الشيخ وأولاده القصر، ويذهب كل من Jacob Oliel وعبد الرحمان سلكه إلى أن سكانه من أبناء الشيخ أحمد بوتدارة يرجع نسبهم إلى العباس بن عبد المطلب، وخرب القصر من قبل قبائل عريب عام 1281هـ/ 1864م، أنظر: محمد حوتية، توات والازواد، ج 1، ص60

Jacob Oliel, Les juifs au Sahara. Le Touat au moyen âge, CNRSE édition, paris 1994, pp 541 542

وأنظر كذلك:

Abderrahmane Salka, Notice sur le Touat bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord 3 eme trimestres, 1922, N° 90, p 535.

[3]- تطلق تسمية توات الحنه على توات الأصل أو الوسطى لشهرتها بإنتاج هذه المادة (نبتة الحنة).

وهو الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المعروف بالرقاد الكنتي[1] الذي أقام هناك وأسس زاوية عرفت بزاوية الرقادي، ينتشر على جانبيها 17 قصرا أهمها: مكيد- تيوريرين- زاقلو- أولاد الحاج- بوحامد- تبركانت- تاخفيفت- المناصير- أغرماملال- زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي، وبمحاذاتها قصر بوعلي حيث استقر الشيخ المغيلي أواخر حياته، وهو قصر قديم نزل به البرامكة[2] الوافدون من المشرق بعد نكبتهم على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170هـ/ 194هـ) وتشرذمهم في الأمصار، وكان حلولهم بهذه المنطقة المعروفة بتوات الحنه حوالي 432هـ/ 1040م[3]، واتخذوا بوعلي مركزا لتجارتهم نحو البقاع والأصقاع المجاورة، فهو بذلك أكبر قصر للبرامكة في توات.

- **منطقة آنزجمير:** آنزجمير قصران كبيران، قصر يسكنه العرب، وقصر يسكنه الأنصار المنتسبون إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الخزرجي[4]، وتقع جنوبها قصور عامرة أهمها: تيدماين، المحفوض، أوغزير، الخلفي، زاوية بلال، تيطاوين، تيلولين وهي أكبر هذه القصور.

---

[1]- الكنتي: نسبة إلى قبيلة كنته، وقد أخذت العائلة هذا اللقب – فيما يروى- من جدها الشيخ محمد بن الشيخ علي، كانت أمه من عشيرة "أبدوكال"، يدعى أبوها محمد بن العالم بن كنته، الذي أخذ الشيخ محمد لقبه، ومن ذلك الحين أصبح أبناؤه من بعده يعرفون بكنته، والبعض يرى أن اسم كنته هو لأرض في اقصى بلاد الصحراء. أنظر: عبد القادر الكسمي الطبوبوي، كتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى، مطبعة المنار، تونس، 1373هـ، ص 82.

[2]- **البرامكة:** أحفاد برمك الفارسي، من أعظم الأسر تاريخيا وأشهرها اسما في صدر الدولة العباسية، منهم خالد ويحيى والفضل وجعفر وزراء بني العباس، تضاربت الآراء حول أسباب إيقاع الرشيد بهم سنة 187هـ/ 803م. أنظر: محمد الخضري، الدولة العباسية، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص 106.

[3] - Bernard Saffroy, op, cit, p 02.

[4]- أبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد بن كليب خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول عليه في بني النجار، روى عدة أحاديث، مات غازيا بلاد الروم سنة 52هـ، وقبره معلوم يزار في مدينة اسطنبول التركية. أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ج 2، ص 402.

- **منطقة سالي:** استقر بأكبر قصورها المنصور بعض البرامكة القادمين من العراق مع من سبقهم من قبائل زناتة وصنهاجة البربريتين[1]، وترتبط به قصور أخرى وقصبات أهمها: قصبة الجنة- قصبة النجار- قصبة أولاد مولاي علي- برمانه- المحارزة المتفرعة عنها قصبة القائد المسماة (أبابلة)- العلوشية- قصبة سيدي الشريف- القصر الجديد- قصبة أولاد مولاي عبد الواحد وأخيرا أولاد مولاي العربي.

أما الجزء الآخر من منطقة سالي فهو منعزل- جغرافيا- يضم قصورا مأهولة مرتبة كما يلي: تينورت ذات القصبات المتعددة- بريش- قصبة الحاج مبارك (المعروفة باسم بريش التحتاني)- باحو.

- **منطقة رقان:** تذكر أيضا باسم الركّان، وتعتبر آخر مناطق توات الوسطى جنوبا، نزل بها العالم الشيخ مولاي عبد الله الرقاني (ت1148هـ/ 1735م)، وابنه الفقيه مولاي عبد المالك الرقاني (ت1207هـ/ 1793م)، وارتبط اسم زاويتها بالشيخ الشريف، وينتشر حول هذه الزاوية قصور أهمها: تماديت- تاعرابت- النفيس- آيت المسعود- آنزقلوف- تاوريرت- تينولاف- ازرافيل.

3. جهة تيديكلت:

تقع هذه المنطقة التي يعني اسمها راحة اليد (الكف) بين توات الأصل غربا وهضبة تادمايت شمالا وهضبة مويدر جنوبا يخترقها وادي"أقراباً" الذي يصب في واد مسعود[2]، تنتشر بها واحات النخيل وحوالي 50 قصرا، وتنقسم إلى شرقية عاصمتها "عين صالح" وغربية عاصمتها"أولف"، ربطت هذه المنطقة لقرون عديدة بين مقاطعتين تنتميان- حاليا- لولايتين مختلفتين هما: أولف بالنسبة لأدرار، وعين صالح بالنسبة لتمنراست، ولعل تميزها عن المنطقتين

[1]- أحمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 82.

[2] - G.Rohlfs, Résumé historique et géographique en Touat et à In Salah, publié par les sois du Dr Auguste Petermann, paris,s.n, 1866, A.G.P, P

الأخريين جعل الإسم المرادف لها هو " بلاد تدكلت"[1] على غرار "البلاد التواتية"، أما مناطقها فتبدو أقل من مناطق نظيرتيها وهي:

- **منطقة أولف:** تقع في نهاية منخفض هضبة تادمايت يرجع تاريخ اختطاطها بناءا على ما حملته جدران أحد مساجدها العتيقة إلى سنة 164هـ/ 781م[2]، بسط الرحالة الحاج ابن الدين الأغواطي (ت1244هـ/ 1828م) الحديث عنها في رحلته إذ اعتبرها "البلدة الرئيسية في واحة توات ولها نفوذ على جميع المنطقة، وهي محاطة بأسوار مبنية بالطين، وتقع جنوب أولف قرية تيط وفي غربها تقع قرية أخرى تسمى توات الحناء".[3] ومن أهم قصورها: زاوية حينون- قصبة بلال- قصبة ميناف- قصبة حبادات- عمنات- الركينة- الجديد- تقراف.

- **منطقة تيمقطن:** وهي أكبر المناطق قصورا وسكانا، كانت خلال القرن 12هـ المدخل الحتمي لبلاد تدكلت، يعبر منه التجار والزوار والطلبة والحجاج، تحتوي قصورا أهمها: أولف الكبير- أخنوس- أولاد الحاج- زاوية مولاي هيبة- قصبة السيد- إينر- تيمقطن- قصبة الجنات- أولاد مولاي رشيد- المرقب- الميمون (قوقو حاليا)- عين بلبال- مطريون- وهذين القصرين الأخيرين يقعان منعزلان عن تجمع القصور المذكورة بمحاذاة هضبة تادمايت.

- **منطقة تيط[4]:** تقع بمحاذاة سلسلة من المرتفعات بحافة الهضبة السفلية لتادمايت وهي منطقة صغيرة تذكر أيضا باسم طيب، وقصورها قليلة منها: قرية طيت، قصبة الشرفاء.

---

[1]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، رحلة حجية لعام 1188هـ، مخطوط بخزانة باعبد الله، تيمي، أدرار، ص 03.

[2]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ج 02، ص 333.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 02، ص ص 257- 258.

[4]- تيط أو طيت اسم مشتق من كلمة تمنطيت ومعناه العين.

- **منطقة أقبلي:** تقع بسهل منبسط في الجنوب من تيدكلت، وهي عبارة عن قصور متوارية بين الرمال، يسكنها كثير من السكان ذوو أنساب مختلفة، وقد ذاع صيت هذه المنطقة كمحطة ومركز عبور للحجاج القادمين من بلاد السودان، وسوق تجارية هامة بين تلك البلاد وتوات. وقصور المنطقة هي: ساهل- أركشاش- المنصور- زاوية أبي نعامة نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان أبي نعامة، المعروف بشيخ الركب النبوي، وهو الذي أحيا سنّة الحج من بلاد توات والتكرور[1]، منذ تأسيس تلك الزاوية سنة 1137هـ/ 1275م.

- **منطقة اينغر:** يعني اسمها المكان المنخفض[2] لوقوعها في منحدرات هضبة تادمايت وهي الحد الفاصل بين تيدكلت الشرقية وتيدكلت الغربية، وتنتشر قصورها بين واحات النخيل وأهمها: مليانة- الشويطر- السبخة- أقبور- لكحل.

عرفت المنطقة بالصلاح والصالحين قديما وبالصمود والجهاد حديثا، وما معركة اينغر الشهيرة سنة 1317هـ/ 1900م، حيث ألحقت القبائل التواتية مجتمعة بالعدو الفرنسي خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد، إلاّ صورة عاكسة لتلك المدينة العامرة فحق لها الفخر بلقب "مدينة الشهداء".[3]

- **منطقة عين صالح[4]:** تعتبر عاصمة تيدكلت الشرقية، تقع بمحاذاة هضبة تادمايت وهي مدينة كبيرة كانت خلال القرن الثاني عشر الهجري محطة رئيسية لقوافل الحجاج المنطلقين من

---

[1]- **أهل التكرور** أو الدكارتة هم سكان دولة التكرور القديمة في غرب إفريقيا التي نشأت في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وهو الإقليم الغربي من الجنوب السوداني، يضم مدينة كانو وكاشنا وتمبكتو. أنظر: الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، ط 1، دار الكتاب الحديث، 1994، ص 25، 275.

[2]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 18.

[3]- أحمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 71.

[4]- يرى الشيخ باي بلعالم (1430هـ/2009م) أنّ اسم عين صالح مرتبط باسم صالح باي (ت1206هـ/1792م) حاكم قسنطينة في العهد العثماني، ولعلّ في هذا الإنتساب نظرا، حيث ورد ذكر عين صالح في العديد من المصادر المحلية

زاوية أبي نعامة صوبها[1]، تنتشر قصورها بين واحات النخيل وأهمها: قصر لعرب، أولاد الحاج، الدغامشة، البركة، إيكسطن، فقارة العرب- الساهلة- حاسي الحجار- الزاوية- فقارة الزوى، وهو آخر القصور التواتية من جهة منطقة تيدكلت.

هذا ويتبين من خلال إحصاء القصور السابقة الذكر[2] أن عددها- موزعة على الجهات الثلاث- يتجاوز ثلاثمائة قصرا، بالإضافة إلى عشرات القرى والقصبات والأحياء الصغيرة المتناثرة على جوانبها، وسواء نقص العدد أو ازداد فإن الثابت هو تنوع تلك القصور وغناها جغرافيا وديموغرافيا وارتباطها الوثيق ببعضها في شكل وحدات أو خلايا هي جوهر النسيج التواتي.

ت. التضاريس والمناخ:

لا تختلف المنطقة في تضاريسه عن باقي المناطق الصحراوية، إذ يغلب على سطحها مظاهر محددة وهي: الحمادة والرق والعرق والسبخة وبعض الواحات المنتشرة هنا وهناك.

الحمادة هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية ممتدة في شكل صفائح طبقية[3]، ومن أهم الحمادات وأكبرها بتوات هضبة تادمايت التي ترتفع ب 896 مترا عن مستوى سطح البحر الواقعة إلى الشمال من عين صالح.

أما الرق فهو مساحات من الأراضي المستوية تنتشر فوقها الحجارة الصغيرة (الحصى) أو بدونها[1] ومن أهمها وأوسعها مساحة في توات منطقة تنزروفت الواقعة جنوب منطقة توات.

المخطوطة السابقة لعصر صالح باي بسنين. ينظر: محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 02، ص41. أيضا: عبد الرحمان بن عمر التنلاني، الرحلة الحجية، ص 03.

[1]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، الرحلة الحجية، ص03.

[2]- اعتمدت في رصد جميع القصور المذكورة وترتيبها على المعاينة الشخصية الميدانية وعلى معلومات الأعيان الشفهية ومطابقتها مع ما ورد في المصادر والمراجع ذات الصلة وكذا تقنية GPS و Google Earth لتحديد الموقع بدقة.

[3]- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، ط2، الجزائر، 1968، ص 50.

أما العرق فهو عبارة عن سعل رملي يمتد عبر سلاسل من الكثبان الرملية الكبيرة ومن أهم العروق بمنطقة توات: العرق الغربي الكبير الذي يأخذ أجزاء كبيرة من منطقة قورارة حيث توجد بعض قصورها داخله كقصور طلمين وتبلكوزة ولذا أطلق عليها اسم قصور العرق، أما عرق شاش فيحاذي قصور توات الوسطى من جهة الغرب، والبعض منها اختلطت مع كثبانه مثل قصور بودة، وقد وصف ابن بطوطة تضاريس الأخيرة بقوله: "... وأرضها رمال وسباخ".[2]

وبالنسبة للسباخ فهي بحيرة تتبخر مياهها في الصيف لتستحيل إلى ضبابة من الملح تسمى الشط، أو السبخة، أو زاغز[3]، وقد تشكلت السبخات في الأماكن المنخفضة بين توات الوسطى وقورارة على باطن الأودية القديمة والعريضة جدا التي كانت شديدة السيلان في القديم، فكونت في مصابها سبخات كبيرة أضافت إليها مياه سقي النخيل نسبة معينة من الماء[4]، ومن أهم السباخ بتوات: سبخة تيميمون، سبخة تمنطيط، سبخة "توهات" بين رقان وتيمي، سبخة " أزل ماتي" إلى الجنوب الشرقي من رقان، سبخة " مكرغان" جنوب أقبلي.

أما المرتفعات الجبلية فتكاد تنعدم في الإقليم، باستثناء بعض الكتل الصخرية التي لا يزيد ارتفاعها عن خمسمائة متر.

ونتيجة لطبيعة تضاريس المنطقة المستوية التي جعلتها مكشوفة الجوانب، وعُرضة للتيارات الهوائية من مختلف الجهات، وكانت هذه التضاريس صورة عاكسة للمناخ السائد، فطبيعة

---

[1]- عليق ريحة، قصر ملوكة (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002- 2003، ص11.

[2]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 407.

[3]- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء 01، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1976، ص 119، (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية).

[4]- بن سويسي محمد، العمارة الدينية في منطقة توات (تمنطيط نموذجا)، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008، ص 8.

السطح الرملية القاحلة التي تمتص نسبة كبيرة من الحرارة جعلت مناخ المنطقة صحراوي جاف يتميز بارتفاع درجة الحرارة صيفا والبرودة شتاءا مع جفاف طول أيام السنة، لهذا يقل سقوط المطر داخله مما يجعل المدى الحراري[1] كبيرا شاسعا، والسنة تتكون من فصلين فقط، أحدهما بارد يمتد من ديسمبر إلى فبراير والآخر باقي شهور السنة يتميز بارتفاع درجة الحرارة التي تتجاوز الخمسين درجة مئوية، ويرجع ذلك إلى تأثيرات الموقع الفلكي القريب من مدار السرطان وهبوب الرياح المعروفة عالميا برياح السيروكو ومحليا بـــ " آريفي"، كما تتعرض المنطقة لزوابع رملية قوية في فترات متقطعة تبدأ من أواخر شهر فبراير وتستمر إلى غاية فصل الصيف، وقد وصف ابن سعيد المغربي شدة هذه الرياح بقوله:" إن رياح الصحراء تجفف حتى المياه التي يحملها المسافرون في قربهم".[2]

أما تساقط الأمطار بتوات فهو قليل وغير منتظم، وغالبا ما تشهد المنطقة فترة طويلة من الجفاف، فمياه الأمطار قليلة، ولا تكاد تتساقط حتى تغوص في الرمال وتترك رطوبة فوق سطح الأرض سرعان ما تختفي بسب الرياح.

ث. الأودية والغطاء النباتي:

تنتهي بمنطقة توات عدة أودية تنبع في معظمها من خارجه، وهي غير دائمة ترتبط بسقوط الأمطار وتفجر العيون والينابيع وأهمها ثلاثة هي: وادي أميقدن، وادي مسعود، ووادي قاريت.

[1]- **المدى الحراري:** هو الفرق بين أعلى درجة حرارة وأدنى درجة حرارة مسجلتين في السنة الواحدة، أنظر: محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين امليلة، 2005، ص 16.

[2]- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي (ط 2)، الجزائر، 1982، ص 113.

- **واد أميقدن:**

هذا الوادي هو امتداد لوادي سفور، ينبع من نواحي المنيعة، ويتجه غربا وبعدما يتلاشى من هذا الإتجاه يظهر ثانية باسم واد شيدون ويستمر غربا حتى ينتهي بمنطقة قورارة مكونا سبخة كبيرة تعرف باسم سبخة قورارة[1]. ذكره العياشي (ت 1090هـ/ 1679م) باسم واد اميكدن فقال: " ومعاطن المياه كثيرة في هذا الوادي، قلّ ما يخلو يوما من منهل، وماؤه عذب غزير، وفيه يقول أعراب ذلك البلد:

واد اميكدن ما نعطش فيه كل يوم نجيه على الماء[2]

ورغم افتخار الأهالي بواد اميكدن، إلا أنهم كانوا يضطرون في بعض الأحيان إلى طمس مناهله خوف استغلالها من قبل القبائل المغيرة المتعدية عليهم، وبالتالي قطع الطريق أمام أي محاولة للتوغل نحو توات، أما قوافل الحج فإنها لم تزل تسير بمحاذاة ذلك الوادي ترد الماء يوما بعد يوم[3].

- **واد مسعود:**

يعدّ من أهم أودية المنطقة خاصة توات الوسطى إذ تنتشر معظم قصورها بمحاذاته على ضفته الشرقية، وهذا الوادي هو امتداد لوادي الساورة الزاحف من الشمال والمنتهي في منطقة كرزاز الذي تشكل في منطقة إقلي نتيجة التقاء كل من وادي زوزفانة وواد قير[4].

---

[1]- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه منشورة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 02.

[2]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 01، ص 107.

[3]- المصدر نفسه، ج 1، ص 107.

[4]- روس إ. دان Rosse. Dunn ، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي(1881- 1912)، ترجمة أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2006، ص. ص 33- 35.

ويعتبر واد قير المصدر الرئيس لمياه وادي مسعود وهو ينبع حسب ابن خلدون (ت 808هـ/ 1709م) من فوهة في جبال قبلة تازى[1] وينحدر ذاهبا إلى القبلة[2] مشرقا بعض الشيء ويقطع العرق[3] على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنطيت ويسمى لهذا العهد كير وعليها قصورها[4].

ووصف العياشي (ت 1090هـ/ 1697م) واد قير ومنبعه بقوله: "وهو واد كبير أفيح ملتف الأشجار قليل الأحجار كثير المرعى غامض المسعى، يجتمع إليه سيول من المسافات البعيدة، ولا تصل إلا بعد أيام عديدة، وابتداؤه من ناحية بلادنا[5] وعليه قرى ومزارع ويمتد كذلك إلى ناحية الصحراء والعمارة متصلة في جوانبه إلى أن يصل إلى أطراف الحماد الكبير الذي بينه وبين سجلماسة[6] فمن هناك تنقطع العمارة إلى أن يصل إلى أول قرى وادي الأساورة الأساورة فتتصل قراه كذلك نحو عشرة أيام إلى قريب من توات فينعطف يمينا في ر مال كثيرة.[7]

وواد قير الذي هو أصل واد مسعود يلتقي- كما ذكرنا- مع واد زوزفانة مكوّنين رافدا جديدا منطلقا من منطقة إقلي، وهو واد الساورة الذي يجري نحو الجنوب إلى مشارق إقليم توات حيث يحمل اسمه الأخير "واد مسعود"، وعندما يصل قصر تاسفاوت- جنوب غرب

[1]- يقصد جبال الأطلس جنوب مدينة تازة المغربية.

[2]- أي إلى الجنوب.

[3]- هو العرق الغربي الكبير.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 134.

[5]- أي بلاد العياشي وهي جبال آيت عياش أحد جبال الأطلس الصحراوي الكبير بالجنوب الشرقي المغربي.

[6]- سجلماسة وهي بلاد تافيلالت الشهيرة بقصورها الكثيرة بالجنوب الشرقي المغربي وتسمى قاعدتها اليوم بملحقة الريصاني التابعة إداريا لإقليم الراشدية المغربي.

[7]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 1، ص 76.

تمنطيط- يكوّن سبخة كبيرة، وبعد اختراقه لهذه السبخة يتجه نحو مقاطعة رقان غائرا في سهل (رق) تنزروفت[1].

- **واد قاريت:**

هو ثالث الأودية المرتبطة بمنطقة توات، وهو امتداد لعدة أودية تصب فيه من الشمال الشرقي لتيدكلت، ومن الجنوب الشرقي من منطقة ايفتسن الواقعة في هضبة مويدر، وينطلق هذا الوادي من هناك متجها صوب الجنوب الغربي للإقليم، ويتلاشى مجراه جنوب منطقة أقبلي الواقعة جنوب تيدكلت[2]، ليتصل في نهايته بواد مسعود ويصبح رافدا له ويغور هذا الأخير في رق تنزروفت[3].

وواد قاريت أقل قيمة إذا ما قورن بالواديين السابقين نظرا لطبيعة مجراه الأفقي وندرة روافده.

وهناك أودية أخرى لكنها صغيرة وأقل أهمية من سابقيها كواد أسوف الذي يتبع من هضبة مويدر شمال الهقار، ويصب في سبخة مكرغان جنوب تديكلت، أما واد الحامانن فينبع من منطقة اجويدي عين افاراق، ويلتقي مع وادي أسواف ويصب هو الآخر في سبخة مكرغان[4].

ورغم أن تلك الأودية المذكورة ترد المنطقة التواتية من جهات متباينة، إلا أن مفعولها ضئيل بسبب بعد منابعها واستواء التضاريس من جهة، وغلبة الحر والرمال على المنطقة من

[1]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 02.

[2]- مجموعة من المؤلفين، الأطلس العلمي، المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، (د. ت)، ص 18.

[3]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 02.

[4]- الاطلس العالمي، مرجع سابق، ص 19.

جهة أخرى، أما في عصرنا الحالي فبالكاد تُعرف مساراتها ومجاريها فضلا على أن تمتلئ وتسيل، ولذا عرفت عند الجغرافيين بالأودية الكاذبة.

وقد تركت هذه الظروف القاسية أثرها على الغطاء النباتي، فاقتصر على التشكيلات النباتية المتآلفة مع الجفاف وارتفاع الحرارة، كالنخيل والدرين والصبار، وبعض النباتات الشوكية الأخرى التي تنمو في مجاري الأودية أو في المناطق الرطبة القريبة مياهها الجوفية من السطح، تعيش بداخلها حيوانات مثل الجمال والزواحف وبعض الطيور التي اتخذت مجاري الأودية والواحات مأوى لها.

ثالثا: الأهمية التاريخية

1. توات في المصادر التاريخية:

ورد ذكر توات في كثير من الكتابات التاريخية نظرا لأهميتها الحضارية والاقتصادية والجغرافية، ويعتبر ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (1304هـ/ 1377م) أول من مر بالمنطقة من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين وذلك في طريق عودته من رحلته الشهيرة إلى بلاد السودان[1]، وكتاباته عنها (معاينة) تُعد من أقدم المصادر التي ذكرت المنطقة باسم توات، فخلال رحلته استعدّ ومن معه لعبور صحراء شاسعة لا عمارة فيها ولا ماء، بالتزود والإعداد، واضعين الوصول إلى توات هدفا يرجون تحقيقه، حيث قال:" وقصدت السفر إلى توات، ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكد وتوات إنما يوجد اللحم واللبن والسمن يشترى بالأثواب... ثم وصلنا بودا، وهي من أكبر قرى توات، وأرضها

[1]- تفاصيل الرحلة ذهابا وإيابا، تحليلا ونقدا ومميزات بلاد السودان. ينظر: حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، ص ص 224- 236.

رمال وسباخ وتمرها كثير وليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب..."[1]

أما كتابات العلامة ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) فهي مصدر آخر هام، أشار إلى هذا الحيز الجغرافي العامر بصفة أكثر تفصيلا حيث ذكرها في مواضع متعددة من مؤلفه الشهير (العبر وديوان المبتدأ والخبر) مبينا أهميتها التاريخية في مظهرين، أحدهما محلّي يتمثل في العمران الذي يعتبره ابن خلدون أساس الحضارة والثاني إقليمي يتجلى في كونه همزة وصل بين المغرب والسودان[2]، يبرز ذلك في قوله:" ... وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلاد مالي من السودان لهذا العهد".[3]

كما تحدث عن مقاطعة بودة باعتبارها واحدة من الطرق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي فقال:" ولقد كانت بلد بودى (بودة) وهي أعلى تلك القصور بناحية المغرب من ناحية السوس هي الركاب إلى والاتن (ولاتة) الثغر الأخير من أعمال مالي، ثم أهملت لما صارت الأعراب من

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 4، ص 277.

[2]- يطلق اسم السودان على جميع الأقاليم شبه الصحراوية من إفريقيا التي انتشر فيها الإسلام، وتمتد من جنوب الصحراء الكبرى ومصر أي من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود الحبشة شرقا، أما جنوبا فهي تساير خط عرض 10 درجة شمالا، وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام: السودان الشرقي (يشمل الحوض الأعلى و الأوسط لنهر النيل)، والسودان الأوسط (يشمل حوض التشاد) والسودان الغربي وهو عبارة عن إقليم شاسع وواسع يضم العديد من الإمارات منها مملكة ولاتة، غينيا، مالي، وتمبكتو، وكبرة، وكاغو، وكوبر، وكانو، وزكزك، وأغدس، وكاتيسبنا، وبورنو، وكاكاو، وودكري، وزنفري، وحاليا هو المنطقة المطلة على المحيط الأطلسي غربا، تحدها شمالا الصحراء الكبرى، أما شرقا فتتاخم بحيرة التشاد أي المنطقة المعروفة حاليا بحوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط. ينظر: التونسي محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، مصر، 1965، ج 1، ص 132.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 07، ص 76.

بادية السوس يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيط".[1]

على غرار تمنطيط وبودة فقد استهوت مثيلاتها من قصور تيكورارين ابن خلدون المولع بالعمارة والعمران، فأفرد لها مقطعا جاء فيه: "... قصور تيكورارين وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق، واستبحرت في العمران وغصت بالساكن".[2]

أما كتاب وصف إفريقيا فهو مصدر آخر يذكر المنطقة، وصف فيه مؤلفه كلا من مقاطعة تسابيت وإقليم تيكورارين حيث وصف الأخيرة بأنها: "منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، تحوي خمسين قصرا وأزيد من مائة قرية منتشرة بين حدائق النخيل[3]"، كنا تحدث الوزان أيضا عن منطقة أخرى من توات لا تقل في عمارتها وأهميتها عن تيكورارين مشتملة في قوله:" تْسَبِتْ إقليم مأهول في صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، ومائة من الأطلس، يضم أربعة قصور وقرى عديدة في تخوم ليبيا، على الطريق المؤدية من فاس وتلمسان إلى مملكة أغدس في بلاد السودان".[4]

وتحدث أبو سالم العياشي (ت 1090هـ/ 1679م) في رحلته المسماة "ماء الموائد" التي تعتبر مصدرا هاما عن قرى تسابيت قائلا: "ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الراس...، وقمنا بها ستة أيام، وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من التمر أنواع كثيرة ووجدنا التمر بها رخيصا".[5]

---

[1]- نفسه، ج 7، ص 77.

[2]- نفسه.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

[4]- نفسه، ج 2، ص 133.

[5]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 1، ص 80.

ويثبت أبو فارس عبد العزيز الفشتالي الأهمية والشهرة اللتين حظي بهما الإقليم التواتي وميزاته السكنية والسكانية قائلا:" هذا الإقليم المفرع إلى قطر توات وهو أوسع وطنا وأفسح مجالا وأقرب للسودان اتصالا وجوارا والى قطر تيكورارين وهو أعظم اشتهارا وأعرف نقيبا وأشد شوكة وأخشن جانبا، وأعظم أقاليم المغرب وأكثرها أمما وأفسحها خطة، انتظم عمرانه واتصلت قصوره وتراصفت نخيله على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر..."[1]

من جهة أخرى اهتم المؤرخون المحليون من علماء توات بإقليمهم فكتبوا عن أهميته جغرافيا واقتصاديا وتطرقوا إلى وصفه وذكر مناقب علمائه، حيث أورد القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق في كتابه "درة الأقلام" موقع توات وقصوره قائلا عن توات:" هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشرة يوما جوفا وغربا عشرون يوما لأول السودان... وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصر أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط"[2]. كما عرّف الشيخ محمد الطيب الملقب بابن بابا حيدة المنطقة وعدّد قصورها وفقاراتها وأشاد بكرم أهلها خاصا منها أهل تمنطيط.[3]

وقد وردت أوصاف منطقة توات عند مؤرخين تواتيين آخرين أمثال محمد بن عمر البداوي في كتابه نقل الرواة[4]، وكذا محمد العالم بكراوي في "مؤلفه الدرة البهية"[5]، وغيرهم.كما ذكر المنطقة الرحالة ابن الدين الأغواطي (ت.ق 13هـ/ 19م) الذي وصل إلى توات قادما من المنيعة فوصف تيميمون وأولف وعين صالح[6].

---

[1]- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريم، الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف، ص 73.

[2]- محمد عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بالخزانة البكرية، ص 1.

[3]- ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 33.

[4]- محمد بن عمر بن محمد البداوي، المصدر السابق، ص 02.

[5]- محمد العالم بكراوي، الدرة البهية في الشجرة البكرية، الخزانة البكرية، تمنطيط، ص 135.

[6]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص ص 257- 258.

2. الخلفية التاريخية:

ترجع بنا الشواهد والبقايا الأثرية التي تم اكتشافها في منطقة توات إلى العصر الحجري القديم، إذ تؤكد هذه البقايا الأثرية تواجد حضارة الإنسان الحجرية متمثلة في الصناعات الحجرية البدائية والتي أطلق عليها حضارة الحصى المهيأة[1]، وقد عُثر على بقايا أدوات من هذه الصناعة في ناحية رقان وأولف متمثلة في مكاشط ومحكات وقطع حجرية أخرى مهذبة.[2]

ومن مظاهر العصر الحجري القديم أيضا تواجد بقايا من الحضارة الآشولية[3] في النواحي الجنوبية لتيميمون.

وبمتحف جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار عرضت بعض الأدوات الأثرية التي تعود إلى الحضارة العاترية[4] التي سادت في العصر الحجري الأوسط، وُجدت هذه الأدوات بموقع شمال مدينة أدرار.

وقد عثر على مواقع أثرية عبر أماكن عديدة من منطقة توات أهمها موقع في رق تنزروفت يضم أدوات حجرية مثل الفؤوس اليدوية والمطاحن والقطع الفخارية ورؤوس السهام، هذه القطع الأثرية في مجملها ترجع إلى العصر الحجري الحديث، وهو الحقبة التاريخية

---

[1]- حضارة الحصى المهيّأة : يرجع الباحثون الأنثروبولوجيون تاريخها إلى أكثر من مليوني سنة قبل الميلاد.

[2] - N. Saoudi, La préhistoire, Revue de préhistoire et d'Anthropologie culturelle. N° 1,Alger 1983, p 14.

[3]- الحضارة الآشولية: تعود بقايا هذه الحضارة إلى حوالي 700.000 سنة، أهم الأدوات الحجرية الخاصة بهذه الحضارة تتكون من حجر معدل، حجر ذو وجهين... ينظر:

Le lieutenant-colonel Daumas, études géographiques, statistiques et historiques sur La région au sud des établissements français en Algérie, Paris, p : 123.

[4]- **الحضارة العاترية** نسبة إلى موقع قرب مدينة بئر العاتر بتبسة الذي يرجع تاريخه إلى حوالي أربعون ألف سنة قبل الميلاد.

التي تطور فيها نمط معيشة الإنسان الحجري من اعتماده على الصيد والجمع فقط، إلى زراعة الأرض واستئناس الحيوان[1].

وفي منطقة محاذية لقرية مطريون الواقعة شرق مدينة أدرار وشمال مدينة أولف استوقفنا موقف هام تنتشر به النقوش الصخرية المتمثلة في نقوش صور الحيوانات وبعض خطوط كتابة التفناغ التي ظهرت في الفترة التي تعرف بمرحلة فجر التاريخ.[2]

وفي سياق التواصل القديم للمنطقة التواتية بالحضارات القديمة فإن الدراسات التي تناولت تاريخ الصحراء القديم تشير إلى هيمنة قرطاجة[3] على مسالك تجارة الذهب مع إفريقيا الغربية

[1]- العصر الحجري الحديث ويطلق عليه العصر النيوليتي الصحراوي، وهو مرحلة ما بعد العصر الحجري الوسيط، ظهر مبكرا في الصحراء حوالي 9000 سنة ق. م، وبعض الآلاف من السنين بعد ذلك ظهر في إفريقيا الشمالية، ويتميز بتغير كبير حدث في تاريخ البشرية من حوالي 6000 سنة ق. م، ظهرت الزراعة وبدأ الإنسان في استئناس الحيوانات وفي بناء مسكنه من مختلف المواد الطبيعية. أنظر:

Malika Hachid, Les pierres écrites de l'Atlas saharien, ENAG Edition, Alger, 1992, Tome 1, p, 159.

[2]- **مرحلة فجر التاريخ** هي مرحلة متأخرة من سلسلة زمن ما قبل التاريخ تميزت بانتشار النقوش الصخرية وظهور كتابة التفناغ وهما عبر الإنسان القديم عن حياته ومحيطه وبيئته التي عاش فيها من خلال مشاهد الحياة اليومية في تلك الفترة. ينظر:

Larburburu, (Miguel), Gravure rupestre du Tademaït, Matriouenne- wilaya d'Adrar, centre de documentation saharienne, Ghardaïa, 1995, p 7.

[3]- **قرطاجة:** أسست قرطاجة في حوالي سنة 825 ق. م، من طرف الفينيقيين القادمين من المشرق وقد أصبحت قوة بحرية كبيرة حيث أنشأت لها مقاطعات على شواطئ البحر المتوسط، ثم دخلت في صراع مع روما بعد سيطرتها على جزر صقلية في ثلاث حروب كبيرة عرفت بالحروب البونية الثلاثة، كما استولى الرومان عليها، وحكمها الوندال واتخذوها عاصمة لهم في 439م، وتم القضاء على قرطاجة نهائيا في 697م من طرف المسلمين. ينظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 55 وما بعدها.

عن طريق بسط سيطرتها على المجال الجغرافي الذي يضم تلك المسالك التجارية والذي تشكل المنطقة التواتية جزءا منه.[1]

ونتيجة لأهمية تلك المسالك المارة بالمنطقة فإن الرومان أيضا حاولوا السيطرة عليها في نهاية القرن الأول الميلادي عن طريق احتلال بعض الواحات للتمكن من المرور عبر المسالك الرئيسية للتبادل التجاري مع بلاد السودان الغربي[2].

ومع فجر الإسلام وانطلاق الفتوحات الإسلامية نحو بلاد المغرب في القرن الأول للهجرة تمكن عقبة بن نافع الفهري بعد تأسيسه لمدينة القيروان من مواصلة فتوحاته إلى أن وصل بلاد السوس الأقصى، ثم توغل باتجاه الجنوب إلى نواحي وادي مزاب وثمة ذاع صيته الحسن بين القبائل الجنوبية التي اعتنق بعضها الإسلام بينما فر البعض الآخر منها نحو الجنوب، وواصل موسى بن النصير الفتوحات نحو الصحراء حيث تمكن من الوصول إلى الحدود الجنوبية لبلاد المغرب والى مشارف بلاد السودان[3].

وبذلك دخل الإسلام منطقة توات مبكرا واستقر في قلوب ساكنتها من العرب والبربر غير اليهود، وتقبلوه قبولا حسنا فكان ذلك سببا في أن تتبوأ المنطقة مركز الريادة في نشر الدعوة الإسلامية وفي جعلها مسلكا تجاريا آمنا لربط الشمال ببلاد السودان، وبقيت المنطقة تتمتع باستقلال شبه تام عبر أزمنة مختلفة، لكن الأهمية التجارية التي نالتها خصوصا بعد سقوط مملكة غانا وتراجع الطرق التجارية الصحراوية الغربية التي كانت تربط بين مراكش وغانا وحلول الطرق المارة بتوات محلها جعل من المنطقة محل أطماع توسعية من طرف المماليك

[1] - Qu'Erard. Recherches historiques dans le Touat- Gourara, Bulletin de liaison saharienne, N° 02, Décembre 1950, p 21.

[2] - Stéphane GSEL, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Librairie Hachette, Paris, 1991, Tome : 1, P :59.

[3] - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج ، ص 36.

المجاورة، إذ لم تكن بمنأى عن الأحداث التي تقع في الشمال، فبداية من هجرات جماعات من قبائل لمتونة نحو توات واستقرارهم بتمنطيط في أعقاب سقوط دولة المرابطين[1].

ثم أفول نجم دولة الموحدين وقيام المملكات الثلاث على أنقاضها: الحفصيون في تونس، وبنو زيان في الجزائر (تلمسان)، ودولة بني مرين في المغرب الأقصى، هذه الأخيرة (الدولة المرينية) التي تراءت لأعين حكامها أهمية طرق القوافل التجارية التي تربط بلدهم بالسودان الغربي فغزوا بعض قصور توات وفرضوا عليها الكثير من الضرائب، حيث يذكر الناصري أن أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بويع سنة 710هـ/1310م، سلطانا للدولة المرينية، وعاصمتها مراكش، ورشح ولده أبو علي عمر[2] واليا لعهده، وولاّه على فاس، فما إن وصلت سنة 714هـ/1314م حتى جاهر بخلع أبيه ودعا لنفسه، ودارت الحرب بينهما فكانت الدائرة على الولد، فطلب الصلح على أن يُعوّض على فاس بسجلماسة، فأُجيب لذلك فأقام بها إمارة. ورغبة منه في منافسة والده اعتزم توسيع مملكته فلم يجد أمامه مجالاً يبسط إليه نفوذه سوى جهة القبلة، وأن يتوغل في الصحراء، فبلغ قصور قورارة وتوات وعاصمتها تمنطيط.

وقد فاتنا معرفة الكيفية التي استفتح بها المنطقة، إذا سكتت المصادر التاريخية عن تعداد جيشه وقيادة، وما دار بينه وبين السكان، حيث يذكر ابن خلدون أن "الأمير علي نزل بسجلماسة فأقام بها ملكا، ودون الدواوين واستلحق واستركب، وفرض العطاء، واستخدم

---

[1]- عبد العزيز بن عبد الله، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، ط 1، دار نشر المعرفة، المغرب، 2001، ملحق 2، ص 338.

[2]- هو أبو علي عمر بن عثمان، أصغر ولدي السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني، أمه أمة من نسب الفرنج، كان أقرب الناس إلى قلب أبيه، وبلغ عنده مكانة عظيمة، رسمه لولاية العهد وهو صغير، ولاه سجلماسة سنة 715هـ/ 1315م فأعلى منها التمرد وأقام بها دويلة، غزا قصور توات. قتل سنة 734هـ/ 1334م، بعد أن خرج على أخيه أبي الحسن الخليفة المريني. يُنظر: أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حُقَقُ الفوائد،(موسوعة أعلام المغرب)، تحقيق محمد حجي و أحمد توفيق، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1996م، ج 2، ص 621.

ظواعن العرب من المعقل، وافتتح معاقل الصحراء وقصور تاورت وتيكورارين وتمنطيت، وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على ضواحيها".[1] وكان هذا لما انتفض هذا الوالي (أبو علي) على حكم أبيه الأمير أبو سعيد[2] فاستولى على سجلماسة واتخذها مركزا للسيطرة على مدن الصحراء ومنها قصور توات وتيكورارين وتمنطيط.[3]

هذا الإنجاز عزز في نفس أبي علي نزعة الزعامة، وحب الإستئثار بحكم المرينيين فعاد إلى نقض معاهدته مع أبيه، واستولى على أجزاء من الدولة، وافتتح عاصمتها مراكش سنة 722هـ، ثم مُني بالهزيمة، ولم تخمد فتنته إلا بمقتله سنة 734هـ من قبل أخيه السلطان أبي الحسن علي، فكانت نهاية دولته بسجلماسة، التي استمرت تسعة عشر سنة.[4]

وما ذكره ابن خلدون ليس سيطرة طويلة الأمد – على ما يبدو- وإنما هو غزو عابر بدليل أنّ الملك الزياني أبو حمو موسى بن يوسف التَجأَ إلى تيكورارين بعدما احتل المرينيون تلمسان سنة 772هـ/1370م، أيام السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن وأوغلوا في مطاردته، فنجا بنفسه إلى تيكورارين، وأقام بها سنين قبل أن يتمكن من استعادة ملكه[5]. في حادثة يصفها ابن خلدون بأنها إحدى الغرائب.

وهذه الواقعة تنفي ما تداول عن سيطرة الدولة المرينية على توات بداية من 714هـ/1312م، إذ لا يُعقَل أن يفرّ أبو حمو من وجه المرينيين ثم يلتجأ لأحد الأقاليم التي يسيطرون عليها.

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 508.

[2]- هو أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني، تولى الخلافة بعد ابن أخيه أبو الربيع سليمان عام 710هـ/ 1310م، عرف بالجود والعلم، هاجم تلمسان سنة 714م وخرج عليه ابنه أبو علي ونازعه الملك، دامت خلافته 21 سنة، توفي سنة 730هـ. يُنظر: أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 3، ص 103 وما بعدها.

[3] - AGP Martin, OP. Cit, P: 105.

4- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 508.

5- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص 1883.

ومن جهة أخرى فإن حالة اللاّتبعية تتأكد بوجود ضرب السكة من جملة الصنائع التي عرفتها تمنطيط عاصمة توات، ولعلّ العملة المسكوكة بتوات هي دينار التبر الذي لاحظ مارثان[1] Martin أنه عوّض الدينار الشرعي في أكثر تبادلات القوافل.

ومهما يكن، فبعد سقوط دولة المرينيين عادت منطقة توات إلى سابق عهدها من الاستقلالية، لكنها بقيت عرضة لغارات قبائل الأعراب كقبائل عرب المعاقيل، والتي وصل بها الأمر أحيانا إلى حد السيطرة على واحات توات وبودة وتمنطيط وتسابيت وتيكورارين، فقد تمكنت من أن تفرض عليها أتوات وصارت لها جباية وفرضت نفوذها كاملا على المنطقة.[2]

أما أهل أقبور فقد هجموا على تمنطيط في القرن السابع الهجري (13م) وألحقوا بهم أضرار فادحة، وأغار أولاد طالب على تاورير، وقصر عيسى والشارف وتيط وأوقعوا فيها المظالم وكان ذلك سنة 705هـ في القرن الثامن الهجري (14م).[3]

ونجد عند مارمول كربخال إشارة إلى أن أعراب أولاد حمرون كانوا يحتلون الصحاري المجاورة يقيمون بها في الشتاء ويبارحونها في الصيف حيث يذهبون إلى بلاد الجريد التابعة لمملكة فاس[4].

وما أشار إليه مارمول هنا من سيطرة الأعراب على بعض المناطق لا يوحي دائما بالسيطرة الطويلة الأمد، ففي كثير من الأحيان كانت هذه السيطرة نتيجة لغارة من الغارات التي اعتاد الأعراب القيام بها على بعض القرى الصحراوية لنهب محاصيلها الزراعية، لكن سرعان ما يرحلوا عنها.

---

[1] - AGP Martin, Quatre Siècles. Op. Cit., P : 13.

[2] - أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 3، ص 105.

[3] - محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، محاضرة مطبوعة، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص45.

[4] - مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 3، ص 160.

وقد اعتاد ملوك تلمسان أن يستأجروا بعض الأعراب للحفاظ على المسالك إلى أعماق صحراء نوميديا.[1]

ومن هذه الأعماق يذكر مارمول منطقة تيكورارين التي يسيّر الحكام المحليون بها شؤون الأهالي ويتمتعون باستقلال ذاتي[2].

وبقي الإقليم التواتي في عصره الوسيط يتراوح بين الاستقلال أحيانا وبين غارات جحافل الأعراب والخضوع للمملكات المجاورة أحايين أخرى حتى مطلع العصر الحديث[3] ومجيء العثمانيين إلى شمال إفريقيا وقيام دولة الأشراف السعديين في المغرب الأقصى وتأثيرات هاتين الدولتين على المشهد السياسي التواتي أين رأى الإقليم فصولا أخرى في تاريخه السياسي.

3. التعمير البشري للمنطقة:

إن تاريخ الاستيطان في المنطقة التواتية يرجع بنا إلى ما ذكرناه آنفا عن تواجد مواقع عديدة عرفت حضارة الحصى، وكذا ما سبقت الإشارة إليه من محاولات القرطاجيين فرض سيطرتهم على هذا المجال الجغرافي، وإرسال الرومان لجماعات الجرامانت Garamante لاحتلال بعض الواحات هناك.

وعبر العصور المختلفة توافدت على توات أجناس وطوائف بشرية عديدة شكلت في مجملها التركيبة المجتمعية للمنطقة التي اعتبرت منطقة جذب للسكان، وملجأ للفارين من

[1]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 2ن ص 292.

[2]- مارمول كربخال، المصدر نفسه، ج 3، ص 163- 164. ولا ندري ما يقصد مارمول بعبارة استقلال ذاتي، وربما يقصد ما أشار إليه في عدة مواضع في كتابه من أن الأعراب والزيانيين والسعديين وكذا المرينيين من قبلهم كانت لهم غارات على المنطقة، وربما اتخذت طابع السيطرة التي تستوجب التبعية والخضوع التي لم تكن بالشكل الكامل ولذا عبّر عنها بالإستقلال الذاتي.

[3]- تفاصيل الحياة السياسية بمنطقة توات في العصر الحديث سنستعرضها في الفصل الثاني من القسم الأول.

اضطهاد الحكام، نظرا لتوفر الأمن والسكينة بين أرجائها وأهم العناصر البشرية التي استوطنت المنطقة نجد:

أ. البربر[1]:

أصل البربر الذين استوطنوا الجزائر حسب المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت هم قبائل الجيتول[2] Gétule الذين سماهم العرب فيما بعد جدالة وغزولة وجدولة وفزولة[3].

ويفصّل مارمول هذا بقوله: "وأصل البرابرة الذين استوطنوا نوميديا (التسمية القديمة للصحراء) كانوا خمس جاليات أو قبائل من السبئيين جاؤوا مع مالك الإفريقي ملك اليمن،

---

[1]- **البربر:** إسم البربر يعتبر أقدم اسم في مدلول شامل يظهر منذ بدء عصر التاريخ، ويشمل هذا الإسم سائر شمال إفريقيا وبلاد المغرب سواء كانوا من أهل الدواخيل من سكان الصحراء، أو من أهل التلول والجبال والسهول من ذوي البشرة البيضاء أو الزنجية، وقد يكون إطلاق كلمة بربر على السكان مايفيد نسبهم إلى أحد أجدادهم القدامى، لأن بعض المؤرخين المسلمين ذكروا أنهم من ولد بربر بن تسليم أو بربر بن مازيغ أو بربر بن تاملا...، وتباينت آراء المؤرخين حول أصلهم فمنهم من يرجع أصلهم إلى الأصل الهندي الأوروبي أي من الأصل اليافتي المنسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام، قدموا من الهند عبر القوقاز ثم أوروبا، ومن المؤرخين من يرى ان أصل البربر سامي أولي عن أبناء سام بن نوح عليه السلام، قدوا من اليمن عبر الحبشة ومصر، وهذا هو الرأي الراجح عند المؤرخين العرب وكذا الأوروبيين. وهناك رأي ثالث وهو يحاول الجمع بين الرأيين السابقين فيرجع أصل البربر إلى الأصل المزدوج المنتسب إلى سلالتين هندية وأوروبية التقت بالمغرب وحجتهم في ذلك التباين في الخصائص البشرية عند البربر في العيون والشعر واللهجات وكذا الخلاف القائم بين مصمودة وصنهاجة، يُنظر: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، 1979، ص ص 5، 48. ويُنظر كذلك: عثمان العكاك، البربر، منشورات تامغناست، 1375هـ، ج 1، ص ص 50- 51.

[2]- **الجيتول:** أطلق هذا الإسم على قبائل ذات بشرة بيضضاء سكنت الجهة الغربية الليبية كان لها دور حاسم في هذه المناطق الصحراوية وخاصة أثناء السيطرة الرومانية على منطقة شمال إفريقيا. ينظر:

Nadir Marouf, Lecture de l'espace oasien, Edition sindbad, paris 1980, p 23.

[3]- عثمان العكاك، المرجع السابق، ج 2، ص 61.

ومازالوا يحملون أسماءهم ويسمون صنهاجة ومصمودة وزناتة وغمارة وهوارة، ومنهم خرجت ستمائة سلالة من البرابرة وإليهم يرجع أكبر أهل إفريقيا كلها.[1]

ونزحت هذه القبائل البربرية من الشمال إلى الجنوب في اتجاه الصحراء نتيجة لتعسف المحتل الروماني والبيزنطي، وإرهاق الأهالي بالضرائب، إضافة إلى اضطراب الأمن العام.[2]

وينقل لنا محمد بن عبد الكريم التمنطيطي إجماع المؤرخين على أنّ أول ساكنة توات من أصول بربرية بقوله:" اتفق المؤرخون على أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه".[3] وحجته في ذلك أن أغلب تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم.

وهؤلاء العجم الذين يتحدث عنهم التمنطيطي، هم بربر من قبائل صنهاجة، أو هم قبائلهم الملثمون وهم كذلك إحدى فروع صنهاجة، استوطنوا الصحراء قبل الفتح الإسلامي، وبلادهم مابين المحيط غربا وغدامس شرقا، ومابين بلاد البربر شمالا وبلاد السودان جنوبا، عملوا على نشر الإسلام في السودان، أهمّ بطونهم قدالة ولمتونة ومسّوفة ولمطة، شمل تأثيرهم ونفوذهم الصحراء، واستمر بعد الفتح الإسلامي حتى وصلوا بلاد السودان.[4]

ويُفصّل أبو راس الناصري ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله "أن صنهاجة أهل اللثام المعروفون عندنا بالطوارق، مساكنهم بين السودان وبين الرمال التي هي تخوم بلاد البربر متصلون بالبحر المحيط في المغرب إلى ساحل النيل في المشرق، وهم الآن على اختلاف الكلمة،

---

[1]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 1، ص ص 89- 90.

[2]- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 194.

[3]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص 1. ويورد التمنطيطي قولا يشيد عن ما أورده من إجماع المؤرخين عن الأصل البربري ومفاد هذا القول أن ساكنة تمنطيط كانوا من القبط وأنهم المهندسون لبنائها والمفجرون لفقاقيرها. ويعزوا التمنطيطي هذه الرواية الغريبة إلى تقاليد قديمة لم يذكرها لكب على العموم لايمكن الإعتماد عليها لجهالة مصدرها ومخالفتها إجماع المؤرخين.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 241- 242.

واختلاف الألسنة على عهدهم الأول، فقبيلة قدالة منهم ومساكنهم قبلة المعقل عرب السوس الأقصى، ولمتونة، وتريكة في مقابلة ذوي منصور،...أما أهل فقيق وتيقرارين وتوات وأكثر مصاب فلكهم صنهاجة وبعض مصاب من لماية..."[1]

ولم يكن الملثمون وحدهم من قبائل صنهاجة الذين استوطنوا المنطقة، بل هناك قبائل أخرى صنهاجية توافدت إليها، حيث استقرت كذلك قبائل اللّمتون الصنهاجيون بتمنطيط، وهم أول من بنى قصورها بعد سقوط دولتهم على يد الموحدين في المغرب.[2]

وما أشرنا إليه آنفا من تواجد نقوش أثرية وكتابات التفناغ في أماكن من المنطقة لَدلالة على أن البربر أول من سكن المنطقة واستعمل هذه الكتابات كرسائل متبادلة بين القوافل التجارية.

ثم وفد على المنطقة قبائل زناتة بعد سقوط دولتهم بالمغرب وتعقب الموحدين لهم، حيث نزلوا بأرض بودة خلال القرن الرابع الهجري (10م) وجابوا أرض توات وأقاموا لهم على شفير الوادي بساتين وقصورا منها: بوزان وتاورير وأقبور والشارف[3]، وخلال القرن الخامس الهجري (11م) هاجرت بقية من زناتة إلى الصحراء ونزلوا بقورارة، وهم السواد الأعظم من ساكنتها ويتكلمون اللهجة الزناتية[4].

وذهب الفشتالي إلى اعتبار زناتة أغلب ساكنة المنطقة قائلا: " والقطران توات وقورارة من أعظم أقطار المعمورة بما جمعاه من الأمم والقصور... ويضم أُمما كثيرة أغلبها قبائل زناتة".[5]

---

[1]- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص 76.

[2]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 16.

[3]- محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 2.

[4]- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص 4.

[5]- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 73.

وهذا ما ذهب إليه صاحب كتاب الإستقصا بقوله:" اختطت زناتة بالقفر قصور متعددة مثل توات وبودة وتمنطيط وتسابيت وتيكورارين، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة أكثر سكانها من زناتة[1].

ب. العرب:

تزامنا مع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب التي قادها الفاتح عقبة ابن نافع الفهري سنة 102هـ- 682م، توافد إلى هذه البلاد قبائل عربية عديدة، وصل بعضها منطقة توات مابين القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين أهمها قبائل القداوة القادمين من مصر[2] كمعبر لهم قادمين من الحجاز، ويرجح أن فكرة الفقاقير ترجع لهم.[3]

وبحلول القرن 7هـ/ 13م، توافدت القبائل الهلالية[4] على المنطقة وتم ذلك بهجرات متعاقبة بدأت تزامنا مع الأحداث التي شهدها المشرق العربي في أعقاب القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين سنة 567هـ/ 1171م ومحاولات بعث هذه الدولة من جديد في العامين التاليين وفشلها[5].

---

[1]- الناصري، المصدر السابق، ج 3، ص 173.

[2] - Quenard, recherches historiques dans le Touat, p p 212.

[3] - Herbut, les Foggara du Touat, Bullelin de la société geographie d'Algérie et de l'Afrique du nord : 4 eme trimestre (1934), p 561.

[4]- **بنو هلال:** هم قبيلة عربية ينتمي نسبها إلى عامن بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر، كانوا في شبه الجزيرة العربية ثم انتقلوا إلى مصر. أنظر: عبد الحميد الخالدي، الوجود السلمي الهلالي في الجزائر، دار هومة، الجزائر 2003، ص 13.

[5]- أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992، ص 241- 241- 242، وقد كانت الهجرات الأولى للهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي و إفريقيا عامة عام 441هـ/ 1050م، حين سمح لهم وأمرهم الخليفة الفاطمي المنتصر بالله بالهجرة من مصر إلى بلاد المغرب وذلك انتقاما من الزيريين الصنهاجيين أمراء القيروان الذين قطعوا دعوة الفاطميين وخلعوا طاعتهم، وقد أضعفت فعلا هجرة عراب بني

وقد خلّفت هذه الأحداث اضطرابات في المشرق العربي إضافة إلى أحداث القرامطة في البحرين، ودفعت هذه الأوضاع المضطربة القبائل الهلالية إلى النزوح غربا، وكان المهارزة هم أول القبائل الهلالية التي قدمت إلى المنطقة التواتية سنة 1120م من معبر الشمال مرورا بواد اميقدن، وتوالت بعد هذه السنة كقبيلة أولاد محمد الذين استقروا في قصر دلدول، وأولاد طلحة، أولاد عياش، أولاد بوعلي الذين سموا فيما بعد أولاد محمود والخنافسة الذين استقروا في واد الحجار، وبمرور الزمن شكلوا قصورا عديدة في المنطقة كقصر تبلكوزة، تازليزة، عين حموا، فاتيس، أولاد عيش...، وقد بنيت هذه القصور بمحاذاة واد مسعود الذي لعب دورا كبيرا، وهو دور المرحلة الانتقالية من القبائل الرّحل إلى القبائل المستقرة عربا كانوا أو برابر.[1]

وقد حلّ بالمنطقة قبائل عربية أخرى كعرب المعقل[2] الذين دخلوا شمال إفريقيا مع الهلاليين في عدد قليل، يقال أنهم مائتين، اعترضهم بنو سليم فانحازوا للهلاليين ونزلوا آخر مواطنهم، جاوروا زناتة وصاروا حلفاء لها وملكوا القصور التي بنتها الصحراء، اختلطوا مع قبائل أخرى ليست منهم، مثل فزازة والشظة والمهاية[3].

هلال سلطة الزيريين إلى أن قضى عليهم نهائيا عبد المؤمن الموحدي عام 555هـ/ 1165م، ينظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1964، ص 32 وما بعدها.

[1] - Quenard, recherches historiques dans le Touat, p 215.

[2] - **عرب المعقل**: من أصول يمنية حسب ما صححه ابن خلدون، وهم ثلاثة بطون: ذوي عبد الله، ذوي منصور، وذوي حسان، ويشير الوزان إلى فروعهم قائلا: |" وأما معقل ففروعها ثلاثة: مختار وعثمان وحسان، تشتمل مختار على روحة، وسليم وعثمان على حاسن، وكنانة، وحسان على ذوي حسان، وذوي عبد الله وذوو حسان على سليم و الأوداية والبرابش والرحامنة، وأحمر، ويشتمل ذوو منصور على العرامنة، والمتابهة، وأولاد عبيد الله بدورهم إلى خراج وحدج، وثعلبة، وجعوان وتتفرع كل هذه القبائل إلى بطون عديدة. ويفصل مارمول ما أجمله الوزان عن قبائل المعقل فيذكر أماكن استيطانهم وعرب المعقل من العرب اليمنية القحطانية، نسبة إلى معقل بن الحارث، كانوا في القرن 8ه، من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بالمغربين الأوسط والأقصى مجاورين لبني عامر بن زغبة بقبلة تلمسان. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1977، ج 3، ص 1123.

[3] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 77- 78.

و لم يجد عرب المعقل صعوبة في التأقلم مع حياة الصحراء، بسبب تشابه ظروف إقامتهم الأولى بالمنطقة التواتية، وسرعان ما وطدوا نفوذهم مستغلين انشغال القبائل الزناتية بمحاولات استعادة بعث دولتهم في الشمال اثر ضعف الدولة الموحدية سنة 610هـ، فخلفهم عرب المعقل في قصورهم وأملاكهم، وهو التحول الذي يصفه ابن خلدون بقوله: " فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء فنمو نموّا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا، ثم توات، ثم بودة، ثم تمنطيط، ثم وركلان، ثم تسابيت، ثم تيكورارين شرقا".[1]

وقد تمكنت قبائل عرب المعاقيل من السيطرة على واحات توات وبودة وتمنطيط وتسابيت وتيكورارين وفرضت نفوذها كاملا على المنطقة[2]، واقتضوا منهم الضرائب[3].

وإضافة إلى الهلاليين والمعاقيل شهدت المنطقة وفود الأشراف الذين يتصل نسبهم بالحسن والحسين أبناء علي- كرم الله وجهه- قدموا من الأندلس سنة721هـ/1301م، ومن وازان وتافيلالت بالمغرب الأقصى واستقروا في منطقة توات ودلدول[4]، وقد كانوا ينقسمون إلى طائفتين: العلويون[5] والأدارسة[1] ارتبط بعضهم مع ملوك المغرب وجاء بعضهم فارّا إلى توات من النزاعات الداخلية على الملك.

---

[1]- نفسه، ص 78.

[2]- الناصري، المصدر السابق، ج 1، ص 178.

[3]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (دون تاريخ)، ج 2، ص 193.

[4] - Bisson (Jean), le gourara, p 95.

[5]- ينتسب العلويون الحاليون إلى جدهم الشريف، الذي ينحدر من سلالة علي بن أبي طالب، وقدم أجدادهم إلى المغرب من ينبع بالحجاز واستقروا بسجلماسة بتافيلالت ومن هنا تهيؤوا لإقامة دولتهم التي تعتبر الدولة الثالثة في المغرب من حيث نسبها الشريف فالأدارسة والسعديون والعلويون كلهم أشراف. ينظر: محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ص 212.

واستنتجنا من الموسوعة المغربية أن عدد الأشراف العلويين فقط دون الأدارسة وصل في سنة 1212هـ/ 1797م إلى 8088 نسمة[2].

ويرجع سبب إقبالهم على توات للظروف السياسية التي عاشتها هذه المنطقة عقب قيام الدولة العلوية بالمغرب، حيث تمكن المولى محمد ابن الشريف علي العلوي رفقة الجيش الكبير الذي قاده بنفسه من دخول توات سنة 1053هـ/ 1654م[3] وبقي هناك زهاء أربعة أشهر[4]، وقد تخلف عدد غير يسير من هؤلاء الشرفاء بتوات بعد رجوع الحملة العلوية لبلادها بالمغرب وذلك بعد أن طاب لهم المقام هناك لما لقوا من تبجيل وإكبار من طرف ساكنة المنطقة، وإضافة إلى هذه المنزلة التي منحت لهم من أهالي توات فقد كانوا أحيانا مضطرين إلى الاستقرار هناك فرارا من النزعات الداخلية على الملك في المغرب أو المجاعات حيث ذكر ابن أبي محلي

---

[1]- ينتسب الأدارسة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو أحد القلائل الذين نجوا من القتل في مأساة موضع يسمى باسم (فخ) أوقع العباسيون فيه بجماعة من العلويين من أحفاد الحسن بن علي،كانوا يدعون لأنفسهم ويطمحون إلى إن يقيموا دولة وكانت هذه المأساة سنة 169ه/ 786م، في خلافة الهادي العباسي، وقد فر الناجون من هذه الواقعة إلى أطراف البلاد وكان من الذين فروا: يحيى بن عبد الله الذي هرب إلى بلاد الديلم جنوبي بحر قزوين، وسبب للعباسيين متاعب كثيرة ولكنهم قضوا عليه في النهاية، ولكن أسعدهم حظا كان أخاه إدريس بن عبد الله، هذا الذي أبعد في الهرب حتى وصل إلى المغرب وهناك بايعته قبائل البربر ملكا عليهم وبعد وفاته مسموما بايعت القبائل البربرية ابنه إدريس الأصغر الذي بنى مدينة فاس سنة 192ه واتخذها عاصمة لدولته وبنى في عهد خلفه يحيى بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأول جامعة القروين من طرف فاطمة بنت محمد الفهري، وسقطت دولة الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية شيخ مكناسة الذي كان خاضعا للعبيديين الفاطميين أول الامر ثم خرج عن طاعتهم وعمل على تقويض عرش الأدارسة بالقضاء على أمرائهم القائمين بالامر في بعض نواحي المغرب الأقصى، ونفي الباقون إلى قلعة في جبال الريف تسمى جحر النسر وبذلك انتهى الدور الأول من تاريخ الأدارسة بعد ان عاشت دولتهم زهاء قرنيين وثلاث سنين. ينظر: يوسف عل بديوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط 1، دار الأصالة، الجزائر، 2010، ص 55-61.

[2]- عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء) مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1976، ص 27.

[3] - A. G. P Martin, Quatre Siècle D'histoire Marocain,Librairie Félix Alcan, Paris 1923, P 51.

[4]- هاشم بن أحمد بن عبد الرحمان، المحن والشدائد، مخطوط بخزانة سليماني دون رقم، ص 1.

السجلماسي تكرار ظاهرة الأزمات في تاريخ المغرب أشدها أزمة المجاعات في القرن 10هـ/ 16م، التي قال عنها:" ...تغلا الأسعار من قلة الأمطار وتغلا المواشي ويقل الرزق... ففرّت إلى الصحراء قبائل السوس الأقصى وفي بلاد توات من الأدنى، والله قد جاعت الناس من كل ناحية جوعا ما سمعنا به قط".[1]

وقد تواجد بتوات من العرب من يرجع نسبه إلى بعض الصحابة كالبوبكريين[2] نسبة إلى أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- والعثمانيون[3] نسبة إلى عثمان ابن عفان – رضي الله عنه- والجعافر[4] نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، والأنصار[5] نسبة إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري، والكنتيون[6] الذين يعود نسبهم إلى الصحابي الفاتح عقبة بن نافع، وكذلك الفلانيون[7] المختلف المختلف في نسبهم.

1- عبد المجيد قدوري، ابن أبي محلي الفقيه الثائر، منشورات عكاظ، الرباط، 1991، ص21.

2- استوطنوا عين صالح وقورارة وهم من ذرية الشيخ عبد القادر بن محمد بن دفين الأبيض سيد الشيخ ينظر: أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص 11.

3- سكنوا تينيلان والمهيبة وبودة، ينظر: عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط 2، دار هومة، الجزائر 2002، ص 09.

4- يتوزع الجعافرة على العديد من قصور توات. ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري، رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري حياته وشعره، ط 1، منشورات الحضارة، الجزائر 2009، ص 11.

5- يتواجدون بقصر زاجلو وفروعهم بأنزجمير. ينظر: أحمد الطاهري، المصدر نفسه، ص 45.

6- تعتبر واحة عزي بمنطقة فنوغيل موطنهم الأول داخل توات ومنه انتشروا في مختلف مناطقه، مختلف المناطق الصحراوية، وأهم أماكن تواجدهم قصر زاوية كنتة، الجديد، أقبلي. ينظر: بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دار السرح، بيروت، لبنان 2005، ص 13.

7- يتواجدون بتدكلت وقد اختلف في نسبهم، فقيل من ذرية أبي بكر الصديق، وقيل من ذرية عمر بن الخطاب، وقيل من ذرية عقبة بن عامر، وقيل عرب حميَريون من أهل اليمن. يُنظر: محمد باي بلعالم، قبيلة فلان بين الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، ط 1، دار هومة، الجزائر 2004، ص 05.

ت. الأفارقة (الزنوج):

تواجد الأفارقة بالمنطقة منذ أزمنة متقدمة توالى قدومهم واستقدامهم للمنطقة عبر فترات متوالية فالذين قدموا إلى المنطقة بما عرف بالهجرة الاختيارية كان نتيجة تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية في السودان الغربي خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي[1]، أما الذين استقدموا فأوتي بهم من مدن عديدة مثل كشنة وكوبر وبورنو وسكوتو وغيرها من بلاد الهوسا.[2]

وهؤلاء المجلوبين هم أولئك الذين سلبوا من ديارهم مطوّقين ووجدوا أنفسهم في سوق النخاسة للبيع[3]، وكذلك هم من وقعوا في الأسر من سكان ممالك السودان الغربي الذين كانوا يغيرون على بعضهم البعض ويباع الأسرى منهم إلى التجار، وكانت توات تموّل أسواق فقيق بالعبيد والإماء للاستعانة بهم في أعمال البناء وحفر الآبار وشقّ الفقاقير وتطويع الصحراء، وكذا بقصد التسري والخدمة المنزلية لذا أصبحت الحاجة إليهم كبيرة بالمنطقة التواتية خاصة بعد استقرار العرب بها وتنافسهم في امتلاك أكبر عدد من الرقيق لذا كان يعدّ مظهرا من مظاهر الثراء[4]، فنتيجة لهذا أصبحت القوافل التجارية تنقل هؤلاء الزنوج بأعداد كبيرة ليعملوا في

---

[1]- مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12ه، ط 1، دار السبيل، الجزائر 2000، ص 46- 47.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص ص 159- 179.

[3]- شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصطلح الثائر، دار ابن الطفيل، الجزائر 2012، ص 55.

[4]- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والإقتصادي والحضاري لمنطقة السودان الغربي من نهاية القرن 15 إلى غاية القرن 18 ميلادي، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد رزوق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عين الشق الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج 1، ص 332.

خدمة الأرض[1]، حيث يُحصي لنا ابن بطوطة عدد الزنوج في القافلة التي رافقها هو من تكدا إلى توات عام 754هـ/ 1353م فيشير إلى أنه كان بها ستمائة خادم زنجي[2].

وينتمي أغلب عبيد توات إلى قبائل الفلان والبامباز والمانيقو والهوسا[3].

ومعظم هؤلاء من القبائل المسلمة التي حرّم الفقهاء في توات بيعهم والمتاجرة بهم، حيث ورد في هذا الصدد سؤال[4] من طرف الشيخ محمد بن عبد الكريم التمنطيطي البكري إلى شيخه سعيد قدورة الجزائري يستوضحه عن أمر هذه الفئة من الناس، فبعث الشيخ سعيد قدورة بدوره إلى الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي كان على دراية بهذا الأمر كونه ذاق مرارة الذل والعبودية يوم أن أُخرج من تنبكتو مع أهله والخيرة من العلماء حفاة مقهورين ومجرورين حتى وصلوا بلاط السلطان السعدي المنصور الذهبي[5] بمراكش، وعندما علموا بغزارة علمه وضعوه تحت الإقامة الجبرية ليدرّس وبعد مدة رجع إلى بلاده[6]، لذلك كان جوابه بتحريم هذا الفعل

---

[1]- شيباني ياسين، الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي، مذكرة ماجستير، إشراف جهيدة بوجمعة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2006/ 2007، ص 102.

[2]- ابن بطوطة، المصدر السابق، 407.

[3] - Abderrahmane Selka, Notice sur le Touat, Bulltin de la société de geographie d'Alger, 1922, p 524

[4]- نسخة من الرسالة موجودة في خزانة أولاد القاضي البكري بتمنطيط، أدرار.

[5]- السلطان أحمد المنصور الذهبي، أحد سلاطين الدولة السعدية،بالمغرب الأقصى، ولد بفاس 956 ه – 1549م، نودي له بالبيعة، بعد مقتل أخيه عبد المالك، في معركة وادي المخازن، ضم في عهده، توات والسودان، توفي بالوباء 1012 هـ – 1603 م، بفاس ونقل قبره إلى مراكش. انظر : محمد حجي،موسوعة أعلام المغرب، ج 3، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص 1124 – 1132.

[6]- خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 60.

باعتبار هؤلاء الناس جلبوا قهرا من بلادهم[1]، وألف في ذلك رسالة سماها " الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان"، مبينا فيها أن هؤلاء مسلمون أحرارا لا يجوز امتلاكهم.[2]

ونتيجة لطبيعة التركيبة الاجتماعية في توات المكوّنة من أسياد وعبيد ظهرت فئة ليست في آخر الهرم الاجتماعي كالعبيد وان كانت تشاركهم صفات الأعمال التي يؤدونها، هذه الفئة التي عرفت باسم الحراطين ظهرت نتيجة التزاوج الذي تم بين فئة الأحرار والجواري[3]، أو نتيجة تحرير العبيد الذين كبروا في السن و لم يعد بمقدورهم القيام بالأعمال الشاقة فيتم تحريرهم للحصول على الثواب من الله[4].

ث. البرامكة:[5]

وهم من الفرس، تبوؤوا مقاما رفيعا عند العباسيين في بغداد، وتفرقوا في الأمصار اثر نكبتهم الشهيرة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، حيث دخلوا توات في القرن السابع الهجري سنة 56هـ/ 1258م[6]، واستقروا بأعداد كبيرة وبنوا القصور ومارسوا الزراعة،

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الإسترقاق، ط 1، تحقيق فاطمة الحراق وجون هانريك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000، ص ص 21- 22- 23.

[2]- أحمد بابا التمبكتي، الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان، مخطوط بالخزانة البكرية، ص ص 1- 2.

[3]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 34.

[4] - Abdarrahmane Selka, op, cit, p 523.

[5]- **البرامكة:** أسرة فارسية عريقة ذات شأن عظيم، ينتسبون إلى جدهم " برمك" الذي كان رجلا عالما في الطب والتنجيم ومتوليا سدالة النوبهار المقدس عند الفرس، ببلخ، وقد حظي الكثير من رجالها بمنزلة رفيعة عند الخلفاء العباسيين فتقلدوا الوزارات واشتهر اسم خالد بن برمك وابنه يحيى و أبناؤه في العصر العباسي الأول بتبوئهم المراتب العليا في الدولة العباسية، ولكن على الرغم من وصولهم إلى هذه المكانة السامية من النفوذ والسلطان فقد نسبت غلييهم اتهامات عديدة كالشعوبية والزندقة والميل إلى العلويين والفرس والغنى المفرط وغيرها من الإتهامات التي فيها نظر والتي جعلت الخليفة العباسي هارون الرشيد ينقلب عليهم فقُتِل وشرد الآخرون في الأمصار بما عرف في التاريخ بنكبة البرامكة. ينظر: هولو جودت فرج، البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990، ص 17- 48.

[6]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص 07.

حيث ينسب إليهم نظام الري في المنطقة التواتية المعروف بالفقارة[1]، ومن بين القصور التي استقروا بها "بوعلي" الذي نزل به الشيخ المغيلي بعد أن ناصره البرامكة في حروبه ضد اليهود ورحيله من تمنطيط[2]، وكذا قصور سالي وقصور أولف بتيدكلت وتوجد هذه الكُنية البرمكية إلى الآن.

ج. اليهود:

استوطن اليهود المنطقة التواتية منذ أزمنة متقدمة تباينت آراء المؤرخين في تحديدها، حيث يذكر أوليل Oleil الباحث الذي اهتم بتاريخ يهود توات، أن فئة منهم هاجرت من مدينة سيرينابيك[3] إلى توات في القرن الثاني الميلادي، نتيجة الصراع مع الإمبراطور الروماني "تراجان" واستقر كثير منهم في قصور توات وتمنطيط، وفي القرن السابع الميلادي وفدت إلى توات هجرات يهودية ثانية قادمة من الموصل والحجاز، وبحلول القرن العاشر الميلادي وصلت المنطقة وفودا يهودية أخرى قادمة من الأندلس[4]، ويذهب برنارد سافرو Bernard Saffroy إلى أبعد من ذلك حيث يشير إلى وصول جماعات يهودية إلى بلاد المغرب سنة 50 ق.م ومنها إلى توات سنة 5م وأسست قصورا منها قصر تاخفيفت، ثم تلتها جماعة أخرى من برقة بليبيا سنة 130م.[5]

[1]- عليق ريحة، قصر ملوكة، المرجع السابق، ص 21.

[2]- بوسعيد أحمد، الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12ه/ 18م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أدرار 2012/ 2013، ص 81.

[3]- سيرينابيك مدينة إغريقية في ليبيا.

[4] - Jacob Oleil, op. cit, p 21.

[5] - Bernard Saffroy, op. cit, p 1.

ويقتصر البعض على أن قدوم اليهود للمنطقة كان من الأندلس عقب أحداث اشبيلية والباليار سنة 793هـ/1391م، وكذا عقب سقوط الأندلس سنة 897هـ/ 1492م[1].

ومهما يكن من تباين الآراء حول المكان الذي قدموا منه أو الزمن الذي جاؤوا فيه، فإنهم شكلوا شريحة من المجتمع التواتي رغم عدم اندماجهم الطبيعي في المجتمع هناك في الفئات التواتية.

ونتيجة للموقع الاستراتيجي لتوات المتمثل في وقوعها في مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب واستقرار المنطقة بسبب التعايش بين الشرائح الاجتماعية وكذا بعدها عن مواقع الصراعات الطائفية ومواقع اتخاذ القرارات حيث الممالك والدول الشمالية، كل هذا ساعد اليهود على الاستيطان في توات وممارسة نشاطهم التجاري والحرفي، فازداد بذلك عددهم وانتشروا في كل القطر التواتي، حيث يذكر أوليل J. Oleil عدد المناطق التي سكنها اليهود قبل مجيء الإمام المغيلي إليها حوالي ثلاثين قرية، تبدأ من تبلكوزة شمالا إلى تاوريت جنوبا[2]، ويشير ابن بابا حيدة إلى أن تمنطيط وحدها كان بها ثلاثمائة وثلاث وستون صائغا يهوديا يتاجرون في الذهب والفضة[3]، فقد كانوا هم المسيطرون على أسواق تمنطيط فتميزوا بثرائهم الكبير وسط المجتمع التواتي البسيط الذي عانى من احتكارهم للسلع والبضائع وكثير من الحرف، واستغلال الطبقة المحتاجة لصالحهم مما جعلهم منبوذين في المجتمع التواتي، إذ كانوا يحتمون في العديد من المرّات بقبيلة أولاد علي بن موسى[4] لتمنع عنهم ظلم بعض البربر الذين طلبوا منهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة، واعتبرت هذه الهدايا

[1]- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط 1، دار الأمة، الجزائر 2004، ص 49.

[2] - Jacob Oleil,op. cit, p 140.

[3]- ابن بابا حيدة، القول البسيط، المصدر السابق، ص 14.

[4]- أولاد علي بن موسى من القبائل العربية كان اول نزولهم بقصور بصلاح بتمنطيط وهم ينتسبون إلى الأدارسة، فهم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم اهل سنة ومروءة ورياسة، كان أول رؤوسا ئهم الشيخ عمر بن عبد الرحمن وآخرهم الشيخ بحم بن الحاج محمد، انظر ابن بابا حيدة، المصدر السابق ص23. 24

مقابل الجزية[1]، ورغم كل هذا فقد تم إجلاؤهم من توات وهدم بيَعهم في تمنطيط سنة 897هـ/ 1492م، عي يد المصلح الدّيني الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[2]، و لم تعد فئة اليهود مكوّنا فاعلا قائما بذاته في المنطقة التواتية منذ بداية العصر الحديث.

إن هذه العناصر البشرية السالفة الذكر شكلت لُحمة المجتمع التواتي المتعدد الأعراف والأجناس مما ساهم في تنوعه وازدهاره وانفتاحه على باقي الثقافات والمناطق والشعوب، وإمداده بروافد ثقافية مختلفة عملت على تغذية الحركة العلمية داخله.

[1]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين، تمنطيط، ورقة 01.

[2]- قصة الشيخ المغيلي مع يهود توات وردت في عدة مصادر ومراجع مفادها أن الشيخ المغيلي لما قدم من تلمسان إلى توات وجد اليهود يسيطرون على عصب الحياة في المنطقة بتحكمهم في التجارة وثرائهم الفاحش فأفتى بأن يبدفع اليهود الجزية وهم صاغرون وأن تهدم كنائسهم التي بالغوا في شساعة مساحتها وأن يعاملوا معاملة أهل الذمة عامة وانتهى الأمر بقرار إجلائهم كلية من المنطقة فأجبر الكثير منهم على الفرار بعد انتفاضة الشعب إلى جانب المغيلي ضدهم. أنظر: عبد الله مقلاتي، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد 06، ماي 2005، ص 254. أيضا: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ، الجزائر، 2002، ج2، ص 412.

خلاصة الفصل التمهيدي

من خلال ما سبق عرضه ضمن مباحث هذا الفصل التمهيدي، يتبين لنا مدى التنوع الجغرافي والثراء التاريخي لمناطق توات وقصورها، مما حتم على الجغرافيين والمؤرخين تقسيمها إلى ثلاث جهات متباينة وهي منطقة تيكورارين (القورارة) ، ومنطقة توات الوسطى ، ومنطقة تيديكلت، كما أن كل واحدة منها ضمت بين جنباتها مدنا وقصورا مزدهرة، حطت بها الركبان عبر تاريخ الصحراء السحيق، وخطّت ذكرها كتب الرحالة القدماء كمناطق جذب للعابرين والوافدين، مستفيدة من وجود تمايز مناخي، أتاحه تقاطع ثلاثة أودية جارية تنبع من جهات متعددة، هي واد مسعود المتصل بواد الساورة وواد زوزفانة، وواد أمقيدن، وواد قاريت.

ولعل ذالك التميز للقطر التواتي، وموقعه وخصائصه الطبيعية هو الباعث على الجدل المتنامي بشأن إشكالية حمل المنطقة اسم " توات " ، حيث تنوعت الروايات وتعددت التفسيرات ، ما بين اللغة والإصطلاح، وإن كانت محصّلة نقد الروايات قد أوصلتنا إلى نتيجة مؤدّاها أن التسمية مرتبطة بالقبائل الزناتية التي اختطت قصور المنطقة ، وخلّدت عبورها من خلال أسماء دالة عليها، ومنه استنتجنا أن الكل لم يشذ عن المكونات والأجزاء .

كما أن الأمر الهام الدال على عمق منطقة توات اسماً ومسمًّى ، هو وروده في أمهات المصادر التاريخية ، كعِبر ابن خلدون ووصف الوازان ورحلة ابن بطوطة وغيرها، مقرونا بتفاصيل وجزئيات عمّن عمّر المنطقة عبر تاريخها الطويل من بربر وعرب وأفارقة وبرامكة ويهود.

القسم الأول

الخلفية الثقافية والأوضاع العامة بالجنوب الجزائري وتأثيراتهما على الحركة العلمية

الفصل الأول: الخلفية التاريخية للحركة العلمية بالجنوب الجزائري وتأثيراتها على الحركة العلمية

المبحث الأول: الجذور التاريخية للحركة العلمية بالجنوب الجزائري

المبحث الثاني: الحركة العلمية قبيل القرن 16 م

الفصل الثاني: الأوضاع العامة بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني وأثرها على الحركة العلمية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

المبحث الرابع: الأوضاع الدينية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

تقديم:

تعرفنا في الفصل التمهيدي على المميزات الطبيعية والجغرافية للمنطقة التواتية واستعرضنا الخصائص التي أعطت توات أهمية سياسية وتجارية ساهمت في استقطاب العلماء من مختلف الحواضر الأخرى الذين أسسوا للحراك الثقافي الذي عرفته المنطقة ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي وبالإشارة إلى أولئك العلماء المؤسسين لما بات يعرف بحاضرة توات، تجدر الإشارة كذالك إلى الحديث عن مختلف الأوضاع التي سادت توات خلال الفترة الحديثة وانعكاسها على الحياة العلمية، ففي الجانب السياسي تبرز أطماع الدول القائمة في المغرب الأقصى في استقطاب منطقة توات وبسط نفوذها عليها، وبالمقابل تبرز كذالك مظاهر رفض التواتيين لتلك الأطماع ولجوئهم إلى تنصيب هيئات قيادية محليّة تتولى مقاليد الحكم والفصل في النزاعات ، كما تتجلى أيضا التطلعات العثمانية نحو المنطقة ومدى محدوديتها، إضافة إلى تأثّر الحركة العلمية بطبيعة الوضع الإقتصادي والتراتُبيّة الهرمية في المجتمع التواتي وصدى الحركتين الصوفية والوهابية وتمسك الساكنة بالمذهب المالكي.

الفصل الأول: الخلفية التاريخية للحركة العلمية وتأثيراتها على الحركة العلمية

أولا – الجذور التاريخية للحركة العلمية بمنطقة توات

ترجع جذور النهضة العلمية التي عرفتها منطقة توات في مطلع العصر الحديث إلى عوامل متراكمة سبقت ذلك الزمن، لأنّ الحاصل لم يكن ليَنبعث من عدم، ولعل العامل الرئيسي في بوادر تلك النهضة العلمية هو توافد علماء إجلاء على المنطقة، وما خلّفوه من تآليف وتصانيف ورجال، فأسسوا لما بات يعرف بالحاضرة العلمية فيما بعد.

ومن أوائل أولئك العلماء الوافدين على المنطقة:

– **الشيخ سليمان بن علي الإدريسي**[1]: الذي حلّ بالديار التواتية قادما من فاس سنة 580هـ/ 1184م حيث نزل بتينيلان ثم انتقل بعدها إلى أولاد عيسى سنة 1197م، ثم استقر أخيرا بأولاد أوشّن سنة 595هـ/ 1199م، وأسس بها زاويته التي أصبحت مقصدا للطلبة من كل مكان وملجأ للفقراء وعابري السبيل خاصة من حجاج بيت الله الحرام، الذين وجدوا فيها مكانا للراحة والفتوى حول مسائل الحج، كما ضمت الزاوية خزانة عامرة بكتب الفقه والحديث والنحو ومختلف أصناف العلوم.[2]

---

[1]- هو الشيخ سليمان بن علي بن عمر بن احمد بن أبي بكر بن احمد بن علي بن محمد بن يوسف بن موسى بن عمر بن صفوان بن خالد بن زيد بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله، بن الكامل بن الحسن، المثنى بن حسن السبطي بن علي – كرم الله وجهه- ولد بفاس سنة 549هـ/ 1154م، درس على يد الشيخ علي بن حرزهم وهو الذي أمره بالذهاب إلى توات ولاستقرار بها سنة 580هـ/ 1184م، عرف بالعلم والزهد والتواضع، وله مناقب مشهورة، توفي سنة 670هـ/ 1271م. يُنظر: مؤلف مجهول، تقييد في نسب ومناقب الولي الصالح سيدي سليمان بن علي، مخطوط بخزانة سليماني، آدغا، أدرار، ص 01 وما بعدها.

[2]- مبارك جعفري، المرجع السابق ص 123-124.

– **عيسى بن محمد البطّيوي:** حل بتوات سنة 714هـ/ م، استقر بتمنطيط وشهدت له الجماعة التواتية بحسن الأخلاق وبالعلم الغزير فعين قاضيا للجماعة بالمنطقة وسار في الناس سيرة العدل والإنصاف.[1]

– **القاضي أبو يحى بن محمد المنياري:** قدم من المغرب الأقصى إلى توات عام 815هـ/1412م، حيث نزل بتمنطيط، فأسس بها مدرسة لنشر العلم والمعرفة بين الطلبة المنتسبين، وحدد مقادير المكاييل والموازين وضبط قوانين الشرع.[2]

– **الشيخ يحيى بن يدر بن عتيق التدلسي**[3]: (ت 877هـ/1472م) نزل بتمنطيط سنة 845هـ/1441م،اجتهد في تكريس مبادئ اللغة العربية، وتدريس الفقه المالكي معتمدا على مصنفات المذهب كالمدونة ومختصر ابن الحاجب والموطأ وغيرها، مما أهله لتولي القضاء بالبلد، تتلمذ على يده كثيرون، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وعبد الله العصنوني وغيرهما[4].

– **محمد بن عبد الكريم المغيلي**[5]: (ت 909هـ/1504م)، قدم من تلمسان وحلّ بتمنطيط سنة 882هـ/1478م، كان عالما ومصلحا ومجددا ومفتيا، أفتى بطرد يهود توات

---

[1]- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14 ط2 دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2007،ص8.

[2]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام ، مصدر سابق ص 18.

[3]- نفسه.

[4]- أحمد الحمدي، محسن بن عبد الكريم المغلي، رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره. رسالة ماجستير وهران 2000، ص74 وما بعدها.

[5]- هو محمد بن عبد الكريم المغيلي، تعود أصوله إلى مغيلة ضواحي تلمسان، ولد على الأرجح سنة 820هـ/1417م، درس في تلمسان، ومدينة الجزائر، وبجاية، من شيوخه عبد الرحمان الثعالبي ويحيى بن يدير التدلسي، هاجر من تلمسان صوب توات وحلّ بأولاد يعقوب بتمنطيط سنة 882هـ/1478م، وعند وصوله استهجن ما وجد فيها من سيطرة لليهود واستعلائهم، فأعلن الحرب عليهم، وأمر بهدم كنائسهم، لكن كثير من العلماء وقفوا في طريقه منهم قاضي توات عبد الله العصنوني، وجرى السجال بين الإثنين ومراسلات لعلماء الحواضر الأخرى وبوصول بعض أجوبة من أيدوه توجه لكنائس اليهود وهدمها وأمر بإخراجهم. توجه بعدها إلى بلاد السودان الغربي دعيا ومصلحا ليعود بعدها

وهدم بيعهم وأثنى على علماء توات وعلمائها قائلا: "... و دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام، فانتفعت بهم وانتفعوا بنا[1]." ويعتبر الشيخ المغيلي أول من أدخل الطريقة القادرية لبلاد توات وأحد أكبر ناشريها فكانت له بذلك شهرة واسعة تعدت آفاق توات إلى ربوع إفريقيا.

– **الشيخ ميمون بن عمرو بن محمد الباز[2]**: (ت 901هـ/1496م)، قدم مع أبيه وأخيه التهامي من فاس بالمغرب، بعد أن تتلمذ على يد شيخه الإمام محمد بن أحمد بن غازي المكناسي، كان مجيئه في نهاية القرن التاسع هجري، كان أول نزوله بتمنطيط ثم استقر بأولاد محمود بالقرب من المطارفة ومنها اتصل بالعالم الجليل عبد الله العصنوني الذي كان قاضيا بتوات خلال تلك المدة فتزوج ابنته السيدة فاطمة، ويعتبر الشيخ ميمون أول من أدخل مختصر خليل إلى توات بعدما أجاب في نازلة طُرحت عليه بما يحفظ عن شيخه ابن غازي المكناسي، لكن إجابته لم تلق قبولا من طلبة توات في مجلس الشيخ العصنوني، فرحل إلى فاس وجاء بالمختصر فدرسه ودارسه مع الطلبة، فاستحسنوه وعكفوا على دراسته وإشاعته في ربوع توات[3].

إلى قصر بوعلي بتوات حيث بنى زاوية له وتوفي بها سنة 909هـ/1504م تتلمذ على يده كثيرون منهم عبد الجبار الفجيجي والعاقب الأنصمي وغيرهما، كما ترك مؤلفات عديدة منها مصباح الأرواح في أصول الفلاح وغيره. تُنظر ترجمته في: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص 253. وكذلك: رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003، ص 71.

[1]- الصديق حاج أحمد، المرجع السابق ص 50.

[2]- تُنظر ترجمته في درة الأقلام، ص 30، 32.

[3]– ذكر الشيخ محمد بن عبد الكريم التمنطيطي مضمون المراجعة التي تمت بين الشيخ ميمون والعلماء، ويتعلق الأمر برجل اشترى أَمَة من بائعها على أنها ثيب فإذا بها بكر. يُنظر: محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر نفسه، ص 18.

وإدخاله المختصر كان لاعتماده في الفتوى والتدريس، وإلا فإن مختصر الشيخ خليل عُرِف في حلقات التلمسانيين، وعنهم أخذه الشيخ المغيلي الذي وضع عليه شروحا، ودخول المغيلي إلى توات كان قبل هذا التاريخ بكثير، فيكون إدخال الشيخ ميمون بمعنى اعتماده في الفتوى والتدريس لا نفس الإدخال.

ويعد هذا الشيخ الجليل أب العائلة البكرية بتمنطيط التي تميزت بعلمائها الذين كان لهم فضل جمٌّ في إدارة عجلة الحركة العلمية التي عرفتها المنطقة آنذاك مثلهم في ذلك مثل رموز العائلة العصنونية بتمنطيط نفسها الذين فاقت شهرتهم في التدريس والإفتاء والقضاء ربوع توات خاصة منهم عبد الله بن أبي بكر العصنوني، ثم خليفته ابن أخيه سالم العصنوني وقد ذاع صيت الشيخ العصنوني إثر السجال الحاد بينه وبين الشيخ المغيلي(ت909هـ/1503م)، حول نازلة اليهود وهدم بيَعهم في توات، والذي تجاوز صداه الحدود التواتية إلى فاس وتلمسان وتونس وغيرها من كبريات الحواضر الإسلامية، وشغل العلماء والمشائخ المغاربة، فيما يمكن اعتباره تدويلا ثقافيا فكريا لتلك النازلة التواتية.

ثانيا- الحركة العلمية بالجنوب الجزائري قبيل القرن 16م

أشرتُ سابقا إلى أن المنطقة التواتية لم تعرف أي حركة علمية أو فكرية إلا بعد توافد العلماء إليها بدءا من القرن السادس الهجري/12م، بقدوم مولاي سليمان بن علي، غير أن بوادر الإرهاصات العلمية والفكرية التي بذر بذورها الشيخ سليمان بن علي ظلت تراوح مكانها، حيث أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي أثر للحركة العلمية بالمنطقة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، بيد أن أول إشارة للحركة العلمية بالمنطقة نجدها خلال القرن الثامن الهجري ، وهو القرن الذي عرفت فيه الحركة العلمية انتعاشا ملحوظا لاسيما بمنطقتي تمنطيط وأولاد سعيد فقد عرفت تمنطيط خلال القرن الثامن الهجري حركة علمية شبه مزدهرة

نظرا لنزول العديد من العلماء بها، الذين فروا من أوطانهم بسب تردي الأوضاع السياسية، غير أن هذه الحركة العلمية ظلت في بدايتها ملتصقة بالقضاء.

كما عرفت منطقة أولاد سعيد في الفترة نفسها حركة علمية ملموسة تمثلت في ظهور عدة شخصيات علمية، أمثال محمد عبد الرحمان العبدلاوي[1]، والحاج محمد الطاهر الفاعوني[2]، وموسى بن المسعود[3]، وعيسى بن أحمد الحفصي[4]

وإذا ما رجعنا إلى تمنطيط، خلال نفس الفترة، فإن من الشخصيات العلمية التي احتضنتها هي شخصية القاضي سيد أعمر الفودودي[5] الذي تقلد القضاء بعد البطيوي، حيث استمر في منصب القضاء حتى وفاته عام 800هـ.

والمتتبع لمسار الحركة العلمية في القرون القليلة التي سبقت القرن السادس عشر يلحظ أنها تراجعت تراجعا ملموسا خلال القرن التاسع هجري مقارنة بسابقه الثامن هجري، فقد كثرت

1- **محمد عبد الرحمان العبدلاوي :** من علماء القرن 8هـ بناحية قورارة. يُنظر: تقييد مخطوط حول أعلام قورارة، ص8. خزانة عبد المالك الصوفي- زاوية بدريان- تيميمون- أدرار.

2- **الحاج محمد الطاهر الفاعوني :** من علماء القرن 8هـ. تولى القضاء بنواحي أولاد سعيد ينظر: تقييد مخطوط حول أعلام قورارة، المصدر نفسه، ص 13.

3- **موسى بن المسعود:** من أعلام القرن 8هـ، تلقى علومه على يد والده، كما تتلمذ على يد أحمد بن يوسف الملياني، توفي بداية القرن 10هـ. ينظر: الشيخ لمرابط، الكنز المفقود في حياة ومآثر موسى بن المسعود (بحث غير منشور) تيميمون، ولاية أدرار. للتوسع في ذكر نبذة عن حياته ينظر: الحاج صديق، المرجع السابق، ص 72.

4- **عيسى بن محمد الحفصي:** هو الشيخ عيسى بن أحمد بن بابكر بن موسى بن أحمد الحفصي – نسبة إلى عاصم بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه- ولد سنة 801هـ/1398م بالشارف ناحية تيميمون، وبها بدأ دراسته الأولى ثم انتقل إلى تبلكوزة، حيث حلقات شيخه الحاج الشيخ أبا محمد، ولما تحصل على الإجازة العلمية، توجه قبلة تمقطن بأولف فجاور القبائل التي كانت متواجدة هناك، أولاد عمر، وأولاد التفريج، وأولاد يحي، وبنى مسجدا أعلى الربوة، ومنه حمل مشعل التوجيه والتدريس، في فنون شتى، كالفقه والتفسير ، الحديث ، التاريخ ، اللغة ، المنطق ، الفرائض والحساب، فصار قبلة للناس يرجعون إليه في الفتوى، توفي سنة 883هـ/1478. يُنظر ترجمته كاملة في: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج2، ص 575.

5- مما يذكر عنه أنه قام بحفر خندق أمام مجلس قضائه خصصه لسجن الظالمين. أنظر: حليمة كحلاوي ومريم نيكلو، تاريخ القضاء بتوات الوسطى من النشأة إلى نهاية القرن 13هـ، دراسة غير منشورة، أدرار ص 13.

في القرن التاسع هجري الحواشي، وتحشية الحواشي، والاهتمام بالعناوين المسجوعة والتباري في سجعها، وغلق باب الاجتهاد وذلك راجع إلى عدة أسباب لعل أهمها:

- الإضطرابات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب نتيجة ضعف الدول القائمة آنذاك الزيانيين والمرينين.

- تردي الأوضاع الإقتصادية والتي ألقت بظلالها على الحياة الثقافية.

الفصل الثاني: الأوضاع العامة بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني وأثرها على الحركة العلمية

أولا- الأوضاع السياسية:

سبقتْ الإشارة عند الحديث عن الخلفية التاريخية لتوات أن المنطقة التواتية في عصرها الوسيط ظلت تتراوح بين الإستقلال أحيانا وبين غارات الأعراب والخضوع للممالك المجاورة أحيانا أخرى حتى مطلع العصر الحديث ومجيء العثمانيون وقيام دولة الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى.

هاتان الدولتان اللّتان كان لهما التأثير البالغ في مسرح الأحداث السياسية في المنطقة التواتية في العصر الحديث، حيث ارتبط تأثيرهما بفترة قوتهما وطبيعة اهتمام حكامهما وكذا التنافس بينهما.

1- التطلعات العثمانية نحو منطقة توات:

رغم بُعد المسافة بين توات ومراكز البيالك ومقاطعاته في الشمال الجزائري إلا أن العثمانيون لم يفرطوا نهائيا في المنطقة التواتية، فقد قدموا إلى توات بدعوة من أهلها سنة 987هـ/1579م، حين هاجمت بعض قبائل تافيلالت المنطقة في العام الذي سبقه 1578م، فاستعان السكان بحاكم الجزائر العثماني[1] الذي أرسل جنوده في حملة استطلاعية لتوات لمساعدة

[1]- يُرجح أن يكون البايلرباي حسن فنزيانو، الذي تولى حكم الجزائر في شهر ربيع الثاني 985هـ/ جوان 1577م، أصله إيطالي وبعد أسره تم بيعه لقلج علي الذي عينه العثمانيون باي لارباي على شمال إفريقيا، اشتهر بالحزم والنشاط الحربي مدة ولايته، تمت تنحيته سنة 989هـ/ 1580م، لكنه عاد مرة ثانية لحكم الجزائر من سنة 991هـ/ 1583م، إلى غاية 993هـ/ 1585م، استدعي بعدها ليقود الأسطول العثماني مكان قلج علي.أنظر: رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط 3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2000م، ص 350.

الأهالي في صدّ العدوان[1] دون البث النهائي في مستقبل المنطقة التواتية وعلاقتها بالسلطة المركزية.

وإذا تأملنا وقائع وخلفيات هذه الحادثة نلحظ الإحساس بالولاء غير المصرّح به من طرف ساكنة توات، والإعتقاد منهم بأحقية العثمانيون كخلافة إسلامية بنجدتهم على اختلاف اعتقادهم بالقبائل والممالك الأخرى التي كانوا يرون في مجيئها لبلدهم مجرد غزاة باحثين عن السيطرة والنفوذ، هذا من جهة أهل المنطقة، أما من جهة العثمانيين فإن استجابة الحاكم العثماني لنداء سكان توات ونجدتهم فإن دلّ على شيء فإنما يدل على الإحساس بالمسؤولية تارة وبالرغبة في بسط نفوذه تارة أخرى باعتقادهم أنهم أولى بالمنطقة من غيرهم، لذا لم يكن ترددهم على توات كله بالسلاح، ففي سنة 990هـ/1582م ، قام جعفر باشا[2] ابن باي طرابلس بجولة إلى توات مصحوبا بعشرة علماء متضلّعين في أصول المذهب المالكي وفروعه فاستقبله بعض العلماء التواتيين[3] ومكث هذا الوفد سنة كاملة ناظَر خلالها مع علماء توات في قضايا مختلفة[4].

و قد تميّزت هذه الجولة بطابعها العلمي الديني حيث حرص الأتراك على تبيان اهتمامهم بالمذهب المالكي الشائع بالمنطقة، جنبا إلى جنب مع المذهب الرسمي للدولة العثمانية وهو الحنفي.

---

[1]- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 26.

[2]- **جعفر باشا:** من أشهر الحكام العثمانيين في طرابلس الغرب " ليبيا" خلف علج علي في الحكم واستطاع فرض الأمن والهدوء في المنطقة، واحتل فزان ومنطقتها سنة 1577م. وكانت برقة وفزان تحت تأثير التبعية الإسمية للعثمانيين في مصر، وهكذا بدأت تظهر خريطة ليبيا الموحدة. ينظر: محمود علي عامر و محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث المغرب الأقصى وليبيا، الجمعية التعاونية للطباعة بدمشق، سوريا، د.ت، ص 192.

[3]- مؤلف تواتي مجهول، تقييد في تاريخ توات (ذكر ما وجد من الأخبار التواتية)، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص 01. أيضا: محمد بن مبارك، تاريخ توات، مخطوط بخزانة المنصور ، أقبلي، أولف، أدرار، ص 03.

[4]- بهية عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 13.

إن انشغال العثمانيين بالأحداث الدائرة في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا وأيضا بمستجدات دولتهم المترامية الأطراف وتركيزهم على الشمال الجزائري، قلّل من رغبتهم في التدخُّل في المناطق الجنوبية للقطر الجزائري[1]، مما جعل تأثير الوجود العثماني في الجزائر على التسيير الإداري لتوات قليل أو يكاد ينعدم، حيث حافظت المنطقة على نمطها الإستقلالي[2] مقابل ضريبة رمزية على الساكنة[3]، في إشارة ضمنية دالة على الإعتراف والولاء، وهو ولاء ضعف بضعف أتراك الجزائر وتربص السلاطين السعديين، حتى إذا ما ظهر حاكم عثماني مهيب الجانب، عاد السكان إلى ممارسة تبعيتهم الرمزية، التي لم تتعد دفع المكوس المفروضة أو الدعاء للعثمانيين أحيانا، وهذا ما انتبه إليه صالح بن مصطفى[4] باي قسنطينة (ت 1206هـ/1792م)، في

---

[1]- بسط الأتراك العثمانيون نفوذهم على الجزائر ازيد من ثلاثة قرون (925هـ - 1246هـ/1518م- 1830م)، إلا أن كثيرا من المناطق الجنوبية الصحراوية ظلت عصية على سيطرتهم، ورغم ذلك فقد أقام العثمانيون الحاميات العسكرية في بعض المدن الداخلية البعيدة مثل بسكرة، كما تمكن حاكم بايلك قسنطينة صالح باي (ت 1206هـ) من دخول الأغواط، وإخضاع جبال عمور والصحارى وما حواليها، أما جماعة بني مزاب في غرداية وبني جلاب في تقرت، فقد رأوا أن لا مندوحة لهم عن افتضمام للسلطة المركزية، فراسلوا صالح باي بذلك مقابل الإحتفاظ بنوع من الإستقلال والنظام الداخلي. ينظر: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م ص 138. وأيضا: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م، ج08، ص520.

[2]- تمتع التواتيون خلال الفترة الحديثة بقسط كبير من الحرية والإستقلالية، في ظل انقطاع الحماية العثمانية التركية، وعجز دول المغلاب الأقصى عن السيطرة المطلقة على المنطقة، و ساءت العلاقات المغربية العثمانية في القرن 12هـ بسبب اختراق العلويين الحدود المتعارف عليها، فقد قامت قوات السلطان المغربي اسماعيل (ت1139هـ/1727م) بالتوغل شرقا وجنوبا بحجة مطاردة قبائل عربية معتدية ، فردت السلطات العثمانية بالمثل، ودعمت القباءل المغربية الثائرة على العلويين، وبعد أن قسم السلطان المذكور حكم المغرب بين أولاده، غدوا يتنافسون في توسيع حدود مملكتهم إلى الجنوب الجزائري. ينظر: عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1989م، ص 444.

[3]- محمد باي بلعالم،الرحلة العلية، مرجع السابق، ج 02، ص 41.

[4]- **صالح بن مصطفى:** باي قسنطينة من أشهر البايات في الجزائر العثمانية، ذو فضائل كثيرة، عرف بحنكته السياسية وكثرة إنجازاته منها تأسيس الجامع الحنفي والمدرسة الكتانية بقسنطينة سنة 1189هـ/ 1775م، والجامع الكبير بعنابة سنة 1791م، تم عزله من طرف الداي بعد أن اتهم بالتآمر على السلطة المركزية في العاصمة، أعدم يوم الأحد

عهد الداي محمد عثمان باشا سنة 1788م، إثر تأخر البعض في دفع الضرائب، حيث أرسل جنوده لتحصيلها وعقاب المتأخرين عن موعد سدادها ووصل هؤلاء الجنود العثمانيون لمدينة عين صالح التي حملت اسم باي قسنطينة[1].

و لم تكن هته الإتاوات لتغير من نظرة سكان توات للعثمانيين على أنهم حماة لديار الإسلام والمسلمين بل كثيرا ما مجدوا انتصاراتهم وتعاطفوا مع قضاياهم وذاك ما نلحظه في رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التنلاني إلى الجزائر العاصمة سنة 1231هـ/1816م، حين يمجد ما قام به حاكم الجزائر آنذاك الدّاي عمر باشا.[2]

ويتجلى كذلك هذا التعاطف والتمجيد للعثمانيين من طرف سكان توات – كاعتراف منهم ضمني بالولاء- في التفاعل مع الإنتصارات التي كان يحققها آل عثمان المسلمون على النصارى الصليبيين في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها صدهم لحملة نابليون على مصر عام 1213هـ/1798م، ومقارعتهم للفرنسيين بعدها ودحرهم من على أسوار مدينة عكا بفلسطين، حيث جادت قريحة الشاعر أبي العباس أحمد زروق الجعفري البوداوي (ت 1244هـ/1828م)، بقصيدة جاء فيها[3]:

قُلْ للفرنسيس كَبَا جِدُّكُمُ *** وَردتم وِردا بِلا مَصدَرِ

البرُّ والبَحرُ بساط لكم *** لا فَوْتَ إن الله منكم برِي

---

16 محرم سنة 1207هـ، الموافق ل 01 سبتمبر 1792م. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1980، ج 3، ص 278.

[1]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع نفسه، ج 02، ص 41.

[2]- عبد الرحمان بن إدريس التنلاني، رحلة إلى الجزائر العاصمة، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام- أدرار- الجزائر- ص 10.

[3]- أحمد جعفري أبا الصافي، أدب المقاومة في توات دراسة في الأعلام والمظاهر، أعمال الملتقى الوطني الرابع" إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبّان العصر الحديث"، جامعة أدرار 19- 20 أبريل 2010م، ص 61.

حسبتم مصر كمَالطَة *** وصادقُ اللّهجة كالمفتري

هَيْهَات هيهات لا مفرَّ لكم *** إلا على الصَّارم و السُّمَّرِ

من آلِ عُثمان أتاكم فتى *** لأخذ ثأر الدِّين في مَعشَرِ

أسود خِضابٌ فوق صافِنَةٍ *** في طالحٍ يسمو على المشتري

نحن للهيجاء أنفُسُهُم *** من غير ما درعٍ ولا مَغْفَر

نفوسهم باعوا وأموالهم *** بجند وربنا المشتري

كل فتى يا وَيلَكُم باسِلٌ *** نَدْبٌ هُمَامٌ طَيِّبُ العُنصُر

جمعوكم ما بين قتلى وَمَن ***في القَيد يختَالُ بلا مِئْزَرِ

ما هي بالأولى عليكُم لنا *** وما عَدَدْتُم قَطُّ بالخَنْصَرِ

هذه القصيدة – وكما سبق ذكره- تمجّد العثمانيين كونهم حاملي راية الخلافة الإسلامية وتعبر عن الإجلال الذي يكنّه التواتيون للدولة العثمانية كونهم لم يمسهم منها بأس أو ضيم، على خلاف ما لقوه من الدول المتعاقبة على حكم المغرب الأقصى، والتي جعلت ضمن أهدافها السيطرة على منطقة توات.

2- توات ومحاولة الاستقطاب المغربي (محاولة النفوذ و الهيمنة)

نظرا للأهمية التي تتمتع بها المنطقة التواتية كونها الممر المفضل لقوافل التجار المتجهين من شمال بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي، فقد كان عرضة للمحاولات المتكررة من طرف الممالك المتعاقبة على المغرب الأقصى، إلا أن تلك المحاولات تعارضت مع رغبة التواتيين في

الإستقلال ومقاومة أي شكل من أشكال الإحتواء، فظلت توات لقرون عدة محل صراع بين الإستقلالية والمخزنية[1].

بدأت المحاولات المغربية الأولى للسيطرة على توات في عهد المرينيين إلا أنهم- كما سلف ذكره- تراجعت سيطرتهم بتراجع دولتهم وضعفها ولم يكن لأبناء عمومتهم الوطاسيون[2] محاولات للسيطرة على توات نظرًا لتحديات البرتغال والسعديين لهم، وبتمكن السعديون من إقامة دولة لهم على أنقاض الوطاسيين، عملوا مجتهدين للتوفيق بين حماية بلادهم من الخطر الإيبيري شمالا والتوسع نحو توات وبلاد السودان جنوبا، هذه الرغبة في التوسع التي تجلت بوادرها منذ السلطان الثاني في دولة السعديين[3] فقد أرسل السلطان محمد الشيخ (ت 964هـ/1557م) حملة عسكرية إلى توات واجهتها كوكبة من الجنود الأتراك ودحرتها على أعقابها[4]. وظلت المنطقة أسيرة الصراعات العثمانية المغربية في عهد هذا السلطان الذي رفض الإعتراف بسلطة الأتراك على المغرب الأوسط ونعت السلطان سليمان القانوني بسلطان

---

[1] - Mario vivarer ,Au Sujet du Touat, Alger ;librairie Michel Ruff ,1896,p : 13.

2- **الدولة الوطاسية:** نسبة إلى بني وطاس، من القبائل الصنهاجية، اللمتونية، قامت على أنقاض الدولة المرينية التي تشتت، وضعفت، عقب التدخلات والضربات البرتغالية على المغرب، حيث يعتبر الزعيمان، محمد الشيخ الوطاسي، ومحمد الحلو من أهم زعماء بني وطاس، اللذان تقلدا وظائف عليا في الدولة المرينية، وحاولا إنقاذ البلاد إثر التدخلات البرتغالية، ينظر: حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978، ص 194.

[3]- **الدولة السعدية:** من الدول التي قامت بالمغرب الأقصى، تُنسب إلى محمد النفس الذكية، فهم بنو عم العلويين، وهذا ما أثبته اليُفراني في نزهة الحادي، أما المقري صاحب نفح الطيب، فقد نسبهم إلى بني سعد بن بكر بن هوزان، وقيل إنما لقّبهم العامة بالسعديين تيمّنا لأنهم سعدوا بدولتهم، تأسست جنوب المغرب على يد أبي عبد الله محمد القائم، إثر حركة شعبية حاربت البرتغال والوطاسيين، من ملوكها أبو العباس أحمد الأعرج، ومحمد الشيخ، والمنصور الذهبي وابنه زيدان، عرفت ازدهارا فكريا واقتصاديا، حتى سقوطها على يد العلويين سنة 1069هـ/1659م. يُنظر: أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج05، ص ص 03- 07.

[4]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 02، ص 54.

الحوَّاتة، لأن البواخر العثمانية كانت تجوب البحر المتوسط بكثرة، فتم اغتياله بالحيلة والدسيسة على أيديهم[1].

وبعد انتصار السعديين في معركة وادي المخازن[2] سنة 986هـ/1578م على البرتغاليين، وفي الوقت الذي كان يتعيّن عليهم تسيير جيوشهم إلى الشواطئ المغربية لتحريرها من الإحتلال الإسباني، سيَّر سابع سلاطينهم أبو العباس أحمد المنصور الذهبي[3] جيوشه لغزو المناطق الصحراوية، بعد أن أبى سكان توات الطاعة والإمتثال، وفي هذا الشأن يقول اليفراني (ت 1153هـ/1740م) : " لما استقر المنصور بمراكش طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد توات وتيكورارين، إذ كان أهلهما قد انفكت عنهم أيدي الملك منذ زمان و لم يستول عليهم سلطان قاهر فبعث إليهما قائديه أحمد بن بركة وأحمد بن حداد العمري المعقلي، في جيش عرمرم... فنازلوهم وقامت الحرب بينهم على ساق وطالت المعركة بينهم أياما، وانتهى الفتح

---

[1]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، ط 1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1978م، ج 2، ض 281.

[2]- **معركة وادي المخازن:** هي معركة حاسمة في تاريخ المغرب، كسر فيها السعديون شوكة البرتغاليين، وقضوا بذلك على سطوتهم الحربية والسياسية، وقعت قرب القصر الكبير بالعرائش، شارك فيها العلماء والصالحون، واستخدمت المدافع. تسمى أيضا معركة الملوك الثلاث حيث قتل فيها ملك البرتغال دون سباستيان، ومحمد المتوكل المخلوع، وعبد الملك المعتصم متأثرا بمرضه، بويع على إثرها أحمد المنصور الذهبي ملكا، ينظر: إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ج 02، ص 292.

[3]- **أحمد المنصور الذهبي** بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي، أعظم الملوك السعديين وأشهرهم، ولد بفاس عام 1594م/ 956هـ، بويع في ساحة معركة وادي المخازن يوم الإثنين 4 أوت 1578 بعد وفاة السلطان عبد الملك. يعتبر عهده الذي دام حوالي 26 سنة أزهى عهود الدولة السعدية رخاء وعلما وعمرانا وقوة، توفي سنة 1012هـ/ 1603م. ينظلر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م، ج 03، ص 1124.

للمنصور ففرح بذلك، وقال في ذلك الشعراء قوافي[1]، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين وتسعمائة[2].

ويصوِّر الفشتالي- وهو من كتَّاب المنصور- (1031هـ/1622م)، حجم الرعب والفساد الذي قام به عساكر المنصور – وإن كان هو يَظهر منتشيا بذلك- : " وامتنعوا من إلقاء اليد فأذاقهم العساكر نكال الحرب وساموهم لسوء العذاب من النار الموقدة، وإرسال الصواعق عليهم، عامة يومهم، حتى توارت الشمس بالحجاب، فوصلوه بالليل، و لم تمض منهم طائفة حتى اقتحموا عليهم البلد غلابا وتناولتهم السيوف وانطلقت أيدي العساكر بالنهب والعيث في المنازل".[3]

---

[1]- هي قوافي (قصائد) نظمها بعض شعراء المغرب لتهنئة المنصور الذهبي بعدما تمت له الغلبة على توات، وهي كثيرة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهمية ضمّ توات إلى أقاليم الدولة السعدية بالنسبة لهم، ويذكر المقري شيئا من هذه القصائد كقصيدة محمد الهوزالي (ت 1050هـ/ 1640م) التي جاء فيها:

فتوح جنا المنصور في عرصاتها ★★★ أزاهر نظر يانع من غِصانها

ولا روض إلا من كثيف كتائب ★★★ ولا سقي إلا ما جرى من طِعانها

كتائب منصورية قدفت بهاً ★★★ مرام نأت عن أرضها ومكانها

فألقت مقاليد الأمور إلى الذي ★★★ نضا العزّ عنها فارتدّت بهوانها

ينظر: أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م، ص 31.

[2]- محمد الصغير اليفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوداس، أنجي: مطبعة بردين، 1888م، ص 87. أيضا: هاشم بن أحمد بن عبد الرحمان، المحن والشدائد، مخطوط بخزانة سليماني، آدغا أدرار، ص 08.

[3]- عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف. الرباط(دت) ص 76.

كان لما ارتكبه الجيش السعدي في حق أهل قورارة أثر في نفوس أهل توات الوسطى، فعلموا أن لا طاقة لهم بمقاومة الحصار ودفاع العساكر، فسقطت عاصمة المنطقة تمنطيط وسائرها في أيديهم سنة 989هـ/1581م[1].

و لم يقتصر المنصور على ما قام به عساكره من نهب وفساد في توات، بل كان كما يصفه الناصري: " يوظف على الرعية أموالا طائلة، يلزمهم بأدائها، وزاد الأمر على ما كان عليه في عهد أبيه، وكانت الرعية تشتكي ذلك منه ونالها إجحاف من عماله.[2]

لكن التواتيون سرعان ما رفضوا ذلك الهوان والإنقياد، وتاقت نفوسهم إلى الحرية من جديد، فأعلنوا التمرد والعصيان، وانتفضوا رفقة أجلاب عرب اليمن على قائد البلاد سعيد بن الحسن وقتلوه[3]، فأرسل المنصور الذهبي أجنادا بقيادة مملوكه سليمان وقائده علال بن محمد سنة 997هـ/1589م، فأقاموا في جهات توات لتخريب المارقين من أهلها، وكانوا قد شردوا أمامهم إلى القفر بأولادهم وتركوا الديار والمنازل، فعاث فيها الأجناد ونسفوها نسفا.[4]

وهكذا لم تعط توات عهد الطاعة للمنصور إلا عن قهر وغلبة، فعز عليه أن يجد من أهل المنطقة متعاونا، فقد عرض القضاء على الشيخ محمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون الأمريني فأباه، وآثر التجارة متعللا بثقل الأمانة[5].

---

[1]- اليُفراني، المصدر نفسه، ص 158. أما عند الناصري مكان ذلك سنة 990هـ، ينظر الإستقصا، ج 02 ص 293.

[5]- الناصري، المصدر نفسه، ج 2، ص 370.

[2]- أحمد الناصري، المصدر نفسه، ج 2، ص 371.

[3]- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 115.

[4]- المصدر نفسه، ص 116.

[5]- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، ص 12.

لما ضعفت دولة السعديين بسبب الإقتتال على الملك بين الإخوة وأبناء الإخوة، وكثر خصومها في الداخل المغربي كالسّملاليين[1] في سوس ودرعة وسجلماسة، والشبانيين في مراكش ، والدلائيين[2] في مكناس وفاس، لم يفوّت التواتيون الفرصة فقد قام أبرز علماء توات آنذاك الشيخ عبد الكريم بن محمد البكري بتأييد أبي العباس أحمد ابن أبي محلي[3] في ثورته على السلطان زيدان، وكان ابن أبي محلي قد بدأ حركته من منطقة الساورة[4] – شمال توات– وأخد البيعة بتفيلالت سنة 1018هـ/1609م، وانتهى بالقضاء ولو مؤقتا على السلطة السعدية بمراكش، وقد جرت بينه وبين الشيخ عبد الكريم التمنطيطي زيارات ومهادات[5].

---

[1]– **السّملاليون:** تشكلت حركة السملاليون السياسية بقيادة أبوحسون السملالي شيخ زاوية إيليغ. حيث التفّت حوله قبائل سوس وجعل من إيليغ عاصمة لحركته، وكان أحد العناصر الرئيسية التي اقتسمت السلطة في المغرب بعد سقوط السعديين، ويعتبر أبو حسون السملالي من أبرز أصحاب الزوايا الذين تولوا الأمر في المغرب الأقصى خلال الفترة الإنتقلالية بين دولة السعديين ودولة العلويين، وبقيام الدولة العلوية شنّ السلطان المولى الرشيد سنة 1081هـ حملة على الإمارة السملالية فاستولى على تارودانت وهدم إيليغ، وضمّ بلاد السوس للدولة العلوية. ينظر: أحمد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 79-81.

[2]– **الدلائيون:** وهم أتباع الزاوية الدلائية التي يرجع تأسيسها إلى الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، حوالي 974هـ بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا، أسسها أبو بكر محمد بن سعيد الدلائي، وقد تعاظم نفوذ الدلائيون السياسي وقويت شوكتهم أيام محمود بن الحاج محمد بن أبي بكر الدلائي (1046- 1079ه/ 1636- 1668م) حيث أحكم سيطرته على كامل الشمال المغربي. ينظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط 1964، ص 30 وما بعدها.

[3]– **ابن أبي محلي:** هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، ينتمي لعائلة أولاد القاضي من سجلماسة، أخذ العلم أول أمره في مسقط رأسه ثم انتقل إلى فاس، وهناك أخذ عن شيوخ كثيرين، ثم انعزل في فترة من حياته للتصوف، وبعدها انتقل إلى بني عباس بوادي الساورة، وهناك بدأ مرحلة الإستعداد للثورة على السلطان السعدي، وقد تمكن خلال ثورته من الإستيلاء على سجلماسة ودخول مراكش، لكن ثورته انتهت بمقتله سنة 1022هـ/1623م. من أهم مؤلفاته: الوضاح، الإصليت الخريت، القسطاس، الهودج، منجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور، جواب رسالة الخروبي. يُنظر ترجمته في: محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص8. أيضاً: عبد المجيد القدوري، ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، منشورات عكاظ، الرباط، 1991، ص 37 ومابعدها.

[4]– **منطقة الساورة:** تقع جنوب ولاية بشار الحالية وتشمل مناطق واسعة منها كإيقلي وما جاورها.

[5]– عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2008، ج 2، ص 37.

وهذه المهادات إن صحّ توصيفها فهي دعم وتأييد لمعارضة قائمة ضد سلطة طامعة في التوسع على حساب البلدان والأقاليم المجاورة.

وننقل عن الناصري وصف الوضع الذي آلت إليه دولة السعديين قبل قرابة الثلاثين سنة من نهايتها، قوله: " لما قُتل السلطان عبد الملك بن زيدان (سنة 1040هـ/1630م) بويع أخوه الوليد بن زيدان، فلم يزل مقتصرا على ما كان لأخيه وأبيه من قبله، لم يجاور سلطانه مراكش وأعمالها، وعظمت الفتن بفاس حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين[1] مدة، و لم يصلِّ به ليلة القدر إلا رجل واحد من شدة الهول والحروب[2].

ونتيجة لهذه الأوضاع انهارت دولة السعديين، وزالت بانهيارها هيمنة السعديين عن الأقاليم الصحراوية ومنها توات فمنذ عام 1013هـ/1604م، لم يصل إليها أي قائد مغربي سعدي لأخذ الضرائب من واحاتها.[3]

إن المتأمل فيما ذُكر آنفا عن محاولات السعديين للسيطرة على منطقة توات لم يكن الغرض منها دينا ولا حتى سياسيا بل كان اقتصاديا ماديا، وقد تجلى ذلك بيِّنا في عصر قوة تلك الدولة إذ ما إن ترامت إلى مسامع المنصور الذهبي الأخبار عن كميات الذهب المعتبرة التي تختزنها بلاد السودان حتى سارع في اتخاذ قرار بتجهيز جيش كبير لغزو الصحراء، متخذا من توات طريقا له

---

[1]- **جامع القرويين**: تمّ بناؤه من طرف السيدة أمّ البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني ، بمالها الخاص الذي ورثته عن والدها بدءاً من شهر رمضان سنة 245 هـ/ 859م ، في عهد السلطان يحيى بن محمد بن إدريس ، ثمّ صلّت فيه شكراً لله تعالى الذي وفقّها لذلك . ومع اتساع مدينة فاس أقيمت به الخطبة ، وصُنع له منبر من خشب الصنوبر ، وكان أول من خطب فيه الشيخ عبد الله بن علي الفارسي. يُنظر : علي الجزنائي ، المصدر السابق ، ص46 .

[2]- أحمد الناصري، المصدر السابق، ج 2، ص 373.

[3]- سعيد حراش، دور المدن الجنوبية في الربط الطرقي بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء كرونولوجيا، مجلة المناهل، مارس 1998، عدد 58 خاص بالاقاليم المغربية الجنوبية، ص 178.

وقاعدة ومركز تموين، وتمَّ له ذلك، وحمِل له من ذهب السودان ما يحيِّر الناظرين، ولأجل ذلك لقّب بالذهبي[1].

وهذه الأطماع الاقتصادية هي التي يعبر عنها مؤرخ السعديين عبد العزيز الفشتالي بوصف ينمّ عن حالة من الزهو بالغنائم التي حازها الغزاة بقوله: " قدرت ضروع الجباية في البلاد وقدر القائد أبو عبد الله بن بركة الوضائع على أهلها، وفرض المغارم، فأعطوها عن يد، وبثّ العمال في الجهات، فحملوا إليه من ذلك أموالا جمة[2]."

و لم تنته هذه الأطماع بانتهاء دولة السعديين، فقد تجددت منذ المراحل الأولى لنشأة دولة العلويين[3] التي قامت على أنقاض دولة السعديين، إذ ما إن انتقل الحكم إلى ثاني سلاطينهم محمد بن علي الشريف(ت 1075هـ/1664م) حتى أحيا سنَّة المنصور في المزاوجة بين التجارة والسلطة ومحاولة التوسع جنوبا خاصة بعدما أيقن من صعوبة هزم القوة الدلائية ويئس من السيطرة على شمال المغرب، فغيَّر استراتيجيته وشرع في إنشاء كيان سياسي مركزه تافيلالت وجذوره بالصحراء، حيث سار بجيش كبير دخل به توات ومكث بها أربعة أشهر، وأرغم مشايخ توات على دفع الإتاوات السنوية لبيت المال العلوي[4].

وامتدت سيطرته إلى غاية قصور أوقرت شرقا واستمر السلاطين العلويون في إرسال قوادهم إلى الواحات التواتية في فترات محددة لتحصيل ضرائبها وأعشارها ونقلها إلى المخزن المركزي، وقد غيَّر السلطان إسماعيل هذا التقليد، وعين في الواحات قوادا مقيمين، وكلف أمناء

---

[1]- محمد الصغير اليفراني، المصدر السابق، ص 95.

[2]- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 77.

[3]- **الدولة العلوية:** نسبة إلى العلويين الذين تنتمي إليهم الأسر الملكية حاليا في المغرب، وهم ينتسبون إلى جدهم الأدنى مولاي علي الشريف المنحدر من سلالة علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- وقد استقروا في سجلماسة وأسسوا بها إمارتهم الأولى التي كانت غايتها الأولى المبدئية الجهاد، ويعتبر المولى رشيد المؤسس الفعلي للدولة حيث دخل مراكش وقضى على السعديين سنة 1069ه/ 1659م، يُنظر: الناصري، المصدر نفسه، 077 ص 32- 101.

[4]- بهية بن عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 14.

بعملية نقل الضرائب[1]، ورغم سيطرة السلطان إسماعيل لفترة طويلة على توات لكن ذلك لم يكن كافيا لضمان الولاء التام، حيث اندلعت ثورة كبيرة شملت ربوع توات عقب وصول نبأ وفاته سنة 1140هـ/1728م، تزعمها الشيخ عمر بن محمد من تمنطيط، وانتهت بطرد القائد المخزني "حمدون" ثم تمكن ابنه السلطان عبد الملك من إخماد تلك الثورة و إعادة توات من جديد إلى سيطرة العلويين،[2] وظلت توات خلال القرن 12هـ قبلة للملوك العلويين الذين أدركوا على غرار من سبقهم أهمية المنطقة وضرورة السيطرة عليها، ذلك لأن توات كانت الرئة الوحيدة التي تتنفس منها الدولة العلوية الناشئة بتافيلالت قبل تمددها غربا وشمالا، ولذلك حظيت باهتمام بالغ من العلويين ، في ظل عقيدة متوارثة لدى الدول المتعاقبة على حكم المغرب تشكل فيها التجارة العابرة للصحراء ومعابرها المؤدية إلى السودان الغربي دعامة أساسية[3] لتحقيق أهدافها السياسية.

وقد استمر ذلك التجاذب ردحا من الزمن، لم ييأس خلاله الملوك العلويون من تكرار محاولات الاستقطاب[4]، ولم يرفع إثرها التواتيون راية الاستكانة والخضوع والاستسلام، لما جبلوا عليه – كغيرهم من أبناء الجزائر- من حب الحرية ومقت الهيمنة والاستعباد.

---

[1]- محمد أعفيف، مساهمة في دراسة التاريخ الإجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغرب بتوات في القرن 19، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1982.

[2] - Bernard Saffroy, op.cit,p 07.

[3]- الحسن العماري، المخزن المغربي والتجارة الصحراوية بين القرن 18م، مجلة أمل، عدده 3، السنة العاشرة 2004، ص 143.

[4]- يُنظِّر بعض الكتّاب المغاربة المتقدمين منهم والمتأخرين إلى مغربية منطقة توات وما جاورها عبر التاريخ، ويسوقون في ذلك حجج واهية ويتناسون الثورات المتواصلة طيلة حكم العلويين.

ثانيا- الأوضاع الاقتصادية وأثرها على الحركة العلمية:

الإقتصاد شريان الحياة بالنسبة لأي نظام سياسي أو كيان اجتماعي، وذلك أنه هو الذي يحدّد مدى ثراء المجتمع أو فقره، ولا شك أن الحياة الاقتصادية تستمد وجودها من إمكانيات إقتصادية تتماشى بها المؤسسات المختلفة في الدولة (البلاد) سواء فيما يتصل بالزراعة أو التجارة أو الصناعة.

وإذا كانت موارد الدولة تتحدد من خلال هذه المجالات فإنها تتأثر إيجابا بالوضعية السياسية وما يقوم بين الدولة وجيرانها من حروب، كما تتأثر بالوضع الإجتماعي وخصوصا ما يتصل بالأمن، وكلما كانت الدولة مستقرة أصبح نظامها الاقتصادي أكثر تطورا ورقيا، والحال بالنسبة لمناطق الجنوب الجزائري خلال الفترة الحديثة يبدو غير مستقر بصورة متكاملة نظرا للاضطرابات الداخلية والتدخلات الخارجية.

ونجد في المصادر المحلية الوصف الكامل لهذه الحالة إذْ أنّ بُعد المنطقة وقسوة الطبيعة جعلتا الإنسان التواتي يحاول الاعتماد على نفسه في تأمين قوته وحاجياته وتجسد هذا الاعتماد على مختلف الأنشطة الاقتصادية التي مارسها كالزراعة والصناعة والتجارة.

أ- الزراعة: بالرغم من طبيعة مناخ منطقة توات الصحراوي الجاف، إلا أن الزراعة شكلت أهم نشاط اقتصادي زاوله السكان، فقد استطاعوا تطويع مساحات وحوّلوها إلى واحات خضراء.

و لم تثنِ الظروف المناخية القاسية من عزيمة الإنسان التواتي، الذي تحدى الرمال وطوّع الحجارة، فإذا هي تشقّق فيخرج منها الماء، معتمدا في ذلك على المياه الجوفية الوفيرة[1] التي

[1]- تنتمي ولاية أدرار والتي تشكل توات جزءا منها، إلى الحوض المائي système aquifère du Sahara septentrional المقسم بين الجزائر، تونس وليبيا، تقدر مساحة هذا الحوض بمليون كلم[2]، منها 7000000

يستخرجها بواسطة آبار منفردة أو سلسلة آبار موصولة ببعضها بطريقة عجيبة تُعرف بالفقارة[1]، وهي نظام للسقي أبدع فيها التواتيون فلا يخلو منه قصر من قصورهم، وعنه يقول ابن خلدون:" وفي هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية، لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تُحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة... ثم يجري على وجه الأرض واديا".[2]

وعن الكيفية الفريدة التي توزع بها هذه المياه الباطنية على الحقول يقول الإدريسي:" ... والماء يستخرجونه من باطن الأرض بالفقاقير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة، ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب[3]."

إن نظام السقي في توات كان يضمن لأهلها الحد الأدنى من المعاش، ويحقق لزراعة الواحات حالة من استقرار الإنتاج ما لم تتعرض المنطقة لجائحة كالأوبئة والجراد.

أما عن ملكية الحقول كانت تتوزع على طبقات التركيبة الاجتماعية التواتية – الأشراف المرابطون – الأحرار – ولأن أكثر هؤلاء كان يرى أعمال الحرث أمرا مهينا فكان يوكل للعبيد، ومن لا عبيد له أسلم أرضه للفئة الرابعة- الحراطين- في نوع من أنواع عقود المشاركة

كلم^2 في الجزائر، يمثل نظام إعادة شحن هذا الحوض نحو مليار م^3 في السنة. أنظر: تقرير الوكالة الوطنية للموارد المائية المقدم للمجلس الشعبي الولائي بأدرار، جوان 2008، ص 14.

[1]- **الفقارة:** جمعها فقارات أو فقاقير، وهي مجموعة من الآبار الموصلة ببعضها البعض، تبدأ بإثنين أو ثلاث من مكان مرتفع ثم تسير في سلسلة من الآبار يتناقص عمقها كلما اتجهنا نحو الحقول أو القصر، وينتهي ماؤها جاريا في ساقية على وجه الأرض، والغالب أن تكون الفقارة ملكا مشتركا بين أهل القصر لاشتراكهم في حفرها، وقد تكون ملكا خاصا فيقال فقارة فلان أو بني فلان، قيل أن أصلها الفجَّارة من تفجير المياه والأنهار. ينظر: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 57. وقيل أنها تشبيه لصفة فقارة الظهر أي العمود الفقري. ينظر: محمد بن عمر الجعفري البوداوي، المصدر السابق، ص 14. وفي لسان العرب من الفُقُر وهي آبار تُحفر وينقاد بعضها إلى بعض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج 5، ص 3446.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 07، ص 77.

[3]- أحمد الطاهري الإدريسي، المصدر نفسه، ص 12.

المعروفة في الفقه، ولكن ما كان شائعا في توات هو عقد شركة الخماسة[1]، ومهما يكن من الجدل الفقهي الذي ثار حول هذا النوع من الشراكة إلا أنه ظل السبيل الوحيد الذي حفظ للواحات التواتية خضرتها وديمومة منتوجها.

تعتبر النخيل مؤنسة الإنسان الصحراوي في بيئته القاحلة، لذلك حظيت بالعناية الكاملة منه، فاعتمد عليها بشكل كبير في حياته اليومية، واستغلها بكل تفاصيلها وأجزائها فاتخذ من التمر غذاءه الأساسي، والحطب للتدفئة والطهي، والجذوع لتسقيف البيوت، والألياف لصناعة الحبال والسعف لصناعة القفاف وغيرها.

وتشير المصادر المحلية إلى وفرة المحاصيل الزراعية خاصة محصولي التمر والقمح والشعير، إذ هي المحاصيل التي عني بها الفلاح في المنطقة، إلى جانب محاصيل أخرى ثانوية كالبصل والقطاني والفصة- علفا للدواب- والخضر وأشجار العنب والتين والرمان[2]، وقد أدت وفرة المحاصيل إلى السعة في العيش، وهي الحالة التي وصفها العياشي لما زار المنطقة في القرن11هـ/17م، قائلا: " واشترينا ما نحتاج إليه من التمر، و بها من التمر أنواع كثيرة ووجدنا فيها التمر رخيصا".[3]

تميزت كميات المحاصيل بالتغير زيادة أو نقصانا من سنة لأخرى فالتمر – مثلا- بلغ إنتاجه في توات سنة 1211هـ/1797م، 10841 حملا، بينما وصل في العام التالي 1212هـ/1798م، 59775 حملا من التمر[4].

---

[1]- **الخماسة:** هي أن يساهم الخماس بعمله ويقدم صاحب الأرض أرضه والبذور والمصاريف، وله خمس المحصول. ينظر: محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع في تاريخ الغرب الإسلامي بين القرن 12- 15م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص 380.

[2]- محمد بن عبد الرحمان البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط، خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر، ص 160- 164- 382.

[3]- العياشي، المصدر السابق، ج 1، ص 20.

[4]- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 27.

ويرجع سبب التغير في كميات المحاصيل من سنة إلى أخرى إلى الطرق التقليدية المنتهجة في ذلك الوقت والتي كانت تكاد تنعدم فيها حماية المحاصيل من الكوارث والآفات الطبيعية المتعددة كالجراد والرياح والأمطار الغزيرة وغيرها.

ونتيجة لهذه الكوارث كان من الطبيعي أن يحصل غلاء العيش، ففي سنة 1007هـ/1659م، ضربت منطقة توات مجاعة كبيرة بسبب الجراد، بيع خلالها الرطل الواحد من التمر بمثقال ونصف ذهب.[1]

أما الثروة الحيوانية فلم تكن بالأعداد الكبيرة لعدم وجود المراعي ولذلك اقتصرت على التربية المنزلية المحدودة لأعداد من الأغنام وشيء من الدجاج، ويعتبر الجمل أساسي للعائلات إذ يستخدم في المسافات البعيدة بفضل قدرته على التحمل إضافة إلى الحمير التي لا يكاد يخلو منها بيت لاستعمالها الكثير في الحياة اليومية، أما الخيول فكانت توجد عند العائلات الميسورة الحال.

كان لاهتمام التواتيون بالزراعة الأثر الحسن على الحياة العلمية بمنطقتهم، فقد أوقفوا للزوايا والمدارس القرآنية العديد من البساتين ومياه الفقاقير، إذ لا يكاد يخلو قصرا من دار للوقف وبستان وفقارة، إضافة إلى تشجيع الآباء لأبنائهم من حفظة القرآن وطلبة العلم بتقديم لهم نخيل أو بساتين أو أحيانا خروفا أو شاة تكريما وتشجيعا لهم.

ب- الصناعة: تميزت الصناعة في منطقة توات بطابعها المحلي الذي يعتمد بشكل شبه كلي على الموارد الخامة المحلية سواء كان مصدرها نباتي أو حيواني أو حتى طبيعي كأنواع الحجارة والصلصال.

وقد استعملت مكوّنات النخلة بصفة خاصة في كثير من المصنوعات والحرف الصحراوية وهو ما يعكس ما ذكرناه – آنفا- عن اهتمام الإنسان الصحراوي بالنخلة اهتماما منقطع

[1]- المرجع نفسه، ص 177.

النظير، إذ أحصى البعض مائة وأربعين فائدة للنخلة، ومن بين هذه الفوائد في مجال الصناعة نجد الأبواب والنوافذ، الأقفال، الموازين، القفاف، القيود، الحبال، عقال الدابة والكثير من الأدوات المنزلية كالمراوح اليدوية والحصائر، الصناديق الخشبية، المغازل، الأطباق، المكانس، النعال، الأسرَّة ، وغيرها[1].

ولم تقتصر المصنوعات التواتية من حيث موادها الخاصة على الأصول النباتية، بل استخدمت أيضا جلود الحيوانات كالإبل والماشية في كثير من الصناعات، كالقرب التي استخدمت لحفظ الماء واللبن والنعال وتغليف الكتب والمحافظ الجلدية وغيرها، كما استعملت صوف الماشية ووبر الجمل في النسيج.

أما الموارد الطبيعية كالحجارة فقد استغلها السكان عن طريق النحت وجعلها أشكالا كالرحى لطحن الحبوب وأخرى بشكل مغاير لتكسير النوى وتحضير علف الماشية أو أخرى في شكل مهاريس لصناعة خلطات التوابل والأعشاب.

إضافة إلى ما ذكر من الصناعات التي عرفها التواتيون فقد عرفوا صناعات أخرى اعتبرت أكثر تطورا حينها وأكثر اختصاصا كصناعة الحلي الفضي بشكل كثير والذهبي بشكل أقل منه، إضافة إلى الأدوات الحديدية والنحاسية والأواني الفخارية والطينية[2].

وقد انتصبت لهذه الصناعات والحرف أسواق ومحلات وأماكن أخرى معروفة كما اختصت بها عائلات وفئات محددة كفئة الطوارق التي اشتهرت بامتهان أعمال الحدادة.

[1]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 2، ص 76.

[2] - Rig (caputaine), L'artisanat A Tamentik Institue de recherche sahariennes, Alger,1961, p 157.

كثُرت هذه الصنائع وانتشرت بصفة خاصة في المدن الكبرى آنذاك كتيميمون وبودة وتيمى وتمنطيط ويصف ابن بابا حيدة انتشار الحرف في تمنطيط قائلا: " كان بها ثلاثمائة وستون صائغا، وعدد كبير من الحدادين والنجارين".[1]

إن انتشار ما ذكرناه من صنائع وحرف في المدن والقصور التواتية ساعد على استقرار الناس بها وتأسيس مساجد وزوايا أسهمت في تنشيط الحركة العلمية بالمنطقة.

ج- التجارة: إن موقع توات بوسط صحراء جدبة جلب لها كل من يحلّ بتلك الفيافي، فيتخذ من توات إما معبرًا أو موطنًا، فتنوعت بها بسبب ذلك الأجناس وكثر عدد السكان بها ، زادت قصورها مما وفر لمن يمتهنون التجارة سوقا استهلاكية واسعة ومربحة، فراجت بها التجارة وكثرت فيها الأسواق وذلك ما شهد به من زار المنطقة من الرحالة، حيث يذكر الحسن الوزان[2] الذي زار توات سنة 917هـ/1511م، أنه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجار بلاد السودان وتقام هناك أسواق كبيرة، وهو المشهد نفسه الذي أشار إليه العياشي[3] فيما بعد عندما حل بالمنطقة سنة 1072هـ/1661م، وكذلك الأغواطي[4] حينما زار تيميمون مطلع القرن التاسع عشر ووصف سوقها.

هذا الوصف الذي أشار إليه الرحالة، لم يكن ليتجسد لولا ما ذكرناه عن موقع توات الاستراتيجي إضافة إلى توفر الأمن فيها خاصة للأجانب وذلك ما حكى عنه الوزان بقوله: " ...و كثيرا ما يتقاتلون بينهم إلا أنهم لا يمسُّون الغرباء بسوء..."[5]

---

[1]- ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 14.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

[3]- العياشي، المصدر السابق، ص

[4]- أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات- رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين-، المعرفة الدولة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 93.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

مما جعل هؤلاء الغرباء يتخذون من توات معبرا لرحلاتهم ومسلكا لقوافلهم التجارية، فكانت بذلك توات معبر القوافل ونقطة التقائها بل وأصبحت منطلقا للركب التجارية المحلية التي يديرها أصحابها بأنفسهم أو يختارون من يُسيِّرها نيابة عنهم في رحلة الشتاء إلى بلاد السودان[1].

وقد كان المسلك الذي يربط توات بتفيلالت وسجلماسة ومراكش بالمغرب الأقصى أنشط المسالك الصحراوية التي تمر بتوات، حيث كان التجار التواتيون يمرون عليها محملين بالسلع التي جلبوها من بلاد السودان، والمتمثلة أساسا في الذهب الخام وريش النعام والعاج والأقطان والعبيد، لأجل مبادلتها بالخيل والأسلحة والفواكه المجففة والملابس المطرزة ، كلها تحمل إلى أسواق توات[2].

وهنالك مسالك أخرى من غير المسلك السابق الذكر، تربط توات بباقي المناطق وهي منتشرة عبر الصحراء الجزائرية أو في مختلف الجهات و أهمها:

– **المسالك الشرقية:** وهي التي تربط توات بتونس وطرابلس الغرب مرورا بوادي ميزاب أو بفزان وغدامس.

–**المسالك الغربية:** وهي التي تربط توات بفاس[3] وهي أنشط المسالك – كما سبق ذكره– وتمر بإيقلي بواد الساورة أو عن طريق وادي درعة بالمغرب الأقصى أو عبر وادي ميزاب

---

[1]– عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 77.

[2]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 70.

3 – **فاس:** أهمّ مدن المغرب الأقصى ، أسّسها السلطان إدريس الثاني بن إدريس الأكبر سنة 192 هـ 808 / م بعد أن ضاقت مدينة وليلي عاصمة الأدارسة الأولى بساكنيها، وهي مدينتان: عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين . وقد تصاعدت عمارتها وتفجّرت عيونها واستمر إشعاعها زمنا طويلا ، خاصة بعد تأسيس جامع القرويين . أما اسمها فقيل بسبب حمل السلطان إدريس فأساً يبدأ به الحفر ويختطّ به الأساسات ، وقيل بسبب العثور على فأس كبيرة أثناء الحفر ، وقيل بتغيير وقلب اسم مدينة قديمة كانت هناك منذ ألف سنة واسمها ساف. يُنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان

وتلمسان، ويذكر الوزان أن تسابيت تقع على الطريق المؤدية من فاس وتلمسان إلى مملكة أقدز في بلاد السودان[1].

-**المسالك الشمالية:** التي تربط توات بالمدن الكبرى الجزائرية فمع قسنطينة عبر وادي ميزاب وعبر وادي ميزاب نفسه نحو الجزائر، ومع وهران عبر إيقلي ومشرية.

- **المسالك الجنوبية:** وهي ذيل التكملة ذهابا وإيابا، للمسالك التي ذكرناها كذلك شهدت بها حركة القوافل المتجهة نحو مدن السودان الغربي كتمبكتو وقاو وأماهور، فالمسلك الذي يربط توات بتمبكتو يمر بحاسي حسده وتنصر وتاودني، أما الممر الرابط بين توات وقاو بمرور ابرق تنزروفت وتبنكورت، والذي يربط المنطقة التواتية بأماهور فيمر بإيقلي وتجنوت.

وبما أن توات مثلت همزة الوصل بين مدن الشمال ببلاد المغرب وبلاد السودان فقد كان من الطبيعي أن تنشأ فيها أسواق داخلية تدعم التجارة الخارجية حيث أدت تلك الأسواق دورا هاما في حياة السكان الذين وجدوا فيها حاجياتهم الاستهلاكية، كما اتخذها التجار مكانا لعقد الصفقات والمبادلات التجارية، واستغلوا قصورها وواحاتها للتجمع لتشكيل حديد أو لتنظيمها لمواصلة سيرها نحو الجهات الأخرى، ومن أشهر الأسواق بتوات:

- **سوق تيميمون:** ساهم في ازدهاره موقعه على الممر الرابط بين توات والصحراء أو الواحات الشرقية وكذلك طرابلس وتونس وقسنطينة والجزائر، وهو السوق الذي وصفه الرحالة الأغواطي أنه سوق عظيم يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، ويباع تراب

، بيروت : دار صادر ، 1977 م ، ج 04 ، ص / 230 علي الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق :عبد الوهاب ابن منصور ، ط 2 ، الرباط : المطبعة الملكية ، 1991 م ، ص2

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

الذهب بوزن المثقال بالأوقية[1]، وقد أكسب هذا السوق سكان المنطقة الغنى بفضل التقاء التجار ببلدهم واعتيادهم الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان، حسب ما شاهده الوزان[2].

– **سوق تمنطيط:** كان من الطبيعي أن تزدهر تمنطيط اقتصاديا فهي المدينة التي اجتمعت فيها السياسة والعلم فكانت بمثابة عاصمة توات آنذاك يرجع إليها الناس في قضائهم وتعلمهم وكذا تجارتهم فهي كما وصفها ابن خلدون محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان[3]، فانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع[4].

– **سوق عين صالح:** ساهم في ازدهار المدينة وانتعاش سوقها الذي كان يقام في أكبر قصورها " قصر العرب"، موقعها الذي هو مركز عبور ركاب التجار المترددين على بلاد السودان لشراء العبيد وتراب الذهب[5]، وكذلك هي ممر قوافل الحجيج الوافدة من قصر أقبلي والتي كانت تمكث أياما بالمدينة[6].

إضافة إلى هذه الأسواق التي هي أشهر أسواق توات، هناك أسواق أقل شهرة منها عدت بمثابة القلب النابض للنشاط الاقتصادي في المنطقة، لذلك لم تخل مدينة أو قصور توات منها.[7]

إن المبادلات التجارية التي شهدتها توات لم تقتصر على ما ذكرناه من سلع بل تعدَّت إلى تجارة الكتب والمخطوطات، فالوزان يشير إلى أن تنبكتو التي طريقها التجاري الرئيسي يمر بتوات تباع بها مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدرّ أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع[1].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، مرجع سابق، ص 93.

[2]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

[3]– عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 77.

[4]– ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 43.

[5]– أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، مرجع سابق، ص 94.

[6]– عبد الرحمان بن عمر التنلاني، رحلة حجية لعام 1188هـ، مخطوط بخزانة قصر عبد الله، تيمي، أدرار، ص 03.

[7]– فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 63.

إنّ موقع توات على الطريق التجاري الذي تسلكه القوافل التجارية وركب الحجيج، جعل علمائها يستفيدون من العلماء الذين يركبون الطريق للتجارة أو للحج، فكانوا يعمدون إلى نسخ كتبهم التي يحملونها معهم أو شرائها أحيانا.

وبذلك كان للتجارة أثر بالغ الأهمية في الحركة العلمية بتوات إذ بفضلها وصل العديد من التجار العلماء إلى توات والكثير من المخطوطات والكتب مما ساهم مساهمة فعَّالة في تبادل المعارف والعلوم ونتج عن ذلك كله انتعاش الحياة العلمية.

ثالثا- الأوضاع الاجتماعية وأثرها على الحركة العلمية:

كنت أشرت في المدخل التمهيدي عند الحديث عن التعمير البشري لمنطقة توات إلى مختلف الأجناس التي استوطنت المنطقة وتعايشت فيما بينها مشكلة المجتمع التواتي ذو العادات والأعراف الاجتماعية المتنوعة تنوّع تلك التركيبة السكانية.

والدارس للمجتمع التواتي في الفترة الحديثة يلحظ وجود تفاوت اجتماعي معيشي، تترجمه الكِنى والألقاب التي تتسم بها كل شريحة، وتتميز بها عن غيرها، فتجزأت بذلك الجماعة التواتية إلى أربع شرائح أو فئات متباينة، وهم فئة الأشراف[2] والأحرار[3]، فئة الحراطين[4] وفئة العبيد[1].

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 167.

[2]- الأشراف: يمثلون قمة الهرم في تركيبة المجتمع التواتي، وهم المنتسبون لبيت النبوة ويحضون باحترام وتقدير الجميع، وينتشرون في قصر توات بأعداد وأسر ليست بالكثيرة، وقد قدم معظمهم من منطقة تافيلالت بالمغرب الأقصى.ينظر: محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 2، ص 549.

[3]- الأحرار: ينحدر الأحرار من أصول عربية وبربرية(صنهاجة وزناتة) وهم غالبية المجتمع التواتي ويمثل المرابطون الأغلبية في فئة الأحرار، ولا يقصد بهذا الإسم المعنى المعهود للرباط وما يشتق منه بقدر ما يقصد به السلالات المنحدرة من أصول الصحابة- رضوان الله عليهم- وقد عُرف فيهم ذوو الفضل والعلم والصلاح، فاكتسبوا صفة التوقير والتبجيل. ينظر: فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 34.

[4]- الحراطين: شكلوا ثالث الطبقات التواتية أي بعد الأحرار ومكانتهم الإجتماعية كانت أقل من مكانة الطبقتين السابقتين، أما معنى تسميتهم هذه فيقول الناصري:" واعلم أنه قد وقع في هذه الأزمات لفظ الحراطي، ومعناه في

ورغم وجود هذه التراتبية الهرمية ضمن الفئات المكوّنة للمجتمع التواتي، إلا أن حاجة كل طرف إلى الآخر دفعتهم إلى التعاون والتكافل الاجتماعي فيما بينهم حيث أصبحت تحتكم لعادات وتقاليد وقيم اجتماعية موحَّدة نابعة من انتمائهم الإسلامي بمقتضى الطبيعة الصحراوية القاسية والتي يستلزم فيها ذلك التآلف الاجتماعي.

وتجسد هذا التعاون في مختلف مناحي الحياة التواتية، فيتكاتفون لحفر الآبار والفقارة وتنقيتها من الرمال باستمرار، ويتعاونون على تزريب أطراف البلد من خلال وضع مصدّات تحول دون زحف الرمال على بيوتهم، ويشاركون جميعا بصورة تلقائية في إصلاح قنطرة تهدم بعضها[2]، ويساهمون جميعا حسب قدرة كل منهم في دفع نصيب الضيافة التي اعتبروها واجبا ومروءة يبذل في سبيل تحصيلها الغالي والرخيص[3]. بفضل هذه الخصلة الحميدة كان المسافر الذي نفذت مؤونته أثناء السفر وهو بتوات يدخل لقصورها ليتزود بالمؤونة، ويستطيع المسافر الذي نفذ ما عنده أن يواصل رحلته مارًا بقصور توات من أدناها إلى أقصاها دون أن يسأل

عرف أهل المغرب العتيق، وأصله الحر الثاني، كأن الحر الأصلي حر أول وهذا العتيق حرثان، ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني على ضرب من التخفيف." وتمتاز طبقتهم أنها الطبقة الكادحة في المجتمع إذ تترك لهم الأعمال التي يتسامى الأشراف والأحرار عنها كالجزارة والحدادة وأعمال البناء وخدمة الأرض، وقد اختلف في أحوالهم فهناك من ذهب إلى أنهم مزيج من عناصر إفريقية والعبيد المحررين، وقيل أنهم فئة المولودين من الجواري الذين ازداد عددهم. .ينظر: الناصري، المصدر السابق، ج 7، ص 52، أيضا: محمد جرادي، نوازل الزجلوي، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، ص 44.

[1]- العبيد: هم قاعدة الهرم في المجتمع، مصدرهم الوحيد هو بلاد السودان فمن أشهر أسواق العبيد في السودان سوق تنبكتو والذي كان التواتيون على اتصال دائم به، بل إن عددا معتبرا من تجارهم مستقرين بتنبكتو ويحتكرون هذه البضاعة، وقد سخرت هذه الطبقة في الأعمال الشاقة في البساتين والأسواق وداخل البيوت، وقد كان امتلاك الرقيق يمثل مظهرا من مظاهر الثراء. ينظر: الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي و الإقتصادي والحضاري لمنطقة السودان الغربي من نهاية القرن 15 إلى غاية القرن 18 م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عين الشق، دار البيضاء، المغرب، ج 1، ص 329.

[2]- عبد الرحمان الجنتوري، ص58.

[3]- المصدر نفسه، ص 20.

شيئا[1]. واجتهد التواتيون وخاصة أعلامهم في أن تكون لهم زوايا يضيفون فيها الكرم إلى جانب العلم، فقد خصص الشيخ أحمد ديدي بعد تشييد الزاوية البكرية مكانا للتكفل بالضيف وأبناء السبيل وإطعام الطعام في سبيل الله، والتكفل بحاجات السكان وقضاء مآربهم[2].

وهكذا فقد أدت الزوايا دورا مهما بخصوص الضيافة، والقصر الذي لا توجد به زاوية يُقسَّم أهله إلى سبعة أفواج، ويقوم كل فوج بتقديم الضيافة، وإذا وجدت الزاوية فعلى أهل القصر تقديم الأحباس على شكل مساعدات مالية أو عينية لتتولى الزاوية أمر الضيافة والإنفاق[3].

ولم تقتصر الأحباس على الزوايا بل تعدتها إلى المساجد، فسادت ظاهرة حبس الجنّات (البساتين) وما تنتجه من ثروات وغلاّت على المساجد[4]، تجهيزا وصيانة وتدريسا، حتى لم يكن يخل قصر من جنان يحمل اسم "جنان الجامع" في المنطقة، وتحبّس كذلك على المؤذن والمدرس والإمام ونحوهم، وامتدت الأحباس إلى الأقارب فأصبحت سبيلا لصلة الرحم ومظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي.

وجدير بالملاحظة أن النساء كُنّ يزاحمن الرجال في التحبيس والهبات والصدقات على أقاربهن[5]، وهي حقوق تمتعت بها المرأة التواتية يضاف إليها حق العمل والسعي وحق المعاملة بالحسنى والإرث وحرية الرأي والتصرف في الأموال وطلب العلم والمعرفة والاستفتاء وغيرها من الحقوق.

---

[1]- بن عبد المؤمن بهية، المرجع السابق ص 136.

[2]- عبد الله بابا، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإفليم توات، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار 2011-2012، ص 88.

[3] - Salka, op, cit p 353.

[4]- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر نفسه ص 93.

[5]- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 120.

وبناءا على ما كان للمرأة من حقوق متعددة فقد تبوَّأت من خلالهما دورا رياديا لا يقل شأنا عن دور الرجل، أتاح لها ممارسة عدة نشاطات كالفلاحة والرعي والغزل والنسيج، ومزاولة بعض الأنشطة التجارية كتصرفها في الأملاك الخاصة أو المتعلقة بالإرث بيعا وشراء، دون الحاجة إلى وسيط تجاري[1].

أما عن عادات وتقاليد المجتمع التواتي فكما أثَّرت عليها البيئة الصحراوية التي تستوجب التكافل والتعاون -كما أشرت آنفا- فقد أثر عليها تمسك السكان بدينهم الحنيف الذي هذب سلوكياتهم وعاداتهم ومعاملاتهم فيما بينهم.

أما معيشتهم فقد كان مصدرها ما غلب على نشاطهم الاقتصادي الذي ذكرتُ وهو الزراعة، فتميز طعامهم بالبساطة، ومصدره محصولان رئيسيان هما الحبوب وتمر النخل إضافة إلى الذرة واللحوم والسمن والزبد والحليب.[2]

وهكذا فان المجتمع التواتي تميز بالبساطة التي أبعدت عنه مشاكل التعقيدات الاجتماعية وما ينتج عنها من آفات قل وجودها وتقلص انتشارها وبذلك فُسح المجال لانتشار عادات وتقاليد لا تكاد تحيد عن الهدي المحمود الذي تجلّى واضحا في إكرام أهل الفضل من العلماء وطلبة العلم وتحبيس الأوقاف لصالح مدارسهم وزواياهم واشتراكهم في دفع مصاريف بناء مسجد أو محضرة وكذا دفع أجرة الإمام أو المدرس أو المؤدب أو المفتي أو القاضي ونحو ذلك[3]، مما ساهم بشكل فعال في التأسيس للنهضة العلمية التي عرفتها المنطقة واستمراريتها.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 03 و 40.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 134.

[3]- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 39.

رابعا- الأوضاع الدينية (المذهبية) وأثرها على الحركة العلمية:

أشرت آنفا إلى أن المنطقة التواتية كانت آهلة بالسكان منذ القديم وهذا يرجح إلى أن الإسلام وصل إليها منذ وصوله إلى بلاد المغرب الإسلامي، خاصة إذا علمنا أن عقبة ابن نافع لما استفتح بلاد المغرب ووصل ساحله ثم عاد لواد نول ودرعة ثم واحة بلماء وسجلماسة والفائجة ووصلت خيله توات وذلك سنة 62هـ/679م، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات[1].

وقد وُجِد بتوات مسجد يعود تأسيسه إلى سنة 106هـ/724م، أي منذ بداية القرن الثاني للهجرة[2].

أ- المذهب الإباضي:

كما لم تكن توات بمعزل عن الأحداث الواقعة في المناطق الشمالية لها فإنها لم تكن كذلك بمعزل عن تأثير المذاهب الفكرية المتواجدة في الشمال حيث تنقل لنا المصادر إن البربر عانقوا مذهب الخوارج حينما ضاقوا درعا بالسياسة الجائرة للولاة الأمويين فأعلنوا ثورتهم العارمة سنة 122هـ/739م، التي أسفرت عن ميلاد إمارات في كل من طرابلس وتاهرت وسجلماسة وتامسنا[3].

وقد كان الأئمة الرستميين يجوبون الصحراء الكبرى بقوافلهم ووصلوا إلى جنوبها وكانوا يتنافسون في بناء المساجد[4].

---

[1]- محمد بن عومر البوداوي، المصدر السابق، ص 03.

[2]- هذا المسجد هو مسجد تايلوت بتمنطيط، ينظر: عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 18.

[3]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1976 ص 430.

[4]- عبد المجيد قدي، صفحات مشرفة من تاريخ أولف، مرجع سابق، ص 27.

وتنقل لنا المصادر أيضا أن دولة بني مدرار الزناتية ذات مذهب الصفرية والتي تشكلت في سجلماسة عام 144هـ/761م، قد امتد نفوذها إلى الواحات التواتية في عهد المنتصر بن اليسع، فأصبحت سجلماسة وتوات تشكلان معًا دولة زناتية خارجية في الجنوب[1].

ومهما يكن، فإن مذاهب الخوارج هذه زالت بزوال الهيمنة السياسية للدول التي تبنتها في المنطقة التواتية، ومحا أثرها نهائيا انتشار المذهب المالكي في أرجا المنطقة وتمسك الساكنة به إلى يومنا هذا.

ب- المذهب المالكي:

كانت المنطقة قد دانت بالمذهب المالكي منذ بدايات وجوده بالشمال الإفريقي على وجه الترجيح، لأن تفاصيل تواجده بالصحراء الإفريقية غير واضحة المعالم في المصادر التي تؤرخ للمنطقة خاصة القرون الخمسة الأولى للهجرة من تاريخها.

ولئن كانت المصادر لا ترسم صورة واضحة للمذهب المالكي في توات حتى خلال القرنين السادس والسابع، لأنها تقتصر على بيان نزوح أشهر القبائل التي كونت المجتمع التواتي فيما بعد، إلا أن بوادر ظهور معالم المذهب بدت جلية في الأفق أواخر القرن السابع وخلال القرن الثامن الهجريين، حيث تبدأ المصادر في ذكر بعض الأعلام النازلين بتوات والذين سبقت الإشارة إليهم.

وسأحاول تقفي تاريخ من كان لهم الفضل في إيصال مذهب الإمام مالك-رضي الله عنه- إلى توات علَّني أرصد تاريخ استقراره بالمنطقة.

[1]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1999-2000، ص 17.

عرف المذهب المالكي عناية خاصة في أحضان دولتي بني أمية بالأندلس والأدارسة بالمغرب الأقصى حيث كانت قوافل التجارة تخرج إلى مناطق السودان الغربي وتجتمع بسجلماسة لتواصل الطريق جنوبا [1] مرورا بتوات. وقد حملت هذه القوافل معها الكثير من العلماء والصالحين الذين اختاروا توات موطنا ومستقرا لهم لِـــما كانت تنعم به من أمن ورخاء، ولم يقتصر ذلك على العلماء والصالحين فقط، بل ساهم فيه حتى التجار المالكيين الذين استوطنوا الصحراء حيث نجد في المعيار سؤالا موجها إلى المفتي أبي الحسن القابسي- أن أحد التجار القرويين ذهب مستدينا إلى تادمكة وغانة وأنه سافر إلى أودغست واستقر بها وولد له بها الأولاد وكان حتى وقت توجيه السؤال قد أمضى بها إحدى عشرة سنة[2]. وقد كان للدول التي تمذهبت بالمذهب المالكي أثر بليغ في تثبيته بمنطقة توات، حيث هاجرت جماعات من قبائل لمتونة نحو توات واستقرت بتمنطيط في أعقاب سقوط دولة المرابطين[3].

ومهما يكن من تعدد الظروف التي وصل فيها المذهب المالكي للمنطقة واختلاف أزمنة استقراره، فقد رضيه التواتيون مذهبا واستقر في صدورهم فأسسوا له المدارس والزوايا واجلُّوا علماءه، وأكرموا طلبته.

ولم يمنع تمسك التواتيين بالمذهب المالكي من بروز تيارات دينية وفكرية ذات توجهات متباينة، احتدم الصراع فيما بينها في ربوع العالم الإسلامي مشرقه ومغربه ووصل إلى توات، مما انعكس على طبائع الناس وعوائدهم، وشغل عقولهم وأفئدتهم حينا من الزمن، على رأس تلك التيارات الحركتان الصوفية والوهابية.

---

[1]- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، ط 1، دار المدار الإسلامي فرع طرابلس الغرب، ليبيا، 2007، ص 347.

[2]- أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج 9، ص 116.

[3]- عبد العزيز بن عبد الله، الرحلات، مرجع سابق، ملحق 2، ص 338.

ت- المد الصوفي نحو توات:

التصوف ظاهرة دينية، شملت مختلف الديانات الوضعية والسماوية ومنها الإسلام الذي أخذ التصوف فيه منا خاصا، فقد مر التصوف الإسلامي بمراحل وتغيرات منذ ظهوره، تأثر فيها بمؤثرات خارجية جعلته يختلف من حيث الأصل والمفهوم.

فالتصوف كلمة مشتقة من الصفاء أي صفاء القلوب[1]، وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، وقيل إلى الصفوة من خلق الله، وقيل إلى أهل الصفة، والأقرب أنه منسوب إلى الصوف، فهو شعار النساك والعبَّاد، أما اصطلاحا فالصوفي هو العارف بالله المتحقق بمقامات اليقين، المتخلي عن الرذائل، المتحلي بالفضائل[2].

وحسب ابن خلدون، فقد برز التصوف في القرن الثاني للهجرة، حيث يقول: " ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقيمون على العبادة باسم الصوفية المتصوفة".[3]

وبحلول القرنين السادس والسابع الهجريين، اتّـــحد المتصوفة في جماعات منظمة، وظهر بعد ذلك ما يعرف بالطرق الصوفية، فأصبح لكل طريقة شيخ، وهو ما حذا بأحد متصوفة القرن الثامن الهجري إلى التأكيد على أهمية الشيخ لسالك هذا الطريق بقوله: " أراه أن الشيخ في سلوك طريق التصوف على الجملة أمر لازم، لا يسع أحد إنكاره".[4]

---

[1]- بيسوني إبراهيم، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1969، ص 09.

[2]- عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط 4، دار الأمان، الرباط، 2003، ص 14.

[3]- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 517.

[4]- جدو فاطمة الزهراء، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين 479هـ-635هـ، 1086-1238م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم ال تاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 08.

وقد كان لهذه الجماعات والشيوخ التأثير البالغ في نفوس الناس والدور الكبير في نشر التصوف ووصوله إلى بلاد المغرب، ومن مثال هؤلاء عبد القادر الجيلاني وأبو حامد الغزالي وأبو مدين شعيب الذي أخذ عن عبد القادر الجيلاني ونشر طريقته في بلاد المغرب وذلك بعد التقائهما في عرفة[1].

وبالرغم من تأخر ظهور التصوف في بلاد المغرب مقارنة ببلاد المشرق الإسلامي إلا أن التواجد الصوفي في بلاد المغرب عموما وفي توات خصوصا بمعانيه السامية قديم قِدم الفتح الإسلامي، فهي بلاد الصلاح والزهاد حسب ما أشرت له آنفا من قول ابن بابا حيدة.

وانتشرت بمنطقة توات معظم الطرق الصوفية المعروفة في بلاد المغرب كالقادرية والشاذلية، والتيجانية والسنوسية.

- **القادرية:**

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ/1166م) والذي يعتبر مؤسسها الأول، وتعد من أكثر الطرق الصوفية انتشارا في توات، ساهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نشرها داخل توات، حيث أنشأ زاويته القادرية في قصر بوعلي، فكانت مركزا لنشر الإسلام وتدريس تعاليم الطريقة القادرية، كما كانت منطلقا للجهاد ضد اليهود ومحاربة البدع والخرافات. ولها العديد من الأحباس الممثلة في البساتين والبيوت التي وقفها صحابها على الزاوية[2].

[1]- عميراوي أحميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 110.

[2]- إدريس بن خويا، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات من المرجعية المعرفية والممارسة العملية، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أدرار: 09/ 10/ 11 نوفمبر 2008م، ص 469.

كما ساهمت قبيلة كنتة[1] بتوات مساهمة فعالة في نشر الطريقة القادرية التي توسع نشاطها في القرن الثاني عشر هجري بظهور الشيخ المختار الكنتي (ت 1226هـ/1811م) صاحب التآليف في مناهج تلك الطريقة ومنها " الكوكب الوقاد في المشايخ وحقائق الأوراد" إضافة إلى العديد من التصانيف في الأذكار التي وضح من خلالها مناهج التربية الصوفية السليمة وكذلك له قصائد في السلسلة القادرية ونازلة في التصوف وإجازة في الورد ورسالة إلى أحد مريديه[2].

وتفرّعت عن الطريقة القادرية فروع عديدة منها الرافعية التي أسسها الشيخ أحمد الكبير الرفاعي (ت 1183م) والعامرية التي أسسها الشيخ عمار بوسنة (ت 1712م) والعيساوية نسبة إلى الشيخ محمد بن عيسى (ت 1523م)[3].

وتفرع عن القادرية بمنطقة توات فرع البكائية الكنتية التي أسسها الشيخ أعمر بن الشيخ أحمد البكاي في القرن 10هـ/16م، والذي التقى مرات عديدة بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وأخذ عنه جملة من الأوراد، كما أخذ الورد عن أبيه وأصبح ناشر الطريقة الأول في توات وغرب إفريقيا، وقد بلغت أوج انتشارها مع ظهور الشيخ المختار الكنتي[4] كما تقدم ذكره.

---

[1]- **كنتة:** هي قبيلة عربية انتقلت إلى توات في القرن 15م، حاملة معها الطريقة القادرية وهم ينقسمون إلى عشائر منها: أولاد سيدي محمد الكنتي الصغير أغلبهم في موريتانيا، أولاد الطالب بوبكر أغلبهم في شمال مالي لهم امتداد في الجزائر وليبيا وموريتانيا والسينيغال، أولاد بونعامة الرقاقدة في شمال مالي والجزائر، أولاد الشيخ المختار في شمال مالي والنيجر وجنوب الجزائر، أولاد الوافي المصادفة، أولاد سيدي عبد الرحمان، أولاد بن عمر، أهل الشيخ المختار الكبير. يُنظر: حوتية محمد الصالح، قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد- دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرنين 13/12هـ-، رسالة ماجستير في التار يخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993م، ص23 ومابعدها.

[2]- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، مرجع سابق، ج1، ص 182.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف، التصوف وأبعاده، الملتقى الدولي 11: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أدرار نوفمبر 2008، ص 14- 15.

[4]- عقباوي الأمين، دور كنتة في نشر الإسلام وغرب إفريقيا، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار، ص 8-9.

- **الشاذلية:**

تنسب إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي[1] (ت 655هـ/1257م)، الذي تأثر بأعلام التصوف الثلاث عبد السلام بن مشيش (ت 625هـ)، الذي تتلمذ على يد الشيخ أبي مدين شعيب (ت 594هـ)، والذي تأثر بأبي القاسم الجنيد[2]، وتعتبر من أهم الطرق التي عرفت انتشارا في توات، وانتقلت منها إلى بلاد الساحل الإفريقي، تفرعت منها فروع في توات، أهمها: الموساوية[3] والطيبية[4]، الملیانية[5]، الشيخية[6]، والزيانية[1] والتي بدورها تفرعت منها الرقانية.[2]

---

[1]- أبو الحسن الشاذلي : توفي 593 هـ - 1196 م، هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار ينتهي نسبه إلى عمر بن إدريس المثنى، بن إدريس الأكبر دفين جبل زرهون بالمغرب الأقصى، تعلم بفاس وقرأ على كبار رجالها، ثم انصرف متوجها إلى أرض المشرق، وفي طريقه مر على قرية شاذلة بتونس وأقام بها مدة ومنها عرف بالشاذلي، ثم رحل إلى مصر وناظر علماءها، حتى ذاعت شهرته، قصده الطلاب من أجل الانتفاع، للمزيد انظر : التليدي عبد القادر بن عبد الله، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط 4، دار الأمان، الرباط، دار البشائر، بيروت، 2003، ص ص 122 -124.

[2]- الزهرة مسعودي: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا بين ق 18 وق 20م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أ. د عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2009/ 2010، ص 36.

[3]- **الموساوية:** نسبة إلى مؤسسها أحمد بن موسى الكرزازي ولد بقرية سيدي موسى بالقرب من فاس سنة 895ه/ 1475م، من شيوخه: الشيخ أحمد بن غازي المكناسي والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني. توفي سنة 1013ه/ 1604م، يُنظر: محمد حوتية، المرجع السابق، ج1، ص 186.

[4]- **الطيبية:** تنسب إلى الشيخ الطيب بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني، ولد عام 1005هـ/ 1597م، بتازرون بالمغرب ثم انتقل إلى وزان التي توفي فيها، أخذ عنه علماء كثيرون في توات منهم: محمد بن عمر المهداوي التمنطيطي. ينظر: محمد الصافي بن البركة، تحفة أولياء الله الصالحين، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي. أدغا، أدرار، ص 6.

[5]- **الملیانية:** نسبة للشيخ أحمد بن يوسف الملياني (ت 931هـ/ 1525م) أحد أقطاب الطريقة الشاذلية. يُنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 502.

[6]- **الشيخية:** ترجع إلى الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان المولود سنة 940ه/ 1533م، بضواحي الشلالة الظهرانية الظهرانية وقد عرف ب"سيد الشيخ" درس على يد والده محمد بن سليمان وعلى يد عمه الشيخ أحمد المجدوب، اتجه إلى قورارة ثم إلى فقيق، من تلامذته: الحاج أبو حفص الذي نشر الطريقة في قورارة، ومحمد عبد الله الجوزي دفين أولاد سعيد. يُنظر: طواهرية عبد الله، تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري

- **التيجانية:**

تنسب الطريقة التيجانية إلى الشيخ أبي العباس أحمد التيجاني الذي ولد بعين ماضي بالأغواط سنة 1150هـ/1737م، طاف بين مدن فاس وتلمسان وتونس وصولا إلى توات سنة 1196هـ/1782م، حيث جمع عددا من الأتباع[3]، وأخذ التصوف عن جماعة من العلماء في الجزائر والمغرب والمشرق، ينتسب بعضهم لطرق أخرى[4]، وبعد اضطهاد العثمانيين له قرر الرحيل إلى فاس، التي توفي بها سنة 1230هـ/1815م[5]، بعدما كان قد أسس زوايا كبرى في عين ماضي وتيماسين بورقلة وبوسمغون، ونشر طريقته بهذه المدن وأيضا بتوات وتونس والصحراء والسودان الغربي، حيث كان يؤسس الزوايا أحيانا ويعيّن المقدمين أحيانا أخرى[6].

الصديقي، (د ت)، ص 39-48.وأيضا مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، 2011، ج 5، ص106.

[1]- **الزيانية:** تنسب إلى الشيخ محمد بن بوزيان القندوسي (ت 1145) بالقنادسة، تعلم في فاس وتافيلالت ثم اتجه إلى المشرق العربي، ليستقر به المقام في مدينة القنادسة ببشار، أنظر محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، مرجع سابق، ج 6، ص 2262.

[2]- **الرقانية:** تنسب للشيخ مولاي عبد المالك الرقاني (ت 1207هـ/ 1792م) اشتهر بزهده وعلمه، كان له أتباع في توات وإفريقيا، من أتباعه: مولاي زيدان(ت 1202هـ/ 1697م) والبرتلي صاحب كتاب" فتح الشكور". يُنظر: أبو عبد الله البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 97، 201.

[3] -Bernard Saffroy, op, cit,p 08.

[4]- عبد الكريم بوصفصاف، التصوف مفاهيمه وأبعاده، ملتقى التصوف، ص 19.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 516.

[6]- أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرنين 19م و 20م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ج1، ص 47-72. أيضا: أبو العباس محمد التيجاني، الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان، 2002، ص 12.

❖ أثر الحركات الصوفية على الحركة العلمية:

من المعلوم أن معظم علماء توات قد انضووا تحت لواء الطرق الصوفية مما دفعهم إلى كتابة تآليف عديدة في علم التصوف وفنونه، والاستشهاد بأقوال وآراء أقطاب التصوف ومشايخ الطرق الصوفية في مؤلفاتهم، حيث نجد في بعض مؤلفات الشيخ عبد الرحمان الجنتوري استشهادات بآراء أبي الحسن الشاذلي.

و لم يقتصر الفكر الصوفي ومبادئ التصوف على العلماء فقط فقد تبنّته الكثير من الزوايا بالمنطقة وأصبح اسم الطريقة الصوفية التي تتبعها الزاوية جزءا في تركيبة اسمها، والمعروف أن للزوايا في توات دور فعّال في مجال التعليم.

وأدى تأثر العلماء والزوايا بالفكر الصوفي إلى تأثر عامة الناس بأوراد التصوف وجعلوها جزءا لا يتجزأ من تعاليمهم الدينية.

ت- صدى الحركة الوهابية بتوات:

كان لتأثر العامة من الناس ببعض تعاليم الصوفية وربطها بعبادتهم ولربما اعتقادهم أنها من أصول تعبدهم، الأثر البليغ في انحراف بعض معتقداتهم، مما سبّب في ظهور حركات تبنت منهجا مضادا للمتصوفة وأفكارهم، ومن هذه الحركات، الحركة الوهابية[1] التي بدأت بشبه الجزيرة العربية وانتقلت دعوتها وأفكارها إلى بلاد المغرب عبر وفود الحجيج وما حملوه من مؤلفات ورسائل وفتاوى عن هذه الحركة.

[1]- **الحركة الوهابية:** هي حركة دينية إصلاحية، سميت بالوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ/ 1791م) فقامت هذه الحركة على الدعوة والتوحيد الخالص واتباع منهج السلف الصالح ونبذ البدع، عرفت الدعوة ازدهارا بتبني لآل سعود لها. يُنظر: خير الدين الزِركلي، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت 2002، ج 06، ص 257.

وقد وردت لمنطقة توات فتاوى لقضايا محلية لم يعهدها التواتيون من قبل، عرفت من شيوخ توات "بفتاوى علماء القبلة"، وقد انبرى بعض العلماء التواتيون لتبيان حدود الإستفادة من كتب هذه الحركة خاصة وأنها لا تدين بالمذهب المالكي الذي عليه المنطقة، حيث فضلوا قصر الإفادة منها على العلماء دون العلوم.

و لم تعرف الدعوة الوهابية انتشارا في توات و لم تتبن الساكنة أفكارها، فغدت مجرد أخبار يتناقلها الحجيج ورسائل يطلع عليها العلماء ومن له فضول للمعرفة.

ويعود سبب عدم انتشار الدعوة الوهابية في منطقة توات إلى موقف شيوخ المنطقة المتمسكين بالمذهب المالكي، وكذا رفْض العامة لأفكارها المعادية لما أَلِفوه من عادات أجازها لهم علماؤهم كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وكان في الصف الأول من الواقفين ضد الحركة الوهابية المنتسبون إلى التصوف والمنتفعون من شيوعه لما اعتقدوه من ذهاب لنفوذهم وسطوتهم، ولما في دعوة الوهابية رفض صريح لأفكار الصوفية.

و لم يقتصر التصدي للحركة الوهابية على الأشخاص فقط، بل انتهجته الدوائر الرسمية كذلك، فقد وقفت السلطات العثمانية بالمرصاد للدعوة الوهابية خشية منها من استئثار الوهابيين ومن ورائهم السعوديين بالجزيرة العربية، وانتزاع لواء الخلافة والقيادة من الدولة العثمانية، فأوعزت إلى ولاّة الأقطار المجاورة محاربة تلك الدعوة[1].

[1]- محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001، ص 353.

خلاصة القسم الأول :

ما يمكن استنتاجه من خلال فصلَي ومباحث القسم الأول هو تميّز الفترة الحديثة بتوات من النواحي السياسية والإقتصادية والأمنية حيث الصراع المحتدم بين الدولة االعثمانية الصاعدة في العالم الإسلامي شرقه وغربه والدول القائمة ببلاد المغرب الأقصى من أجل الغلبة على المنطقة التواتية والإستئثار بمزاياها وخيراتها ، ويضاف إلى هذا الصراع إغارة القبائل بعضها على بعض مما دفع بأهل الحلّ والعقد إلى تبني نظام إداري اجتماعي صارم قائم على الإنخراط في صفوف الجماعة التواتية والإذعان إلى أحكامها وضوابطها ، خاصة في ظل الميل نحو إثبات الذات والخصوصيات والإستقلال عن تلك التأثيرات الخارجية.

ويتأكد لدينا مما سبق ذكره في القسم الأول مدى تأثّر الأوضاع الإقتصادية بما ذكر من حالةِ الأوضاع السياسية، إذ أثّرت التقلبات السياسية على دواليب الإقتصاد المرتبط في بعض دعائمه – كالتجارة – بالمحيط الخارجي ، حيث كان سريع التأثر بما يجري حوله من تطورات خاصة في المجالين الأمني والسياسي .

وقد صورت لنا المصادر المحلية جانبا هاماً من مظاهر التضامن والتكافل داخل المجتمع التواتي المتنوع العرقيات والمتعدد الطبقات ، وبأن التفاوت الطبقي لم يكن مدعاة للإخلال بنظام الجماعة، حيث شكلت الطبقات وحدات اجتماعية منسجمة ضمن إطار بنيوي ووظيفي جامع.

وبالرغم من توغل توات في أعماق الصحراء وتمسكها بالمذهب المالكي إلا أنها لم تكن بمعزل عن تأثيرات الطرق الصوفية وبعض الأفكار المحدثة التي امتدت إليها عبر منافذ متعددة ، أهمها قوافل الحج في غدوّها ورواحها ، وتوافد الرحالة والدّعاة والمصلحين ، وتعاقب التجار والزوار من مختلف الأصقاع.

القسم الثاني

التعليم والعلوم بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

الفصل الأول: التعليم بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

أولا – مراحل التعليم

ثانيا – مناهج التعليم

ثالثا – المؤسسات التعليمية

رابعا– الإجازات العلمية

الفصل الثاني: العلوم السائدة بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

أولا – العلوم الشرعية

ثانيا – العلوم اللسانية

ثالثا – العلوم الإنسانية والاجتماعية

رابعا – العلوم التجريبية

تقديم:

كنت قد تناولتُ في القسم السابق خلفيات الحركة العلمية بتوات وجذورها التاريخية واستعرضت مختلف جوانب الحياة بتوات خلال الفترة الحديثة وتأثيرها على الحياة العلمية، ولاشك أن هذه التأثيرات المختلفة ستنعكس إيجابا على الواقع الثقافي والفكري بالمنطقة، وهذا ما سأعمل جاهدا على محاولة تحصيل مسيرته وتعقب آثار تطوره في فصول ومباحث هذا القسم، بدءا بالتعرف على مراحل التعليم ومناهجه ثم تتبع مكامِن الحراك الثقافي ومواطنه المتمثلة في الزوايا والمدارس والعوائل التي أشارت المصادر المحلية إلى بعضها وما امتلكته من مكتبات وخزائن للمخطوطات وما حصّله أفرادها من إجازات.

ويقودنا الحديث عن التعليم وتفاصيله إلى الحديث عن العلوم السائدة بالمنطقة والتي تمايزت من حيث الإهتمام الذي أولاه التواتيون لها.

الفصل الأول: التعليم في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

شهدت المنطقة التواتية نهضة فكرية وعلمية في العصر الحديث خاصة بدايته، انتشر فيها التعليم وتعددت فيها العلوم والمعارف التي احتضنتها المراكز التعليمية كالمساجد والزوايا والكتاتيب المنتشرة عبر ربوع المنطقة، وكان لهذه المراكز والعلماء القائمين عليها عظيم الفضل في تكوين نخب علمية وفق مراحل تدريجية للتعليم، بدءا بمرحلة التلقين والتهجي إلى مرحلة التعمق ثم الإذن والإجازة.

1. مراحل التعليم:

انتهج التواتيون طرائق معلومة في تعليم أبنائهم تتميز بالتدرج في التحصيل والإكتساب عبر مراحل رئيسية محددة وهي:

- **المرحلة الأولى:**

وهي بداية مشوار التَّعلم حيث يلتحق الصبي في سن الرابعة غالبا بالكتّاب المعروف محليا بأقربيش هذا بعد أن يقام له حفل عظيم، وتصنع مائدة تشمل على التمر والحليب والخبز المأدوم بالسمن، ويدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة القرآنية[1]، وكان إمام المسجد يقوم بواجب التدريس وتحفيظ الصغار بعض سور القرآن وبعض المتون العلمية القصيرة ابتغاء الحصول على الثواب، ولما كانوا يكرمون به من هدايا ومكانة في المجتمع وتقديمهم في المناسبات ومنحهم حق الاستنفاع من أوقاف المسجد، ويفتتح الشيخ أو معلم القرآن لوحة الصبي بالبسملة والثلاث الحروف الأولى ثم يستمر الصبي بنسَق تسلسلي في حفظ حروف الهجاء التي تدون له على لوحته ثلاثة أو أربعة في اليوم أو أكثر من اليوم، وذلك يختلف من صبي لآخر في قدرته على الحفظ، ويستعمل الشيخ طريقة التتبع بالأصبع عند حفظه

[1]- مريوش أحمد، حوتية محمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر 2004، ص 236.

للحروف كتمهيد له لمعرفتها وقراءتها في المستقبل، وقد يكتب الشيخ بخط رفيع بعض الأحرف على لوحة الصبي ويطلب منه الإعادة عليها بخط واضح لتدريبه على الكتابة.

وبعد إتمام الصبي للحروف الهجائية، ينتقل به الشيخ إلى حفظ قصار السور، وذلك بتجزئة هذه السور إلى آيات على قدر الحفظ اليومي لكل طفل، ويبتدئ بالفاتحة ثم المعوذتين ويستمر هكذا بشكل تصاعدي مع الزمن.

وبموازاة مع استمرار التلميذ في الحفظ، يبدأ في تعلم الكتابة التي تتم بواسطة قلم مصنوع من الخشب المبرء مع الدواة التي يوضع بداخلها الحبر الأسود المصنوع محليا، فإذا أحسن الطالب الخط وصار خبيرا بالكتابة والإملاء، فإن المعلم عندئذ يملي عليه الآيات ليكتبها في لوحته ويقوم بتشكيلها ثم يقوم المعلم بمراقبة ما كتبه التلميذ، كل ذلك ليسهل عليه معرفة القراءة والكتابة وبالتالي الحفظ.

وعندما يختم الطالب الجزء الأول من القرآن الكريم بوصوله سورة يس، يقوم أهله بتقديم مائدة من الطعام لزملائه الطلبة في الكتّاب لا يشاركهم فيها أحد، وهذا فرحا وابتهاجا بما بلغه طفلهم[1].

بعد ذلك يتدرج به الشيخ في حفظ كتاب الله عز وجل حتى يتمّه على ظهر قلب، فإذا أتمه انتقل به إلى تعلم شيء من المعارف الفقهية واللغوية كمتن ابن عاشر والأخضري والأجرومية والتي كانت تكتب للصبي كل يوم في بيت أو بيتين في أسفل اللوحة، ويفصل بينها وبين القرآن بخط، فهذه الأبيات عادة ما تكون عن العقائد ثم شروط الصلاة وما يتعلق بها[2].

[1]- محمد باي بلعالم،الرحلة العلية، المرجع السابق، ج 1، ص 264.

[2]- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14ه، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2005، ص 43.

ويقوم الشيخ بمراجعة يوميّة للطلاب لاستظهار ما كتبوه على اللوحة، وبمراجعة أسبوعية لاستظهار ما مروا به من سور أو أجزاء بشكل فردي أو جماعي.

ويختم الطالب حفظ القرآن واستظهاره على شيخه، يقام له حفل بهيج يعرف بحفل "الختمة" أو " الحفاظة" كناية عن إتمام حفظ الطالب للقرآن، حيث تزين يداه ورجلاه بالحنَّاء، ويقوم الشيخ بالكتابة في لوحة الطالب أواخر سورة البقرة وبعض الدعاء، كما يزينها بألوان مختلفة من الصمغ، ويجلس الطالب في ردهة الكتّاب محاطا بزملائه وهم يرددون قصيدة البردة ويتلقى الهدايا من المهنئين الذين يأتون من القرية والقرى المجاورة لها[1].

وتكون هذه الختمة عادة في سن مبكرة لا تتجاوز العشرين سنة بالنسبة للطالب العادي.

أما بالنسبة للتوقيت اليومي للدراسة فيكون من الفجر إلى الضحى، أو حتى منتصف النهار أحيانا، ومن الظهر إلى ما بعد صلاة الظهر مساءا، وفي الليل تتم قراءة بعض السور جماعة ليتعود الصبي على حفظها عن طريق السماع، وهذا طيلة أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة صباحا، وأيام العطل التي كانت تمنح في المناسبات والأعياد.

- المرحلة الثانية:

وهذه المرحلة أكثر تنظيما وتخصصا من المرحلة الأولى لأنها تتم بالمدارس القرآنية الكبرى أو الزوايا المعروفة بشيوخها القائمين على شؤونها.

وفي هذه المرحلة يستوجب على الطالب الحفظ الجيد للقرآن الكريم وبعد ذلك يتعمق في شتى أصناف المعرفة العلمية المقررة عليه، من فقه وحديث ولغة ومنطق ومواريث وتراجم وعلوم قرآن، ففي الفقه مختصر خليل[2] ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وفي النحو ألفية ابن مالك

[1]- مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 145.

[2]- خليل بن إسحاق: هو ضياء الدين ابو المودة خليل ابن إسحاق بن موسى بن شعيب المصري ت 769 هـ وضع مختصر على مذهب الإمام مالك بن انس رحمه الله تعالي مبينا لما به من الفتوى مستعرضا فقه المذهب في عبارات قصيرة

ومُلحة الأعراب، وفي الحديث صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك، وفي التفسير تفسير الجلالين، وفي علم القراءات الجزرية.

ولا يقتصر التعلم في هذه المرحلة على استعمال اللوحة فقط كما في المرحلة السابقة، بل يتم من خلال قراءة كتب ترتبط بمختلف أصناف العلوم التي يدرسونها، وعادة ما يحددها لهم الشيخ ككتاب واحد أو كتابين فقط أساسيين في كل صنف من العلوم، وهناك كتب أخرى تعتبر ثانوية يستزيدون بها عند الحاجة وتكون الدراسة على شكل حلقات علمية متصلة ومتسلسلة أو ما يعرف بالوقفات[1]، حيث يقوم الشيخ بإلقاء الدرس ليفتح بعده النقاش مع الطلبة وتخصص كل حلقة لمادة معينة ويستمر ذلك طيلة أيام الأسبوع[2].

وإلى جانب طريقة التدريس بالوقفات كانت هناك طريقة أخرى منتشرة وهي أن يبدأ الشيخ بإعطاء رأيه في المسائل الفقهية لطلبته، وبعدها يقرأ الطلبة درسهم من الكتاب المقرر عليهم بحضرة الشيخ، ثم يطلب من كل واحد منهم توضيح ما أشكل عليه، وأثناء ذلك يقيد الطلبة الشروح التي يعطيها الشيخ كجواب على ما يستفسرون عليه[3] وفتح باب المناقشة للطلبة بعد نهاية كل درس لتعم الفائدة.

أما عن توقيت الدراسة فقد كانت تنطلق من الفجر أو من الصباح الباكر وتستمر حتى منتصف النهار كل يوم عدا الخميس والجمعة صباحا، و بعد منتصف النهار تتواصل الدراسة من جديد بعد صلاة الظهر بعد أن يكون الطلبة قد أخذوا قسطا من الراحة، فيعودون إلى تلاوة

كثيفة مكتنزة جماله ووزع كتابه الى 63 باب و64 فصلا بالإضافة الى خطبة الكتاب ويقع الجميع في نحو 300 صفحة من القطع المتوسط طبعة دار الفكر، 1401هـ ـ 1981م، انظر: خليل النحوي: مرجع سابق، ص199.

[1]- **الوقفات:** هي ما يقف عنده الشيخ في الدرس ليكمله في درس الغد، وقد يكلف أحد الطلبة بتذكر مكان التوقف في متن أو فقه أو تفسير... لغاية إتمام الكتاب أو المتن.

[2]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 99.

[3]- الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط 1، 2002، ص 166.

القرآن وحفظ المتون المختلفة في شتى أبواب العلم، لتنتهي المرحلة المسائية عند غروب الشمس، لتكون العودة إلى النشاط بعد صلاة المغرب.

ولم تكن فترة الدراسة محددة في هذه المرحلة، بل تتوقف على مدى استيعاب الطالب للموارد المقررة عليه حفظا وتعليما[1]، وهذا النوع من التعليم في الزاوية أو المسجد لم يكن مقتصرا على الطلبة فحسب، بل كان بإمكان المستمعين أن يأخذوا أماكن لهم في الصفوف الخلفية للحلقة[2]. في نهاية هذه المرحلة، يكون الطلبة قد بلغوا تحصيلا علميا، وحصلوا على إجازات تؤهلهم للقيام بمهام التدريس والإمامة في القصور أو الزوايا.

- المرحلة الثالثة:

وهي أكثر تخصصا، كان لا يحصل عليها إلا قليل من الطلبة والمشايخ الميسوري الحال، فهي مرحلة التنقل وشد الرحال لطلب العلم، فكان التوجه نحو الحواضر العلمية مثل فاس، تلمسان، القاهرة، المدينة المنورة، تمبكتو وآروان وغيرها من الحواضر الكبرى وذلك للتضلّع في مختلف العلوم ومعرفة الغريب والنادر منها كعلم القراءات وعلم الكلام ومعرفة المذاهب الأخرى من غير المذهب المالكي[3]، الذي كان هو السائد في منطقة توات.

2. مناهج التعليم:

انتهجت الكتاتيب والمدارس والزوايا التواتية طرائق متعددة ومحدودة في التدريس خلال العصر الحديث، وهي تختلف من عِلم لآخر ومن مرحلة لأخرى، ويعتبر حفظ القرآن وتعليمه أول الاهتمامات، لذا اتبع المعلمون والمشايخ مناهج عديدة لتحقيق هذا الهدف، حيث كان الحفظ يبدأ بالتدرج من قصار السور إلى الجزء ثم الجزأين ثم الخمسة أجزاء إلى ربع القرآن ثم

[1]- حوتية، المرجع السابق، ج1، ص 251.
[2]- نفسه، ج1، ص 278.
[3]- مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 150.

نصفه إلى أن يتم الطالب حفظ القرآن كاملا صعودا، وبعد استظهاره على الشيخ كاملا يأمره بحفظه مرة أخرى نزولا، أي انطلاقا من سورة الفاتحة ثم البقرة إلى غاية سورة الناس مع تحديد وقت معيّن يكون أقل من مرحلة الصعود، والهدف من ذلك تمكين الطالب من الحفظ الجيد الذي يرسخ في ذهنه، ويدعم الطالب ذلك الحفظ بحضور مجالس تلاوة الأحزاب الرّاتبة والتي تكون بعد صلاة المغرب وفي كل صباح بعد صلاة الفجر، حيث تجعل حلقة يتلى فيها حزبين يوميا.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل المنطقة ومن منطلق حرصهم على تحفيظ القرآن لأبنائهم، فقد كانت مرحلة الكتاتيب تقتصر على هذه الغاية دون التطرق للعلوم أو المعارف الأخرى، وذلك ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: " ... فأما أهل المغرب، فمذهبهم في الاقتصار على تعليم القرآن فقط، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من الحديث ولا من الفقه ولا من الشعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعه على العلم جملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن يتبعهم من قرى البربر..."[1]

ويقتصر ما ذكره ابن خلدون على الكتاتيب فقط، أما الزوايا والمدارس القرآنية فهي تضيف إلى جانب حفظ القرآن علوم أخرى كالفقه وعلوم اللغة وتتخذ لأجل ذلك مناهج معينة، فالمناهج المتبعة في دراسة السنَّة تتم عن طريق حفظ الأحاديث النبوية ومناقشتها في مجالس علمية مع إعطاء دروس في السيرة النبوية والأخلاق، فيدرس الطالب صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك.

أيضا تحظى الدروس الفقهية بأهمية كبيرة في مناهج التعليم التواتية وذلك من خلال استظهار المتون الفقهية التي يدرسها الطالب منذ التحاقه بالكتاب، فيتدرج حسب مستواه وسنه

[1]- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 610.

ويقوم بحفظها بالتوازي مع حفظ القرآن[1]، حيث يكتب الطالب كل يوم أسفل لوحته جزءً من نص المتن، ويبدأ الشيخ بالمتون لسهولة حفظها وبساطتها كمتن ابن عاشر والأوجلي.

ولعلوم اللغة حظ وفير من العناية ويستعمل المشائخ نفس المنهج الذي يستعملونه في تدريس الفقه والمتون الفقهية التي سبق ذكرها فكانوا يدرسون النحو والصرف وفقه اللغة ليسهل على الطلبة فهم القرآن ويعتمدون في ذلك على دراسة ألفية ابن مالك وتمن الأجرومية وملحة الإعراب وغيرها[2].

هذه أهم المناهج التي استعملها مشائخ المنطقة في كتاتيبهم ومدارسهم وزواياهم، وقد تختلف اختلافا طفيفا عن بعضها من مدرسة لأخرى ويرجع ذلك إلى التنظيم المعمول به في كل مدرسة والذي أوجه الشبه فيه كثيرة.

3. المؤسسات التعليمية:

كان من دعائم النهضة العلمية التي عرفتها المنطقة خلال العصر الحديث المؤسسات التعليمية التي انتشرت في ربوع توات، وكان التعليم في هذه المؤسسات يتم وفق ما تقتضيه كل مرحلة من مراحله بدءً بالكتَّاب ثم المسجد والزاوية إضافة إلى مدرسة جمعت بين وظائف الكتَّاب والزاوية وهي المحضرة.

أ. الكتاتيب:

الكتاتيب لغة جمع كتَّاب بضم الكاف وتفخيم التاء الممدودة ومنه المكتب وهو موضع للتعليم، والكتَّاب هم الصبيان الذين يكتبون، يقول عبد العزيز سيد أعمر المهداوي صاحب كتاب قطف الزهرات في أخبار علماء توات: " فلما دخلت سن التعليم أدخلني والدي مكتب

[1]- بن زيطة أحميدة، الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، أدرار، ماي 2006، ص 13.

[2]- بكري عبد الحميد، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ج 1، ص 15.

القرآن عند عمنا ومقرئ بلدنا"[1]، وهي كما عرفها أحمد الأزرق " ذلك المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى وتربيته الأساسية على يد الشيخ."[2]

والكتَّاب عبارة عن بناء أو مجموعة من الأبنية يقوم ببنائها الخواص في غالب الأحيان لبساطتها، أو يقوم بعض المعلمين باستئجار بيوت تتخذ مكانا للتعليم أو تقوم جماعة من الناس ببناء منازل أو غرف قرب المسجد احتسابا لله.[3] وتطلق عليها أسماء مختلفة كالجامع بتوات الوسطى و" أقربيش" بتوات الوسطى كذلك وتيدكلت و" المحضرة" بقورارة، ولا تكاد تخلو قرية أو قصر من الكتَّاب، إذ هو بمثابة المرفق العمومي يلتحق به الصبي منذ بلوغه سن الرابعة أو الخامسة من عمره، فيتعلم هناك الحروف الهجائية وكتابتها وحفظ ما يتيسر من سور القرآن الكريم، ولا يقتصر دور الكتَّاب على تعليم الصبي فقط بل تربيته وضبط سلوكياته من خلال غرس القيم النبيلة التي هي من أبرز سمات الكتَّاب وأهمها:

- **الروح الجماعية:** باعتبار أن الكتاتيب توفر لطلبتها العمل في جماعات أو محاكاة عمل الجماعة وذلك بوجود التفاعل بين الأفراد وتوفر أهداف مشتركة.[4]

- **الاشتراك:** يبرز في وجود قاسم مشترك بين أعضاء هذه المدارس ووجود تجانس نفسي يمكنهم من التفاهم والتقارب واحترام بعضهم البعض، حيث أكد " فروي دان" أن وجود اهتمامات مشتركة بين أعضاء الجماعة يولد بينهم شعورا بالوحدة والتضامن[5].

---

[1]- عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 09.

[2]- الأزرق أحمد، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 27.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج 02، ص 155.

[4]- جابر عوض السيد، العمل مع الجماعات (أساسيات، مبادئ، نماذج) دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1999، ص 73.

[5]- مصطفى سويف، الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي، دراسة ارتقائية تحليلية، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 302.

– **التنافس:** نظرا لكون هذه الكتاتيب تسعى لتحفيظ طلابها القرآن الكريم، فمن الطبيعي أن يوجد تنافس يؤدي إلى المثابرة والجد من طرفهم، وهذا راجع للمكانة التي يحظى بها حافظ كتاب الله ففي المجتمع من خلال إقامة حفلات خاصة به وكذلك الولائم فرحا به، مما يجلب فخرا لدى الأولياء[1].

ونتيجة لكل ما سبق، فالكتاتيب توفر تعليما قاعديا للمبتدئين، لذا كانت هذه المرحلة ضرورية لكل طالب لأنه بدونها لا يتأهل لمزاولة الدراسة في بقية المراحل[2]، إلا أنها ورغم تاريخها الطويل فإنها لم تشهد تطورات ملموسة من حيث بنيتها التحتية[3].

ب. المساجد:

المساجد جمع مسجد، وهو من الفعل سجد، وسجد الرجل بمعنى انحنى إلى الأرض، وسجد البعير أي خف رأسه عند ركوبه،[4] ويقال مسجد بكسر الجيم أي مصلى الجماعة،[5] والمسجد للصلوات العادية غير الجمعة.

أما الجامع فيعني المسجد الكبير الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة وهو أكبر حجما من المسجد.

---

[1]– بكراوي عبد العالي ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية– الكتاتيب– في الحد من ظاهرة العنف، أعمال الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، يومي 07–08ديسمبر 2001، العدد 04، ص 212.

[2]– بوكرابيلة الزهراء، الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية مابين القرنين 7هـ، 10هـ/ 13م، 16م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010–2001، ص 88.

[3]– فاطمة مسدالي، مكانة الكتاتيب القرآنية في التعليم الأولي بالبادية المغربية، مجلة البحث العلمي، المغرب، العدد 51، يناير 2009، ص 60–61.

[4]– ابن منظور محمد بن تكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 3، ص 205.

[5]– محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 282.

وقد أولى سكان توات أهمية كبرى لإقامة الشعائر الدينية في المسجد، إذ تعتبر هذه المؤسسة الدينية من بين المرافق التي توجد في كل قصر، لم تقتصر وظيفة المسجد أو الجامع في القصور التواتية على الشعائر التعبدية، بل كان لها إسهام بارز التعليم وإشاعة المعرفة لاسيما الشرعية منها، من خلال حلقات العلم التي كانت تعقد للعامة، ودروس وخطب الوعظ والإرشاد الديني المقترن بعبادات مخصوصة، إضافة إلى الورد القرآني اليومي المعروف بالحزب الراتب، الذي يجتمع لتلاوته الرجال والصبية في وقت يختلف من لأخرى قبل العصر أو بعد المغرب أو قبل العشاء، وربما قرئ لعارض بعد الإسفار[1]، وله الفضل في تحفيظ القرآن للكبار والأميين خاصة، ونظرا لدورها الأساسي كذلك في التأطير الروحي والتوحيد التربوي للصغار، فقد انتشرت بالمنطقة منذ فترة دخول الإسلام إليها.

ومن أهم الأمثلة، المسجد القديم بزاوية كنتة لسيدي علي ابن أحمد الذي بناه الكنتيون[2]، ومسجد قصبة ملوكة الذي شيد في القرن السابع عشر ميلادي (11هـ) من طرف الإخوة البلباليين.[3]

ويقع في واحة تيمي قرب قصر أولاد وانقال المسجد القديم للشيخ أحمد ابن يوسف التينيلاني[4] الذي أسسه خلال السادس عشر ميلادي (10هـ)[5]. وبمنطقة تيدكلت في نواحي

---

[1]- محمد جرادي، نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، إشراف سعاد سطحي، جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، قسنطينة 2010- 2011، ص 70.

[2]- محمد حوتية، قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1992- 1993، ص 80.

[3]- عليق ريحة، قصر ملوكة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2001- 2002، ص 55.

[4]- يذكر الباحث مارتان أن الحاج أحمد بن يوسف التينيلاني انتقل في سنة 1513م من قصر أولاد ونقال إلى قصر تينيلان وأسس زاويته هناك وكان مشهورا في توات بحبه للعلم.

[5] - J. C (Echalier),Notule sur une mosquée du Touat, un le saharien, Paris, 1-2 trim. 1969, p 19.

تمقطن مازالت آثار قصر قديم يعرف بقصر الشارف، ويضم بداخله مسجدا عتيقا، وبنفس الناحية يوجد مسجد قديم شيد في منطقة أولف يعرف بمسجد أبي سعيد الخدري.[1] وأما بناحية قورارة فتوجد أمثلة عديدة لجوامع ومساجد عتيقة بالقصر القديم بتيميمون وتسمى هناك بالجوامع العتيقة، ولعل أهمها مسجد قصر تيميمون الذي يسمى بالجامع العتيق لقصر أغرم أقبور، وغير بعيد عن الجامع العتيق يوجد مسجد أولاد الهادي، وتوجد أيضا مساجد قديمة أخرى في قصور كل من تيميمون، شروين، بادريان، وأولاد سعيد.

كانت هذه المساجد وأمثالها منذ نشأتها مؤسسات دينية يلتقي فيها العباد، ومنشطة للحياة العلمية والاجتماعية ، والمسجد في نفس الوقت قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة[2].

ت. الزوايا:

تعتبر الزوايا بالمنطقة التواتية من أهم المراكز الحضارية التي نشطت الحركة التعليمية وأعطت نمطا خاصا للتعليم وفق مناهج ومقررات معينة تختلف عما كان في سابقتها خاصة من ناحية العمق وتوسيع المعارف ونظام التعليم، وكانت هذه الزوايا تجمع بين الوظائف التعليمية إلى جانب الوظائف الدينية والاجتماعية.

والزاوية لغة جمعها زوايا وهي من الفعل زوى، يقال زوى الشيء أي جمعه وقبضه[3]، وسميت بذلك لأنها تجمع العلم والضيوف والفقراء، وعند الصوفيين هي مكان إلتقاء الشريعة بالحقيقة[4].

---

[1]- قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، (د. ن)، الجزائر، ص 26.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 246.

[3]- الرازي زين الدين، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر وحمزة فتح الله، دار البصائر، دمشق 1987، ص 278-279.

[4]- ميلود سرير، دور الزوايا التقافي والعلمي في منطقة توات، فرقة بحث، جامعة أدرار، الجزائر، 2000، ج 2، ص 29.

وقيل أن الزاوية تعني الركن أو المكان المنعزل، فهي مشتقة من الفعل انزوى بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتَّعبد أو آوى إليه[1].

أما في الإصطلاح فقد عرفها ابن مرزوق التلمساني بقوله: " ... والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين..."[2] وبالتالي هي مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وقد سميت بدار الكرامة أو دار الضيوف[3]، وفي منطقة توات عرفت الزاوية على أنها تلك الصدقات الجارية التي يحبسها الشخص في حياته وبعد وفاته، بغرض انتفاع الناس منها، حيث يشرف عليها الشخص في حياته، وبعد وفاته يشرف عليها ورثته أو من يعرفون بالمقدمين وفق ترتيبات خاصة بالزاوية[4]، وعلى هذا المفهوم فقد ألف الشيخ باي بلعالم[5] أبياتا جاء فيها:

أما الزوايا فهي ركن يبنى ★★★ كدير أو صومعة في المبنى

وفي شمال القارة السمراء ★★★ ينمى لما خص بالأولياء

وقيل اسم لبناء قد جمع ★★★ مدرسة وغرف لها تبع

فيجد فيها الطالب مثوى ★★★ وهي للضيوف أيضا مأوى

---

[1]- بوسليم صالح، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12- 13ه بين الإشعاع العلمي والإنتشار الصوفي، مجلة الواحات، عدد 9، جوان، غرداية، المركز الجامعي 2009، ص 99.

[2]- محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 413.

[3]- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، ط 1، 1964، ص 25.

[4]- عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيره في بلاد السودان الغربي بين القرنين 9- 10هـ/ 15- 16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بشار قويدر، جامعة الجزائر، 2000- 2001، ص 122.

[5]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 316.

أما عن نشأة الزوايا في منطقة توات فهي مرتبطة بتاريخ عمارة المنطقة ونشأة قصورها أو حسب العائلات التي ساهمت في تكوينها ويتجلى ذلك في أسماء القصور التي تحمل أسماء الزوايا مثل زاوية الحاج بلقاسم، وزاوية الدباغ، وزاوية الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي، وزاوية حينون، وزاوية مولاي هيبة[1].

وقد انتشرت الزوايا بتوات نظرا لوقوعها على الطريق التجاري الرابط بين المغرب وبلاد السودان الغربي بسبب شساعة مساحة المنطقة وصعوبة مسالكها، فقد تحولت المنطقة التواتية إلى مكان لإطعام عابري السبيل والتكفل بركب الحجيج والقوافل التجارية، والتعبد ونشر العلم، هذه الأدوار التي توزعت على زوايا المنطقة فاختصت كل زاوية بدور منها أو الجمع بين عدد من هذه الأدوار، وبذلك صنفت الزوايا في توات إلى صنفين:

– **زوايا مخصصة للإطعام:** هدفها استقبال الضيوف وإطعام عابري السبيل، يقصدها الغرباء والتجار والحجيج للراحة وتناول الطعام، فالمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه لأن في كل قصر من قصور توات عادات فإن كان في القصر زاوية، يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه من علف الدواب... وإن لم تكن زاوية فإن أهل القصر لهم عادة ونوبة لكل واحد منهم ولا يختلف هذا النظام ولو أقام الضيف مدة طويلة.[2]

ويتحدث العياشي عن زاوية الشيخ عبد الله بن طمطم[3] بأوقروت كمثال عن زوايا الإطعام قائلا: "... وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا وأنه من أهل الخير والدين يطعم الواردين عليه، في بلاد كاد الطعام أن يكون فيها دواء".[1]

[1]– محمد حوتية، المرجع السابق، ص 234– 235.

[2]– مولاي أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص 33– 34.

[3]- عبد الله بن طمطم الدغامشي :كانت له زاوية مشهورة من أهل اخبر والدين، يطعم الواردين عليه في بلاد، كاد أن يكون الطعام فيها دواء، مما تواترت به الأخبار عنه، أنه كان لا يترك أحدا من الظلمة يأكل من طعامه، اشتهر بقوته

إلا أن غالبية هذا النوع من الزوايا قد مارس بعد فترة من تأسيسها أنشطة تعليمية وأخرى اجتماعية وذلك بجلوس شيوخها للتدريس والإفتاء.[2]

– **الزوايا التعليمية:** وتعرف بالمدارس القرآنية أو المدارس الفقهية، يلتحق بها الطلبة بعد اجتيازهم مرحلة الكتَّاب ليستكملوا حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه والفقه والنحو والحديث.

وكانت ولا تزال هذه الزوايا توفر المأكل والمبيت للطلبة الوافدين عليها من الجهات المتباعدة، وهو ما حمَّل عبئا ماليا إضافيا على شيخ المدرسة، فكان من حلوله الاستفادة من الخدمات (المأكل والمأوى) التي تقدمها الزوايا الصوفية[3]، وهي أسبق وجودا بالمنطقة للمريدين والزوار وعابري السبيل، فوفرت الزاوية للمدرسة حاجة التلاميذ ووفرت المدرسة للزاوية مزيدا من المريدين، وهكذا بدأت العلاقة تكاملية، وفي زاجلو بتوات تجسدت صورة هذا التكامل بين زاوية الشيخ علي بن حنيني الصوفية وبين مدرسة الشيخ محمد العالم الزجلوي العلمية، ثم انتهت العلاقة إلى حلول إحداهما في الأخرى، وآل الأمر إلى توحيد المشيَختين العلمية والصوفية.[4]

وتجدر الإشارة إلى أن الزوايا التعليمية التي اعتمدت كذلك في تمويلها على المحصولات الزراعية وما يرد إليها من ثمار في بعض البلدان بالإضافة إلى عائدات الأوقاف التي كانت توقف عليها من قبل المحسنين.[5]

وعلمه،كان له حال مع الله عز وجل . انظر : محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 4، مرجع سابق، ص ص 1747 – 1748.

[1]– العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 12.

[2]– مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ص 34.

[3]– أحمد البوزيدي، مؤسسة الزوايا بوادي درعة القرنيين 10-11هـ/ 16- 17م بين الإشعاع العلمي والإنتشار الصوفي، مجلة أمل : التاريخ الثقافة المجتمع، المغرب، عدد مزدوج 19- 20، السنة السابعة، 2000، ص 37.

[4]– محمد جرادي، المرجع السابق، ص 72.

[5]– محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1 ص 323.

ويغلب الطابع العلمي والتوجيهي على الزوايا بتوات إذ يرجع الفضل لها في انتشار الإسلام في غرب إفريقيا التي تعتبر منطقة توات بوابة لها، كما تعتبر الحاجز المنيع الذي حصَّن الهوية والشخصية الإسلامية، والقيم العرفية السامية، كما عملت الزوايا على تخريج العديد من العلماء والفقهاء والدعاة والمجاهدين في سبيل الله، وعن الرسالة السامية للزوايا يقول محمد المأمون المصطفى القاسمي الحسني[1]: "إن رسالة الزوايا كما يتضح لكل دارس نزيه، رسالة شاملة شمولية هذا الدين، إنها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم، بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعم وأوسع، فهي معقل تربية وجهاد ومعهد علم وعمل، وموطن تلاوة وذكر ومجلس إصلاح وقضاء، ومكان رأي ومشورة وملتقى تعاون وتضامن وتكافل".

★ وظائف الزوايا:

تعددت مهام الزوايا لتشمل مجالات عديدة منها الثقافية والاجتماعية، ففي المجال الثقافي لها باع طويل في نشر الثقافة العربية والحفاظ عليها وتعليم العلوم الشرعية واللغوية وحفظ العلوم في خزائن المخطوطات وغيرها من الأدوار التي أشرت لها آنفا.

أما في المجال الاجتماعي، فالزوايا مأوى للأيتام والضيوف وعابري السبيل، ولها مساهمة فعّالة في تقوية العلاقة بين أفراد المجتمع من خلال إصلاح ذات البين، والقيام بتنظيم رحلات الحجيج، ومعاونة الفقراء في الأعراس والقيام بالختان الجماعي.[2]

[1]- عبد الله رزوقي، واقع الزوايا في إقليم توات، بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، العدد 14، جويلية 2010، ص 213.

[2]- علي بومدين، الفنون والعادات التقليدية و أهميتها في التنمية البشرية، دراسة نموذجية لمنطقة توات، مذكرة ماجستير في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2009- 2010، ص 125.

وإضافة إلى هذه الأدوار الدائمة فهناك دور قامت به الزوايا بالسّر والعلن كلما دعت الحاجة إليه وهو الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، فالزوايا بهذا الدور تكون قد احتوت مهمة الرباطات وزادت عليها بما أشرنا له من أدوار علمية واجتماعية.

فإذا كانت الرباطات قد أنشئت أول الأمر بالمشرق في عهد الدولة العباسية وهي عبارة عن تكتلات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن الدولة ودفع المُغيرين والمهاجمين عليها من النصارى كأربطة العباسيين بثغور الشام، فإن الرباط الجزائري كان أكثر نفعا أبعد أثرا إذْ أن مهمّته لا تقتصر على الدفاع فقط.[1]

ومن أهم الزوايا في المنطقة التواتية ما يلي:

- **زاوية الشيخ سليمان بن علي:**

وهي أقدم زاوية بالمنطقة أسسها الشيخ سليمان بن علي الذي قدم إلى توات من فاس سنة 580هـ/1184م، واستقر بأولاد وشن، بدأ تعليمه وتدريسه للطلبة قبل تأسيسه للزاوية بداية من 581هـ/1185م، وأسس زاويته سنة 595هـ/1199م، وبدأ يعلم القرآن وعلوم اللغة والعقيدة والتوحيد، فالْتفّ السكان حوله ووثقوا به وعمل على نشر فكره الصوفي من خلال الأوراد التي لقنها لأتباع زاويته الذين انتشروا بكامل الصحراء وبلاد السودان الغربي[2]، وقد حبس أملاكه للزاوية التي جمعت بين تغذية الروح والجسد، وتعتبر مقراً للعلم والتعليم ومكاناً للعبادة والتصوف، وكانت مقصدا لقوافل الحجاج التي كانت تقصد الزاوية للراحة، وقد

[1]- خير الدين شترة، محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر، دار ابن الطفيل، الجزائر، 2012، ج 1، ص 78.

[2]- الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص 60- 61.

احتوت هذه الزاوية على مكتبة تنوعت عناوينها وتعددت مضامينها، من كتب فقه ونحو وتفسير وطب وفلك وحساب...[1]

- **زاوية الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي**

يعتبر الشيخ المغيلي هو المؤسس لها بعد ما رحل من تمنطيط اثرا الخلاف الذي حصل له مع العصنوني قاضي الجماعة التواتية حول نازلة يهود توات فآثر الرحيل، إلى واحة بوعلي أين أسس هذه الزاوية عام 885هـ - 1480م وبدأ النشاط العلمي بها، وسرعان ما جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمة الجهادية ،حيث كانت قاعدة لانطلاق جيش المغيلي لضرب قواعد اليهود بتازولت وتاخفيفت وتمنطيط ،كما كانت ذات ورد صوفي قادري انتشر في منطقة السودان الغربي مما دعم نفوذها في هذه المناطق، توجد بهاته الزاوية خزانة للعديد من المخطوطات والمؤلفات أهمها مؤلفات الشيخ المغيلي، بالإضافة إلى أوقافها والمتمثل في أراضي وبساتين ونصيب وافر من مياه الفقاقير.[2]

- **الزاوية البكرية**

يرجع تاريخ العائلة البكرية الى ميمون[3] بن عمر بن محمد بن عمر الباز الذي ولد بفاس وأخذ عن علمائها كابن غازي، حلّ بتوات سنة 909 هـ-1503م وعاصر قاضيها عبد الله العصنوني وصاهره ويعد الشيخ ميمون أول من أدخل كتاب مختصر خليل للديار التواتية،[4] بعد حادثة وقعت له مع أهل توات فرحل إلى فاس فاشتراه بأربعين مثقالا ذهبا وقدم به لتوات فاستحسنه العلماء و أقبلوا عليه مما زاد من شهرة الكتاب ومن ورائه الشيخ ميمون الذي أصبح

---

[1]- بن خويا إدريس، خزانة مولاي سليمان بن علي والمخطوطات المتواجدة بها، دراسة وصفية، الملتقى الوطني الثالث حول البحث العلمي ودوره في خدمة التراث، جامعة أدرار، أبريل 2008، ص 118.

[2]- الحمدي، احمد: المرجع السابق، ص ص62-63..

[3] - عبد الحميد بكري: المرجع سابق، ص 106.

[4]- طموز عبد الكريم، المرجع السابق، ص 41.

منارة للعلم وانتفع به أهل المنطقة إلى أن توفي، وحمل لواء العلم بعده أبناءه وأحفاده منهم العالم عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد الذي تصدر للتدريس في تمنطيط فتخرج على يديه العديد من الطلبة من أهمهم ابنه محمد بن عبد الكريم[1]، المتوفي سنة 1092هـ/ 1681م وابنه البكري[2] بن عبد الكريم المتوفي 1133هـ / 1721م، هذا الذي أسس الزاوية البكرية سنة 1117هـ/ 1705م في تمنطيط، والتي استمرت في بثّ العلم وتخريج العلماء الذين أثْروا الساحة العلمية بتوات طيلة القرنين 11 و12 هـ / 17 و18م منهم أبناء الزاوية البكرية كالقاضي عبد الحق بن عبد الكريم قاضي توات، والحسن بن سعيد البكري والشيخ محمد البكري بن محمد بن عبد الرحمن، أما من غير العائلة البكرية نذكر منهم احمد بن يوسف الونقالي[3]، ثم التنيلاني الذي أسس زاوية تنيلان والتي تصدرت الساحة العلمية خلال القرن 11و بداية القرن 12 هـ.

- **زاوية تينيلان**

أسس هذه الزاوية الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي، ولد بأولاد أنقال[4] سنة 102هـ 1593م أخذ العلم عن عالم توات عبد الكريم بن أحمد بتمنطيط، رحل عن أولاد أنقال بعدما لقي مضايقات من أخواله فذهب إلى موضع تينيلان و أسس هذه الزاوية يوم 11 رمضان 1058 هـ/1648 م و بنى جامعها و حفر فقاقيرها و عمر قصرها.[5]

---

[1] – عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 122

[2] – بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي، مرجع سابق، ص 49.

[3] – طموز عبد الكريم، مرجع سابق، ص 43.

[4] – وهي حي تابع لاحياء مدينة أدرار مختلط بوسط المدينة أدرار يشتهر بضريح العالم الونقالي.

[5] – باعثمان عبد الرحمن، الدور العلمي للزوايا التنيلانية، الملتقى الوطني الرابع حول إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث(1500م،2000م)، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، أيام 04ـ05 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ: 19 ـ 20 افريل 2010م، ص 05.

شهدت الزاوية أزهى أيامها و عطائها في فترة عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاني الذي زار فاس و نهل من علمائها و بعد رجوعه إلى تنيلان تصدر التدريس فيها سنة 1129 هـ/1717م فعرفت هذه الفترة قدوم عديد الطلبة للتعلم فيها من مختلف أرجاء الصحراء نظرا للمكانة التي كان يحظى بها الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي قال عنه صاحب الدرة الفاخرة " أحد الأعلام و الأئمة المجتهدين في المذهب له ترجيحات كان عالما بالنحو و الفقه و الحديث و اللغة و العروض[1]، تخرج من هذه الزاوية العديد من العلماء أمثال عبد الرحمن الجتنوري و أبي الأنوار التنيلاني، وعمر بن محمد المصطفى الكنتي و ابن أبّ المزمري، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاني و القاضي عبد الحق بن عبد الكريم ومحمد العالم الزجلاوي ومحمد بن المبروك البداوي[2].

كل هؤلاء العلماء كان لهم إسهام علمي كبير في المنطقة إن دلّ على شيء فإنما يدل على منهل العلم الذي تروا منه وهو الزاوية التنيلانية.

- **زاوية بدريان**

تأسست هذه الزاوية في القرن التاسع الهجري على يد أبو محمد الجزولي[3]، وهو من أبناء محمد بن سليمان الجزولي عاش في القرن التاسع الهجري في منطقة أولاد سعيد بإقليم تينجورارين (قورارة)، أخذ العلم على يد والده ثم على يد الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين و أخذ التصوف على يد الشيخ موسى بن المسعود.

---

[1] – المهداوي عبد القادر بن عمر،الدرة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، ادرار، ورقة 03.

[2] – عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 82.

[3] – الجزولي: هو أبو عبد الله ولد بجزولة واشتغل بها ستة عشر عاماً في الفقه والعربية والحساب على يد أبي العياس اللقاني وأخيه عيد النرير, رحل إلى تونس ودخل والتقى الشيخ أبا القاسم البرزلي، ثم رحل إلى مكة والمدينة, كان بارعاً في الفقه والأصول والعربية, ولد سنة 806 وتوفي سنة 863ه. انظر: أحمد بابا التنبكتي, نيل الابتهاج, مصدر سابق ص 538.

انتقل إلى تينركوك حيث أنشأ الزاوية الجزولية و زوايا تابعة لها في قصور مختلفة كزاوية فاتيس وزاوية بن عيسى و بعد وفاته تولى تسيير شؤون الزاوية ابنه محمد بن عبد الله الصوفي[1] الذي قسّم الزاوية إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول أوقفه لطلبة العلم و عابري السبيل، و القسم الثاني أوقفه للفقراء حيث يتكون من أربعين سكنا و خمسة و ثلاثين بيت، أما القسم الأخير فقد تركه لأبنائه و أحفاده،[2] اهتمت هذه الزاوية بالناحية العلمية حيث تخرج منها عدد كبير من العلماء نذكر منهم عبد الرحمن بن محمد الغزاوي و ابنه محمد عبد السلام، والشيخ أحمد بلحاج دفين أولاد أحمد تيمي، و قاضي تينجورراين محمد بن أحمد الفقيه،[3] تحتوي الزاوية على خزانة من المخطوطات وصل عدد مخطوطاتها إلى مائة مخطوط سنة 1195هـ/1780م.[4]

- **زاوية أقبلي**

ومؤسسها هو الشيخ عبد الرحمن الملقب بأبي نعامة القبلاوي ولد سنة1060 هـ/1650م بأقبلي، [5] حيث كانت هذه الزاوية محطة يلتقي فيها حجاج التكرور و حجاج توات،[6] مما أعطاها فرصة للالتقاء بين العلماء و تبادل الخبرات العلمية و الآراء في المسائل حيث يذكر التنيلاني صاحب الفهرسة أنه انتقل إلى الزاوية من أجل مقابلة الشيخ الغلاوي من بلاد

---

[1] – بليل رشيد: قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقبي والأخبار المحلية. منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،عدد 3، 2008، ص 195. حوتية محمد، مرجع سابق، ص 235.

[2] – بوكرابيلة الزهراء، مرجع سابق، ص 93.

[3] – حوتية محمد، مرجع سابق، ص 237.

[4] – بوسعيد أحمد، مرجع سابق، ص 123. انظر: حوتية محمد، مرجع سابق، ص 238.

[5] – أقبلي: وهي بلدية تابعة لدائرة أولف تبعد عنها بحوالي 60 كم شرقاً، تشتهر بخزائن المخطوطات أهمها: خزانة بيت العود، خزانة ساهل، خزانة المنصور، خزانة أركشاش. كما تسكنها قبائل معروفة ساهمت بإنتاجها العلمي وتراثها الحضاري. انظر: الشيخ باي بلعالم: قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمآثر، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص ص 57-56.

[6] – الطاهري أحمد الإدريسي، مصدر سابق، ص 154. حوتية محمد، مرجع سابق، ص 281.

الساحل،[1] و ربما هذا الالتقاء من أجل مسائل علمية، بالإضافة إلى أنها كانت محطة تبادل الكتب و المؤلفات العلمية، ومن أهم الشيوخ الذين كانوا يترددون عليها، الشيخ أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي الذي كان شيخ ركب الحجيج لبلاد التكرور حتى يصل إلى توات و من توات يصبح لأبي نعامة.[2]

تضم هذه الزاوية خزانة من أعظم الخزائن في منطقة تيديكلت و توات عموما لما تحتويه من الكتب النفيسة تشمل على قرابة ثلاثمائة مخطوط في فنون شتى، من أهم أعلامها بالإضافة الى الشيخ المؤسس ابنه السيد أحمد الحبيب المتوفى في 1205 هـ.[3]

- **زاوية الشيخ عمر بن صالح:**

أسسها الشيخ عمر بن محمد بن الصالح، كان من أعلام القرآن العاشر الهجري، توفي سنة 1008هـ/1599م، برزت كمركز إشعاع ثقافي وعلمي كبير بمنطقة أوقروت، كانت تستقبل الضيوف والطلبة فوفدوا عليها من مختلف الجهات، نزل بها العياشي أثناء رحلته وجرى بينه وبين شيخ الزاوية نقاش طويل في مسائل فقهية، من أشهر شيوخها الشيخ محمد بن علي النحوي الوقروتي، كما تخرج منها كثير من العلماء، منه الشيخ البكري، والشيخ سيدي علي بن حنيني، وكان بها طلبة من خارج توات، مثل الأديب عبد الحكيم بن عبد الكريم السجلماسي، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي.[4]

[1]- جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 170.

[2] - البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 48.

[3]- محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ص 398.

[4]- امبارك جعفري، المرجع السابق، ص 166-167.

- **زاوية الشيخ أبي الأنوار:**

مؤسسها هو الشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم التينيلاني (ت 1168هـ/1755م) درس على يد كثير من العلماء منهم الشيخ بن دين الله التيطافي، والشيخ سيدي علي بن حنيني، اشتغل بالتجارة بين توات والسودان الغربي، وبعد عودته لتوات استقر به المقام في أولف الشرفاء، حيث اشترى بساتين ومياه وبنى زاوية، واشتغل بالتدريس هناك، وبعد وفاته خلفه ابن ابنته مولاي هيبة بن محمد على الزاوية وعمل على توسيعها، وغدت الزاوية من أشهر الزوايا في توات وعموم المنطقة، يقصدها الناس والطلبة من كل مكان، وغلب اسم زاوية مولاي هيبة على اسمها الأول حتى صارت لا تعرف إلا به.[1]

هذه بعض أهم الزوايا العلمية بتوات وهناك زوايا أخرى لا تقل عنها أهمية لا يتسع المقام لذكرها، ساهمت كلها في ازدهار الحياة الفكرية بالمنطقة التواتية في العصر الحديث.

4. المكتبات وخزائن المخطوطات:

نظرا للحمولة المعرفية الكبيرة التي تشكلت بالجنوب الجزائري على مر عصوره منذ وصول الإسلام إليه خاصة في العصر الحديث، فقد احتوت المنطقة على العديد من خزائن الكتب المخطوطة التي حفظت علوم علمائها واجتهاداتهم، وقد انتشرت هذه الخزائن انتشار الزوايا والمدارس العلمية بتوات، وهيمن عليها طابع الملكية الأسرية، ويرجع ذلك إلى الأسر العلمية التي اشتهرت بعلمائها الذين كان لهم الفضل في تشكيل هذه الخزائن وإثرائها بكتبهم كالأسرة البكرية والتنيلانية والكنتية وغيرها من أصحاب الفضل في تواجد هذا النوع من الخزائن بتوات وحتى بالمناطق التي كانوا يرتحلون إليها كالسودان الغربي.

ومن أهم خزائن المخطوطات بتوات نذكر:

[1]- نفسه، ص 170-171.

أ- الخزانة البكرية بتمنطيط:

من أقدم وأغنى المكتبات الموجودة بالمنطقة، مؤسسها الأول هو الشيخ ميمون بن عمرو، وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري، بلغ عدد مخطوطاتها في القرن 11هـ ثلاثة آلاف مخطوط، وذلك في عهد مؤسسها الثاني الشيخ سيد البكري.

ولمدة ثلاثة قرون ظلت المكتبة البكرية مجموعة وموحدة، يشرف عليها عالم من أبناء العائلة ممن يشهد له عدول عصره بالتبرز في العلم والتفرد بالنجابة، يحيطها بالرعاية، حيث لا يمنع منها منتفعا، ولا يمكن منها مبتدعا.[1]

ب- خزانة الشيخ عبد الله البلبالي:

تقع هذه الخزانة بقصر كوسام من أرض توات، هذا القصر الذي أضحى مركزا علميا معروفا منذ تأسيس البلباليون لمدرستهم به في القرن الحادي عشر الهجري 17م،[2] وقد بلغت هذه المدرسة أوج ازدهارها في نهاية القرن 13هـ/19م بفضل العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي[3]، تضم هذه الخزانة عددا كبيرا من المخطوطات في شتى المجالات.

ت- الخزانة المسناوية:

أسسها الشيخ محمد بن إسماعيل القوراري، وقد جلب كتبها من اسطنبول[4]، ومن رحلاته المختلفة في أصقاع العالم الإسلامي، وقد أخبر صاحبها العياشي، عندما التقى به في فقيق سنة

---

[1]- بكري عبد الحميد، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ج 2، ص 29.

[2]- جعفري أحمد، أبحاث في التراث، مكتبة النهضة، القاهرة، 2009. ص 106.

[3]- علي بومدين، المرجع السابق، ص 132.

[4]- يذكر العياشي أن الشيخ محمد بن إسماعيل ذهب إلى بغداد وعند ضريح الشيخ عبد القادر الاجيلاني وجد وزيرا للسلطان العثماني وقد ضاقت به الدنيا ويأمل الوزارة فدعا له، وبعدها انتقل إلى اسطنبول فوجده قد تولى الوزارة، فأكرمه وسأله حاجته فطلب منه الشيخ مجموعة من الكتب فأمر الوزير صاحب خزانة الكتب أن يعطي الشيخ ما شاء

1063هـ/ 1653م، أن بها ألف وخمسمائة كتاب، لم يبق الكثير منها لأنه قبل وفاته أوصى بها للروضة النبوية الشريفة في المدينة المنورة[1].

ث- خزانة الشيخ أبي الأنوار:

تقع هذه الخزانة بزاوية الشيخ أبي الأنوار السالف ذكرها وقد عمل مولاي هيبة بن محمد (ت 1238هـ/1822م)، حفيد الشيخ أبي الأنوار على توسيع الزاوية وإثراء مكتبتها باقتناء وجمع الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم خاصة أثناء زيارته لأقدز وتيكدة من أرض الأزواد[2].

ج- خزانة زاوية الشيخ المغيلي:

وهي من أقدم خزائن المخطوطات بالمنطقة، تقع بقصر بوعلي قرب ضريح الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي ومعظم محتوياتها من مؤلفات الشيخ المغيلي، إذ خلّف هذا العالم الجليل ميراثا علميا يزيد عن ثلاثين مؤلفا بين مطبوع ومخطوط، وامتازت هذه المؤلفات بالتنوع والشمول[3].

ح- خزانة ملوكة:

وهي من الخزائن التي تأسست في القرن 12هـ/18م، ويعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي ت 1244هـ، وقد اعتبرت هذه الخزانة من الخزائن الكبيرة في بلاد المغرب العربي[1].

وهو من سيتولى دفع ثمنها، وهكذا عاد ومعه الكثير منها. أنظر: العياشي أبو سالم، ماء الموائد (رحلة العياشي) مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، ص 14.

[1]- جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 159.

[2]- حوتية محمد، المرجع السابق، ص 240- 241.

[3]- نويجم حدة، آثار الإمام المغيلي في العلوم الشرعية وأماكن العثور عليها، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2001- 2002، ص 48.

خ- خزانة المطارفة:

أسسها الشيخ محمد العالم بن عبد الكبير والذي سميت الخزانة باسمه وفي نهاية القرن 10هـ/16م، وقد حرص الشيخ على إثرائها بالكتب القيمة حتى بلغ عدد الكتب المخطوطة بها ما يقارب خمسمائة مخطوط في شتى العلوم، وبعد وفاة الشيخ محمد العالم تولى أبناؤه الإشراف عليها[2].

د- خزانة زاوية كنتة:

تعرف باسم خزانة الدار الكبيرة، أسسها الشيخ أحمد الرقاد خلال القرن العاشر الهجري، وتحتوي هذه الخزانة على كمّ كبير من المخطوطات المتنوعة تنوع العلوم والفنون كالفقه والحديث والتفسير واللغة والتصوف، ويغلب عليها الطابع الفقهي الشرعي.[3] وقد ساهم الشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي (ت 1157هـ/1744م)، في إثرائها بمختلف الكتب، لما عرف به من كثرة جمعه للكتب بكل الوسائل من شراء أو نسخ وكثرة التقييد.[4]

ذ- خزانة أبي نعامة الهاملي القبلي:

تقع بأقبلي من أرض تيدكلت، أسسها الشيخ أحمد بن عبد الرحمان بن أبي نعامة العقباوي الكنتي ت 1163هـ/1750م، وذلك سنة 1138هـ/ 1725م، وتحتوي هذه الخزانة على عدد كبير من المخطوطات المختلفة باختلاف العلوم والفنون[5]، ويرجع الفضل في إثرائها إلى

---

[1]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 91.

[2]- جعفري أحمد أبالصافي، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 106.

[3]- حاج أحمد الصديق، من أعلام التراث الكنتي المخطوط، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص 19.

[4]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني (فهرست التنلاني)، مخطوط بخزانة تينيلان، أدرار، ص 38.

[5]- حاج أحمد الصديق، المرجع السابق، ص 20.

مؤسسها أبو نعامة الذي لقب بشيخ الركب لمواكبته الحجيج والقوافل التجارية والانتفاع بما يحملوه من كتب، لذا وجد بالخزانة عدد كثير من مؤلفات الأفارقة[1].

هذه بعض أهم خزائن المخطوطات بتوات، وهناك العديد من الخزائن الأخرى التي لا تقل أهمية عما ذكر، وهي تنتشر بمختلف جهات توات وقصورها، وعددها يربو عن الواحد والخمسين خزانة ومكتبة، تتفاوت من حيث عدد الكتب المخطوطة وأهميتها وأصناف العلوم بها إضافة إلى تأثير عوامل الزمن عليها.

5. الإجازات العلمية:

الإجازة في اللغة هي الإذن[2]، وهي مصطلح علمي ابتكره علماء الإسلام في بداية عصور الرواية، كان يهدف إلى توثيق العلوم المتمثلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم ومرويات السنة المطهرة، ثم تطورت لتشمل الكثير من العلوم.

يحصل الباحث من خلال الإجازة على حق الرواية، أي الإذن في الرواية وبذلك يمكنه المشاركة في الساحة العلمية، وتكون الإجازة بإذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه، ولو لم يقرأها عليه، وذلك بقوله أجزت لك أن تروي عني كتابي هذا أو كتاب فلان الذي حدثني به، أو ما صحّ عندك من مسموعاتي.[3]

---

[1]- عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 197.

[2]- ورد في القاموس المحيط أن الإجازة من الفعل استجاز أي طلب الإجازة بمعنى طلب الإذن، وقال ابن الفارس:" الجواز: الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال منه استجرت فلانا من أجازني إذا استسقاك ماء لأرضك أو ماشيتك." ينظر: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005، ط 8، مادة: جوز، ص 507. وأيضا: أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر 1979، مادة (جوز)، ج 1، ص 494.

[3]- محمد بن علي اليلو الجزولي، الإجازات العلمية وعناية المغاربة بها، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة، المغرب www.alqwatan.ma/Article

وعندما يجيز الشيخ الطالب في علم أو مجموعة من العلوم أخذها عنه، يذكر سنده في ذلك العلوم، مبينا الشيوخ الذين أخذ عنهم، متسلسلين إلى مصدرها الأول، فقد كان ذكر السند من علامات الثقة لذا أصبح العديد من طلبة العلم يقطعون الفيافي لأجل الحصول على إجازة من عالم مشهود له.

والمتتبع سير وتزاحم العلماء التواتيين وطلبة العلم بتوات، يلمس فيهم ذلك الحرص على الحصول على الإجازة بسندها، فهذا الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني يذكر أنه التقى الشيخ أبو عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم الدرعي، ببلاد زاجلو، لما قفل هذا الأخير من الحج، فجالسه، واستفاد منه وقرأ عليه بعض الكتب، ثم استجازه، وطلب منه أسانيده فاعتذر بأنها في كتبه، وقد خلّفها ببلاد تيدكلت، وهو ينتظر من يقدم بها عليه، فعاد التنيلاني إلى مسكنه ولما سمع بوصولها إليه، رحل ثانية فدفعها إليه، فنقل منها ما أراده[1].

ولم يكن التينيلاني وحده من جدّ في سبيل الحصول على الإجازة بسندها، فقد بلغت عناية وحرَص العلماء التواتيون وطلبة العلم بطلْب الإجازات مبلغا تجلى فيه التسابق للحصول عليها وبذل الغالي والرخيص في طلبها، فيرحلون للأمصار المختلفة والأقطار المتباعدة من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث أو نحوها، كما حصل للشيخ البكري بن عبد الكريم التمنطيطي الذي رحل إلى القاهرة من أجل الحصول على إجازة من الشيخ أبي عبد الله الخرشي مفتي المالكية في مصر، وكان له ما أراد[2]، وكذلك الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي أجازه في فاس الإمام الجامع لمذهب الإمام مالك أبو علي الحسن بن رحال المعداني إجازة عامة، أما الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني فقد تنقل إلى بلاد التكرور وهناك أجازه الشيخ

[1]- عبد الرحمان بن عمر، المصدر السابق، ص 55.

[2]- محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، المخطوط السابق، ص 01.

أحمد بن صالح السوقي التكروري في كتب "صحيح البخاري،" و"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، وفي علوم الفقه، النحو، علو البلاغة، وعلم الأصول[1].

و لم يقتصر طلبة العلم على الإجازة من شيخ واحد، فقد كانت إجازتهم تتعدد تعدُّد العلوم أو الكتب التي درسوها أو المشائخ الذين أخذوا عنهم، وكان حرصهم على إثبات سند ما تعلموه طلبهم الإجازة فيه مهما كثر عدد الشيوخ الذين أخذوا عنهم، حيث تنقل لنا فهرسة الشيخ عبد الرحمان التنلاني أن الشيخ عمر بن عبد القادر التينلاني تتلمذ على يد عدد من علماء التكرور وحصل على إجازات عديدة منهم، وتتلمذ أيضا بالمغرب الأقصى على عدد كبير من العلماء، هناك فاق عددهم اثنان وعشرون شيخا، تحصل من عندهم على العديد من الإجازات في شتى الكتب والمصنفات.[2]

و لم يكن تحصيل هذا العدد من الإجازات بالسهل فقد كان من أخباره رحمه الله أنه لما بعثه والده لمدينة فاس للقراءة، واصل الليل والنهار ولازم الدرس والتكرار، وسلّم للعلم كليّته وضحى بكل أوقاته، حيث أنه لم يفتح رسالة واردة عليه من توات لكيلا تتكدر عليه اللذات، إلى أن بلغ المنى ونال الشهادات العليا (الإجازات) فحينئذ رجع القهقرى وصار يفتح الرسائل رسالة بعد أخرى، فكانت أول رسالة فتحها وجد فيها أخبار وفاة والدته الثانية وفاة والده، ثم باقي الرسائل ما كان يأتيه من قبلها[3].

وهذه الرواية ترصد لنا قيمة الإجازات وحجم التضحية التي كان يبذلها طلبة العلم لأجل الحصول عليها، إذ هي بمثابة الشهادات العلمية العليا في عصرنا هذا.

---

[1]- عبد الرحمان بن عمر، المصدر نفسه، ص 48.

[2]- باعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر التواتي، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير في التاريخ العام، إشراف: محمد بن معمر، جامعة بشار، قسم التاريخ، 2009، ص 50 وما بعدها.

[3]- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص 135.

وكثيرا ما كانت رحلة الحج طريقا للحصول على الإجازات، والإستدعاءات العلمية[1]، فقد جعل بعض طلبة العلم من رحلات الحج فرصة يتحينونها للالتقاء بالعلماء الاستفادة من علومهم والحصول على الإجازات من عندهم.

[1]- **الإستدعاءات العلمية:** هي طلب الإجازة الذي يوجهه المستجير إلى الشيوخ والعلماء والمحدّثين ط منهم الإجازة في علم من العلوم أو سند من الأسانيد وكما يكون الإستدعاء من الأعلى يكون كذلك من المساوي والدون. ينظر: يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، ج 1، ص 204.

الفصل الثاني: العلوم السائدة بالجنوب الجزائري خلال الفترة الحديثة

اهتم أهل توات بالعديد من العلوم المختلفة التي تستدعي الاطلاع والمعرفة، إلا أنها تتفاوت من حيث اهتماماتهم، حيث نالت العلوم النقلية القسط الوافر على حساب العلوم العقلية، والباحث فيما خلّفه علماء الفترة الحديثة بالمنطقة يلحظ وفرة ما خلّفوه في علوم الشريعة من فقه وعقيدة وتفسير وقضاء، إضافة إلى علوم اللغة كالنحو والأدب والشعر والنثر وبنسبة لا تقل عما ذكر، وأيضا يلمس اهتمامهم بالتاريخ والرحلات والتصوف فيما يبقى تطرقهم إلى العلوم العقلية كالطب والحساب والفلك والكيمياء محتشم ومحدود.

ومن أهم العلوم التي اهتم بها التواتيون نجد مايلي:

أولا: العلوم الشرعية (الدينية)

بإلقاء نظرة على ما خلفه التواتيون من تراث مخطوط، يتجلى لنا الاهتمام المنقطع النظير الذي أولوه للعلوم الشرعية، نتيجة تمسكهم بالدين وعلومه المتعددة كالعقيدة وعلوم القرآن والحديث والفقه وأصوله.

أ- العقيدة:

درس سكان منطقة توات العقيدة اعتمادا على ما ألّفه علماؤهم وعلماء المغرب الإسلامي بصفة عامة، حيث اعتمدوا على ما تركه الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي في مجال العقيدة والمتمثل في كتابه" مصباح الأرواح في أصول الفلاح[1]" إضافة إلى الكتاب الذي اعتمدوا عليه بشكل كبير وهو كتاب "أم البراهين" لمحمد يوسف بن عمر التلمساني[2]، وهو كتاب وصفه

[1]- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص 29.

[2]- السنوسي، محمد يوسف بن عمر بن شعيب التلمساني الحسني، محدث ومتكلم ومقرئ، ولد بتلمسان سنة 832هـ/ 1428م، وتوفي بها سنة 895هـ/ 1490م، له عدة مؤلفات أهمها: "أم البراهين" في العقائد وحاشية على صحيح

احمد بابا التنبكتي بقوله: "....من أجل العقائد لا تعادلها عقيدة[1]". حيث يضم هذا الكتاب ثلاثة أنواع العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى. كما كان يدرس كتاب المقرى[2] والمسمى: "إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة"، وهو أرجوزة في خمسمائة بيت من شعر الرجز، في تعيين العقائد وتبويب أصول علم الكلام في مذهب الأشاعرة.[3]

هذا، وكانت تدرس العقيدة من خلال مقدمات بعض الكتب الفقهية والمتون العلمية، كرسالة ابن أبي زيد القيرواني،[4] ومقدمة متن المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر.[5]

مسلم. ينظر: عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر (تلمسان وتوات)، دار زمورة للنشر، الجزائر، 2011، ص 227.

[1]- أحمد بابا التمكتي، الابتهاج، مصدر سابق، ص 301.

[2]- المقري: أبو العباس أحمد بن محمد المقري القرشي التلمساني، ولد بتلمسان سنة 986هـ/ 1578م ونشأ بها، وأخذ عن عمه أبي سعيد المقري وغيرهم من أعلام تلمسان، رحل إلى فاس ومراكش فلقي ابن القاضي وبابا أحمد السوداني استقر به المقام في فاس، ثم رحل إلى الحج توفي سنة 1041هـ/ 1634م، ترك عدة مؤلفات أهمها: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس. ينظر: عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص 644.

[3]- دعيش خير الدين، البرهان والبيان والعرفان، قراءة في نظم المعرفة عند المقري، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، د. ع، 2010، ص 300.

[4]- هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان النفزاوي القيرواني ولد بنفزة وهي القرية الواقعة في الشمال الغربي من القطر التونسي سنة 310هـ/ 922م، درس في القيروان وتعلم على يد جمع كبير من علماء المشرق عند رحلته للحج، تضلع في الفقه المالكي حتى لقب ب " مالك الصغير" له مؤلفات عديدة في الفقه والعقيدة، حاول من خلالها دحض عقيدة الفاطميين الذين كانوا يسيطرون على بلاد المغرب في حياته، توفي في 30 شعبان 386ه/ 14 سبتمبر 996م. ينظر: محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح، تونس، ص 44-49.

[5]- ابن عاشر هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأودارا، ولد سنة 990هـ/ 1582م، درس بفاس على العديد من علمائها كافقيه عثمان اللمطي ومفتي فاس محمد بن قاسم القصار، وعالم النحو أبي الفضل قاسم بن أبي العافية، والمحدث الأديب الحاج الأبر أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي وغيرهم، له عدة مؤلفات في علوم الشريعة منها: فتح المنان شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن، الكافي في القرآن، المرشد المعين، إضافة إلى العديد من النظم والمتون العلمية، توفي بعدما بلغ الخمسين عاما يوم

ب- علوم القرآن:

حظي القرآن الكريم باهتمام منقطع النظير في المنطقة التواتية، فقد كان- كما ذُكر آنفا- أول ما يبتدئ الصبي بتعلمه، ويتدرج في حفظه وفهمه عبر مراحل يحفظ فيها القرآن و يفهم معانيه وأسباب نزوله وتفسيره والتمرن على ترتيله وضبط أحكام تلاوته.

وتستوقفنا المؤلفات العديدة التي من خلالها يبرز اهتمام التواتيون الكبير بالقرآن وعلومه، حيث اعتمدوا في ذلك على كتب كانت ترد إلى المنطقة من الحواضر العلمية الأخرى وكذلك كتب محلية ألّفها العلماء التواتيون، ومن تلك الكتب العديدة نذكر كتاب الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع لأبي الحسن ابن بري، وتفسير الشاطبي، وتفسير ابن عطية ، وكتاب التأويل في معاني التنزيل للشاطبي، وتفسير ابن الجوزي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والجزرية في علو التجويد لأبي يحيى زكريا الأنصاري[1].

واعتمد طلاب المنطقة ومشائخهم على تآليف محلية لدراسة القرآن وعلومه ككتاب "الفتح المبين في شرح القرآن الكريم" وهو كتاب في التفسير للشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي، وكذا ما ألفه الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني في إعراب القرآن الكريم وهو كتاب "الدر المصون في الكتاب المكنون" وهو اختصار لكتاب "السمين" لمؤلفه شهاب الدين أبو العباس الشافعي.

وكانت المتون والمنظومات المتعلقة بالقرآن وعلومه مرجعا يعتمده كثيرا الدارسون للقرآن ومن هذه المنظومات "القصيدة السّنِية في القواعد السُّنية"[2] وكذا "ألفية الغريب".[1]

الخميس 3 ذي الحجة 1040هـ/ 1631م. ينظر: عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد ابن عاشر، حياته وآثاره الفقهية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007، ص ص 69- 74- 125- 139.

[1]- توجد نسخ هذه المؤلفات في خزائن توات في كل من خزانة كوسام، وخزانة أقبلي وخزانة الشيخ باي بلعالم وخزانة ابن عبد الكبير.

[2]- هي منظومة طويلة في تفسير القرآن الكريم كثيرا ما ذكرها الشيخ الزجلوي في مؤلفاته إلا أنني لم أعثر عليها، ومن المرجح أنها مفقودة أو ضائعة بين رفوف الخزائن كغيرها من المخطوطات التي وصل إلينا اسمها فقط.

ت- الحديث:

أولى أهل توات عناية خاصة بالحديث النبوي الشريف، إذ أنها تحل في المرتبة الثانية بعد عنايتهم بالقرآن وعلومه، فمن خلال المؤلفات المحلية والواردة للمنطقة كان طلبة العلم ومشائخهم يدرسون الحديث الشريف، ويخصصون له حلقات يومية في بعض المساجد والزوايا كزاوية المهدية التي لا تزال إلى يومنا هذا تقيم احتفالا يستمر ليلة كاملة حتى الصباح يقرأ فيه صحيح البخاري كاملا من أوله إلى آخره، وذلك بحضور طلبة العلم والمشائخ من كل النواحي التواتية، ويعرف هذا الاحتفال بختمة البخاري.

و لم يكن صحيح البخاري الكتاب الوحيد الذي اعتمد عليه التواتيون في دراستهم للحديث النبوي الشريف، فقد تدارسوا كذلك الأربعين النووية وكتاب "بهجة النفوس[2]"وهو شرح لصحيح البخاري لعبد الله ابن أبي جُمرَة اللازدي الأندلسي، وكتاب "التبصرة والتذكرة" المعروف بـــ"ألفية العراقي" في الحديث وهو نظم للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هـــ/1403م).

وقد تدارس التواتيون بصفة أخص كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى[3]" للقاضي عياض، وما كتبه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في علم الحديث وهو كتاب "مفتاح النظر في علوم الحديث.[1]"

---

[1]- هي منظومة ألفها الشيخ الزجلوي، سميت بالألفية لعدد أبياتها الباغلة ألفا، وقد اكتسبت قيمة عظيمة في ربوع المنطقة التواتية خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة، ولقيت اهتماما بالغا من طرف علماء توات الذين كتبوا عليها الحواشي وشروحها ودرسوها لطلبة العلم عندهم، ومن أهم الشروح التي ألفت على ألفية الغريب: شرح ألفية الغريب لأحمد بن الطيب، وضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم للشيخ باي بلعالم، أما مضمون الألفية فهو تصنيف منظوم في غريب القرآن يهدف الناظم من خلاله إلى تبسيط ما يستكشل من الألفاظ الغريبة على دارس القرآن.

[2]- توجد نسخة مخطوطة بخزانة المطارفة،أدرار.

[3]- توجد نسخ كثيرة في خزائن المنطقة التواتية، منها نسخة مخطوطة في خزانة أقبلي، وأخرى بخزانة الشيخ باي بلعالم بأولف.

ث- الفقه:

حظي الفقه باهتمام بالغ من أهل توات، وذلك لارتباطه بتفاصيل حياتهم اليومية ولحرصهم على تطبيق أحكامه، وباعتبار أن المذهب المالكي هو المذهب المنتشر في البلاد، فقد عرفت المؤلفات التي كتبت فيه إقبالا كبيرا من طرف ساكنة المنطقة، لذا انكبوا على دراسة ما فيها وفهم محتواها.

ومن أهم المؤلفات الفقهية المالكية التي اعتمدوا عليها نذكر "مختصر خليل[2]" الذي يتضمن فروع كثيرة مختصرة في الفقه المالكي، فنال شهرة فاقت مدونة سحنون ومختصر ابن الحاجب[3]، أثنى عليه العلماء حيث يقول فيه أحمد بابا التمبكتي:" لقد وضع الله عز وجل له القبول على مختصره، وتوضيحه من زمانه إلى الآن، فعكف الناس عليها شرقا وغربا حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد"[4].

ويشبه مختصر الخليل متن ابن عاشر من حيث اهتمام التواتيون بدراسته واتخاذه مرجعا أساسيا في فهمهم لفقه مسائلهم اليومية وعباداتهم ومعاملاتهم.

فمتن ابن عاشر المسمى "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" الذي ألفه صاحبه وهو في طريقه إلى الحج بطلب من أهل ليبيا، حيث نظمه لهم على شكل أبواب فقهية يعينهم على فهم الأحكام الفقهية، فابتدأه بالعقيدة ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج واختتمه

---

[1]- ابن مريم أبو عبد الله، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 255.

[2]- خليل بن اسحاق، صاحب المختصر الشهير هو ضياء الدين أبو المودة خليل ابن اسحاق بن موسى بن شعيب المصري ت 769هـ، وضع مختصر على مذهب الإمام مالك مبينا لما به من الفتوى مستعرفا فقه المذهب في عبارات قصيرة كثيفة مركزة، قسم كتابه إلى 63 بابا و64 فصلا. ينظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1997، ص 199.

[3]- حوتية محمد، المرجع السابق، ج ، ص 255.

[4]- السعدي عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 38.

بمبادئ في علم التصوف، هذه الشمولية والإيجاز جعلت التواتيون يتدارسونه منذ مرحلة الكتاتيب ويدرجونه ضمن تلاواتهم الجماعية للقرآن حتى أضحى يحفظ كما تحفظ السورة من القرآن.

وتدارس سكان المنطقة بشكل واسع رسالة ابن أبي زيد القيرواني المسماة بـــ"الرسالة الفقهية "وهي من أشهر ما تدارسه التواتيون في الفقه إذ تعد أنفس ذخائر التراث المالكي والمصدر الثالث في المذهب بعد الموطأ والمدونة، والكُتيّب على صغر حجمه واختصاره، حوى بين دفتيه أربعة آلاف مسألة يجب على المكلف معرفتها ولا يسعه جهلها، وهو ما كان يعيه أهل المنطقة جيدا.

ونظرا لإقبال أهل المنطقة على هذه الكتب الفقهية التي كانت ترد إليهم، دراسةً وتحليلا، فقد اجتهد مشائخهم في تدريسها ووضعوا شروحا ومختصرات وحواشي تعين الطلبة والعامة على استيعابها، حيث ألف الشيخ المغيلي كتابا سماه "مغني اللبيب في شرح مختصر خليل".

و لم يقتصر التواتيون على تدارس الكتب السابقة أو شروحاتها فقد تدارسوا أيضا الفقه من خلال ما ألفه علماؤهم فيه، ففي أحكام السهو في الصلاة مثلاً غلب عليهم فيها الرجوع إلى نظم العبقري لمحمد بن أبّ المزمري[1].

وقد كانت الطريقة الشائعة في تدريس الفقه هي أن يبدأ الشيخ بإعطاء رأيه في المسائل الفقهية لطلبته وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الشيخ ثم يطلب من كل منهم توضيح ما أشكل عليه وأثناء ذلك يقيد الطلبة الشروح التي يعطيها الشيخ كجواب على ما يستفسرون عليه[2].

[1]- للتعريف بالعلماء التواتيين ومؤلفاتهم. ينظر: الفصل الأول من القسم الثالث.

[2]- أحمد بابا التمبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، فاس، د. ن، دت، ص 376.

ج- علم التصوف:

عرفت توات ظاهرة التصوف منذ العهود الأولى لدخوله لبلاد المغرب، حيث أصبحت الحياة الروحية فيه تقوم على نشاط الطرق الصوفية والتي قادها شيوخ وعلماء حملوا على عاتقهم نشر الإسلام وتعاليم مناهجهم الصوفية بتوات.

وكان لانتشار الزوايا بالمنطقة دور في اهتمام التواتيين بعلم التصوف، فقد مزجت هذه الزوايا بين العلوم الشرعية وتعليم مبادئ التربية الروحية، وقد اعتاد شيوخ المنطقة تدريس بعض مبادئ التصوف إلى جانب الفقه مقلدين في ذلك طريقة تصنيف الشيخ عبد الواحد بن عاشر لمتنه المرشد المعين حين خصص باباً للتصوف مباشرة بعد أبواب العقيدة والصلاة والزكاة والحج، سماه "مبادئ التصوف وهوادي التعرف" وما ورد في هذا الباب قوله[1]:

يصحب شيخا عارف المسالك *** يقيه في طريقه المهالك

يذكره الله إذا رآه *** ويوصل العبد إلى مولاه

ويكثر الذكر بصفو لبّه *** والعون في جميع ذا بربه

يجاهد النفس لرب العالمين *** ويتحلّى بمقامات اليقين

خوف رجا شكر وصبر توبة *** زهد توكل رضا محبة

ولم يقتصر التواتيون في تعلمهم مبادئ التصوف على متن ابن عاشر فقط، فالمتنقل بين رفوف خزائن توات تستوقفه عدة مؤلفات مخطوطة منذ الفترة الحديثة، اعتمدها أهل المنطقة في دراستهم لعلم التصوف كمؤلفات الشيخ المختار الكنتي الكبير "الورد القادري"، "حزب الإسراء"، "دعاء النور"، "حزب المشائخ[2]"، واعتمدوا كذلك على ما ألفه الشيخ محمد ابن عبد

[1]- عبد الواحد ابن عاشر، متن ابن عاشر، دار القاهرة للطباعة، مصر، ص 24.

[2]- توجد نسخ مخطوطة من هاته المؤلفات في خزانة الشيخ عبد القادر المغيلي، أدرار.

الكريم المغيلي في التصوف وهو كتاب سماه "تنبيه الغافلين عن مكر الماجوسين بدعوة مقامات العارفين[1]"، إضافة إلى الكتب الصوفية التي كانت ترد إلى المنطقة ككتاب "دليل الخيرات"[2] للجزولي وكذلك كتاب[3] " الفتح الرباني في بعض مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني[4]" لأبي محمد الحاج إبراهيم التسليمي وغيرها.

ثانيا: علوم اللغة العربية

سجَّل الدرس اللغوي من نحوه وصرفه ومعجمه وبلاغته وعروضه حضورا قويا بتوات خلال الفترة المدروسة، ومرجع ذلك إلى عناية أهل المنطقة بخدمة القرآن ولسانه العربي، فكثر بذلك الإقبال على اللغة وعلومها في المدارس والزوايا وجعَلها الشيوخ في مقدمات مقرراتهم التعليمية وواحدة من أولوياتهم العلمية حتى أنّ تراجم هؤلاء العلماء لا تكاد تخلو من ذِكر أن هذا العالم أو ذاك من علماء اللغة ومعارفها المتعددة التي سنحاول التفصيل فيها كل على حِدا.

---

[1]- أحمد الحمدي، الإمام المغيلي رائد النهضة الفكرية، المرجع السابق، ص 149.

[2]- توجد نسخة مخطوطة منه في خزانة كوسام،أدرار.

[3]- توجد نسخة مخطوطة منه في خزانة الشيخ عبد القادر المغيلي،أدرار.

[4]- عبد القادر الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسني الجيلاني نسبة إلى بلدة جيلان ولد سنة 417 – 561 هـ (1079 – 1166م) نشأ وترعرع في عائلة متواضعة ومنذ صغره أيدى من الاستقامة في أخلاقه وتربيته جاء إلى بغداد عام 488هـ 1095 م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد الغزالي بعد وفاة أخيه أبو حامد الغزالي، بقي عشرين سنة يتجول في خرائب بغداد اشتهر بورعه وعلمه بنى مدرسة في بغداد عام 528 هـ 1135م والتي بدأ الناس يسيرون على نهجه بعد وفاته . ينظر : المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ج 1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. ط، 1994،ص 676، انظر: عمار هلال،، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر 1988، 109.

أ- النحو والصرف:

إن الكلام عن اهتمام التواتيون باللغة العربية يشمل الكلام عن اهتمامهم بالنحو والصرف لأن هذين الأخيرين نشآ في أحضان اللغة وارتبطا بها ارتباطا وثيقا.

فاللغة تعني اسم جنس للكلام المنطوق أو المكتوب، وأما النحو فيعني العلم الذي يقيّد ذلك الكلام بقواعد وأحكام خاصة، وكلاهما يعتمد على الآخر، فليس ثمة لغة بلا نحو، ويستحيل أن يقوم نحو بلا لغة.[1]

ونظرا لهذه العلاقة المتينة بين اللغة والنحو، فقد انكب أهل توات على تعلمه النحو من أمهات الكتب اللغوية مثل الألفية ولامية الأفعال لابن مالك، والأجرومية لصاحبها عبد الله بن محمد بن داود الصنهاجي[2]، وهي مقدمة في مبادئ علم البلاغة العربية، وملحمة الإعراب للحريري.

وكان تعلم النحو والصرف يتم من خلال الشروحات التي تتم داخل المدارس والزوايا المقدّمة من طرف المشائخ إلى طلبة العلم، وأدت المؤلفات المحلية دورا هاما في دراسة النحو والصرف، إذ مثلت مرجعا أساسيا يعتمده الدارسون، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب "غاية الأمل في إعراب الجمل" للشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي، وأيضا كتاب شرح ابن أبّ المزمري[3] الذي كان يعتبر وحيد زمانه في اللغة والنحو والعروض.[4]

---

[1]- محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الكريم العرباوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (دس) ص 122.

[2]- محمد بن داوود الصنهاجي ولد بفاس سنة 682هـ/ 183م، نحوي مشهور تعلّم في القاهرة على أبي حيّان درّس في فاس. توفي سنة 723هـ/ 1323م، وكلمة آجرّوم بربرية تعني الفقير الصوفي. ينظر: أحمد الطاهري، الدر المنظوم شرح مقدمة ابن اجروم، مطبعة الواحات، غرداية، دت، ص 05.

[3]- سنتطرق إلى التعريف بعلماء المنطقة عند الحديث عن رجال الحركة العلمية. ينظر الفصل الأول من القسم الثالث.

[4]- جعفري أحمد، محمد بن أب المزمري 1160هـ، حياته وآثاره، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر 2004، ص 44.

هذا وقد برعت أسر بأكملها في تدريس النحو واللغة بصفة عامة كالأسرة التينيلانية مثلا التي انبرى عدد من علمائها لخدمة اللغة العربية وعلومها نظرا لحاجتهم إليها في علومهم الأخرى التي اشتغلوا بها كالتفسير والفتوى وغيرها، ونشير هنا إلى البعض من شيوخ هذه الأسرة كالشيخ أبي الأنوار الذي جعل النحو يحتل الصدارة في عمليته التدريسية، وكذلك الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر الذي تميز بالفصاحة مما جعله يتربع للدرس اللغوي داخل زاوية تينيلان، وهذا الأمر يدل على إلمامه بعلوم اللغة وفنونها.

ب- الأدب:

إن المتأمل في طبيعة الكتابات في شتى العلوم التي خلفها التواتيون يستوقفه غلبة الطابع الأدبي عليها، ذلك أن اهتمام علماء المنطقة بالأدب نابع من قناعاتهم أن هذا العلم هو وعاء معارفهم ومترجم أفكارهم، وأن التمكن منه يسهّل عليهم فهم علوم الشريعة التي تحظى بأولوية التعلم عندهم، خاصة وأن لغة المتقدمين صعبة تحتاج إلى حضور ذهني قوي لفهم معانيها وإدراك دلالتها.

وتجدر الإشارة إلى أنه وجد من علماء توات من أبدعوا وتفننوا في العربية وآدابها ولعل أبرزهم الشيخ محمد بن أبّ المزمري والشيخ عبد الكريم التمنطيطي وغيرهما.

وقد تجلت البراعة الأدبية لهؤلاء العلماء من خلال ما خلفوه من خطب ورسائل ومؤلفات أدبية خاصة ما تعلق منها بوصف رحلاتهم فيما يعرف بأدب الرحلة.[1]

[1]- أدب الرحلات هو نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث ويوثق كل ما صادفه عبر رحلاته وكتب الأدب الخاصة بالرحلات هي من المراجع الجغرافية كما أنها مراجع تاريخية مهمة إذ أنه تصف وبشكل دقيق لتفاصيل التي عاشها وعاصرها الرحالة، وقد انتشر هذا النوع من الآداب على أيدي المستكشفين والجغرافيين وغيرهم. ينظر: حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2006، ص 26.

فلقد عُرِف التواتيون عبر تاريخهم الطويل – كغيرهم من أبناء الجزائر– بكثرة رحلاتهم وتنقلاتهم بين العواصم والمدن التاريخية أداء فريضة الحج والعمرة حينا، وطلبا للعلم والمعرفة في أحايين أخرى، ومع كل خطوة من خطوات هذه الرحلة أو تلك كان القلم أنيسا وشاهدا على كل كبيرة وصغيرة من يوميات الرحلة، وهكذا أصبح للعالم الواحد أكثر من رحلة مدونة يفتتحها بخروجه من مقر قصره بتوات ويختتمها بالعودة إليه.

ومع مرور الأيام شكلت هذه الرحلات مادة تاريخية هامة لكل مرحلة من هذه المراحل من جهة، بالإضافة إلى بعض المسح الأدبية التي تتخللها أحيانا خصوصا في المقدمة والخاتمة بالإضافة إلى بعض الفقرات هنا وهناك.[1]

ت– الشعر:

اقتضت الطبيعة الصحراوية نمط الشعر في حياة سكان توات، فقام العلماء بإنشاء منظومات وأراجيز بغية استمالة نفوس الصغار والعامة لحلقات الدراسة ولأجل تسهيل الحفظ إذ النظم

يشجِّع الطلاب للتَّحصيل *** وحِفظُه يدعو إلى التَّبجيل

يَبقى لَدى حُفَّاظِه أحقابَا *** ويُكثِرُ الأجُورَ والثّوابَا[2]

وإذ كان الشعر قد انتشر في توات بكل أصنافه كالشعر السياسي والديني والشعبي والذاتي وحتى الألغاز، فإننا هنا نقتصر على نوع واحد من الشعر وهو ذلك النوع الذي كان الهدف منه التعليم وتبسيط العلوم أو شرحها، وهو ما عُرف بظاهرة النظم، أو ما اصطلح عليه بالشعر التعليمي، وقد شكل هذا النوع من الشعر حضورا قويا في العملية التدريسية بتوات خلال الفترة المدروسة.

---

[1]– جعفري أحمد، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب، إشراف محمد زمري، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2006– 2007، ص 270.

[2]– محمد باي بلعالم، ميسر الحصول على سفينة الوصول، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2001، ص 05.

والحق أن هذا النوع من الشعر لم يكن من إبداع التواتيين رغم أنهم شغفوا به وألفوا نظما كثيرة فيه، فقد كان ينتقل إليهم شفويا ومكتوبا عن طريق القوافل التجارية ورحلات الحجيج، لوقوع المنطقة على طرق القوافل التي تجوب الصحراء.

وقد وقع اختلاف بين المؤرخين حول بداية هذا النوع من الشعر، حيث يشير علي عبد الواحد في كتابه "الأدب اليوناني القديم"، إلى القول بيونانية هذا النوع من الشعر[1]، بينما ذهب أحمد أمين إلى القول بيونانية وهندية هذا النوع من الشعر[2]، غير أن مصطفى هدّارة قد تذبذب في القول بين النشأة الهندية والنشأة العربية الخالصة[3]، وتمسك كل من طه حسين وشوقي ضيف بالنشأة العربية الخالصة، حيث يرى الأول أن نشأته كانت على يد "إبان ابن عبد الحميد اللاحقي"[4]، أما الثاني فيرى أن نشأته كانت في أواخر الدولة الأموية مع العجاج[5] وابنه رؤبة[6].

ومهما يكن في الاختلاف حول مصدر نشأة المنظومات والمتون العلمية فان هذا النوع من الشعر تداوله التواتيون قبل الفترة الحديثة وخلالها والى يومنا هذا.

وبإلقاء نظرة حول المنظومات التعليمية المتداولة بتوات خلال الفترة الحديثة، نجد منها ما ورد إلى المنطقة من الحواضر العلمية الأخرى ومنها ما أُلِّف محلّيا، وكمثال على ما ورد إلى

---

[1]- علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، دار المعارف، مصر، 1960، ص 99.

[2]- أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط 3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956، ج1، ص 258.

[3]- مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، د. س، 354.

[4]- طه حسين، حديث الأربعاء، دار العلم للملايين، بيروت، د.س، ص 220.

[5]- الشاعر التميمي المشهور صاحب الرجز، اسمه عبد الله بن رؤبة وكنيته أبو الشعثاء. ينظر: ابن حجر العسقلاني، نزهة الالباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشيد، الرياض 1409هـ، ج 2، ص 22.

[6]- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ص 345.

توات وتدارسه التواتيون، ملحة الأعراب للحريري، ومتن المرشد المعين لعبد الواحد ابن عاشر، وألفية ابن مالك، وكذلك لامية ابن الوردي[1] المعروفة بهدية الألباب في جواهر الآداب.

ونظرا لشغف التواتيين بهذا النوع من الشعر التعليمي ولما رأى علماء المنطقة من دوره الفعّال في تسهيل الفهم على طلابهم، فقد نظموا أراجيز ومنظومات عديدة حاولوا من خلالها تكييف الدروس حسب مستوى الطلاب، فمنهم من نظم أسماء السور القرآنية ومنهم من نظم أبواب الفقه والعبادات والمعاملات وغير ذلك مما نال اهتمام المدرسين والدارسين آنذاك.

ومن النظم التعليمية التي أنشأها فقهاء توات نظم العبقري للشيخ محمد بن أبّ التواتي وهو عن أحكام سجود السهو في الصلاة، وكذا نظم "معونة الغريم ببعض أحكام قضاء المليم"[2] للشيخ عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري وهو نظم في قضاء الدين.

كما اعتمد أهل المنطقة في تعليمهم عن طريق النظم التعليمية على نظم "مسائل الالتزام للحطاب"[3] للشيخ محمد بن العالم الزجلوي، واعتمدوا في علمي الفروض والحساب على نظم "جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب"[4] للشيخ عبد الرحمان السكوتي.

وفي مبادئ العلوم على ما ألفه الشيخ محمد البكري بن عبد الرحمان التينيلاني وهي منظومة عقد فيها مهمّات مسائل ثلاثة فنون: التوحيد والفقه والتصوف[5].

---

[1]- ابن الوردي هو زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر المعري المشهور بابن الوردي، ولد في معرة النعمان سنة 689هـ وقال الزركلي أنه ولد سنة 691هـ، كان من علماء العربية والفقه والتاريخ وشغل قاضيا بحلب، توفي سنة 947هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 173.

[2]- توجد نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ باي بلعالم، أولف، أدرار.

[3]- توجد نسخة مخطوطة بخزانة القصيبة بأنزجمير، أدرار.

[4]- محمد باي بلعالم، كشف الجلباب، شرح جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د.ت، ص 03.

[5]- عبد العزيز سيد عمر، مفتاح العلوم بحل ثلاثة من خير أنواع الفهوم، المطبعة العربية، غرداية، 1997، ج1،ص 03.

كما ألّف ابن الونان 1187هـ/1775م قصيدة تعد أروع ما قيل في الشعر وقد تداولها المتعلمون في المدارس التواتية، وهي بعنوان الشمقمقية، متكونة من مائتين وخمسة وسبعين بيتا في أغراض مختلفة، بلغت من الأهمية الكبرى حتى فاقت شروحها الستة، إحداها للناصري السيلاوي مؤلف "كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، وآخر لعبد الله كانون الحسني[1]، وقد تحدى فيها الشاعر الشعراء في المغرب والمشرق[2]،

كما ألّف الشيخ محمد ابن المبروك البوداوي قصيدة واحدة بين بحرين شعريين هما البسيط والمنسرح، فتقرأ القصيدة أولا من البحر المنسرح:

عدمت ليلى وقلبك احترقا *** من أجل فرقتها وما سبق

عاهدتها في الدّجا بقبتهـــا *** وكنت تطرقها إذا اتسقـــا

ثم تقرأ نفس القصيدة من البحر البسيط:

عدمت ليلى أخي وقلبك احترقا *** من أجل فرقتها العظمى وما سبق

عاهدتها في الدّجا ليلاً بقبتهـــــا *** وكنت تطرقها به إنذا اتسقـــــا.[3]

ولا يمكن ذكر الشعر والشعراء في توات دون الإشارة إلى العالم اللغوي محمد بن أبّ المزمري الذي أضاف بحرا جديدا إلى بحور الشعر الستة عشر المعروفة وهو "بحر المضطرب"[4]

---

[1]- عبد الله كانون الحسني، شرح الشمقمقية، مطبعة مصطفى، مصر، 1935، ص 23.

[2]- حيث يقول فيها: فأن يك الشعر عصى غيري فقد *** أطاعني في عَيْهقَ وخَنَق

وأعلمُ الناس بدون مِرْية *** سيَّان مَن مغرب ومشرق

3 - جعفري أحمد اباالصافي، رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي محمد بن المبروك البوداوي الجعفري – حياته وشعره-، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 79 – 80.

[4]- **المضطرب:** بحر من البحور الشعرية وزنه: فاعلن فعولن فاعلاتن *** فاعلن فعولن فاعلاتن. وهو بحر لم تخرج تفعيلاته عن البحور المستعملة والمهملة و لم ينظر عليه أحد ما سوى صاحبه وهو بهذا يدخل في إطار البحور الشعرية

وكتب قصيدة من تسعة وثمانين بيتا على هذا البحر، وإبداعات ابن أبّ المزمري في الشعر التعليمي منها قصيدة في البحور الشعرية وحروف الهجاء وأرجوزة في علم الكلام وقصيدة في الجناس الناقص وغيرها من القصائد التي اعتمدها طلبة العلم في دراستهم.

ث- علم البلاغة:

يرجع اهتمام التواتيون بعلم البلاغة وتدريسهم له إلى اهتمامهم بعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة الأخرى، إذ أن البلاغة علم يهدف إلى إيصال المعنى بكلام بليغ[1]، وهو شامل لثلاثة علوم وهي:

- **علم المعاني:** وهو العلم الذي يبحث في تراكيب الكلام وأساليبه[2].
- **علم البيان:** وهو عبارة عن قواعد معينة يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة ومختلفة من حيث وضوح الدلالة على ذلك المعنى.[3]
- **علم البديع:** وهو العلم المختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية.[4]

وهته العلوم البلاغية في مجملها لقيت اهتماما في المنطقة لما أدركه العلماء والمتعلمون من فوائدها وأهميتها التي لا غنى لهم عنها إذ هي وسيلتهم إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم، وإدراك

المهملة. ينظر: الطاهر مشري، العلامة ابن أب والبحر العروض الجديد، ملتقى الرابع اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية، جامعة أدرار، 19- 20 أبريل 2010، ص 107.

[1]- محمد قاسم ومحيي الدين ذيب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003، ص 26.

[2]- بقشى عبد القادر، محاضرات في مادة تحليل الخطاب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2009، ص 104.

[3]- عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001، ص 75.

[4]- مرعي بن يوسف الحنبلي، القول البديع في علم البديعن تحقيق محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيليا، الرياض، 2004، ص 18.

معاني الحديث الشريف وفهم كلام المتقدمين، وهي أداتهم للنطق السليم وتمييز الكلام الحسن من الرديء.

وبلغ من اهتمام التواتيين بعلم البلاغة أن أبدع فيه بعض علمائهم، حيث كتب العالم اللغوي محمد ابن أبّ المزمري قصيدة[1] بليغة من عشرة أبيات تقرأ من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين يقول في مطلعها:

ادر كلام كابر ★★★ ربّاك مالك ردا

أدّب وكفّ أرسنا ★★★ إن سرّ افك وبدا

وقد قال ابن أبّ المزمري في شرحه لقصيدته هذه: " ... كلمات شرحت بها أبياتي العشرة التي نظمتها في ما لا يستحيل بالانعكاس، المسمى عند أهل البديع بالمقلوب، فأوضحتها إيضاحا لم يبق معه أشكال ولا التباس، ليزداد بها كلفا وإعجابا كل من يتعاطى الخوض في هذا الأسلوب"،[2] كما ألف قصيدة في الجناس الناقص تختم أبياتها جميعا بكلمة "النوى" مع اختلاف معانيها.[3]

وقد تدارس التواتيون علم البلاغة بمختلف فنونه من خلال الاعتماد على ما كان يلقيه عليه مشائخهم في حلقات التدريس من قصائد تحمل ضمن طياتها فنون بلاغية وشرحها، أو من خلال دراسة بعض التآليف الخاصة بعلم البلاغة التي ألفها علماؤهم كتآليف ابن أبّ المزمري – كما سبق ذكره–.

و لم يقتصر الأمر في تعلم البلاغة وفنونها على القصائد التي كانت تؤلف في المنطقة محليا بل كذلك تلك التي كانت ترد إليهم من خارج المنطقة عبر الشيوخ الوافدين أو الكتب الوافدة

[1]– مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، أدرار.

[2]– أحمد جعفري، ابن أب المزمري، المرجع السابق، ص 75. والمخطوط موجود بخزانة با عبد الله، أدرار.

[3]– جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 224.

على المنطقة كقصيدة "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون"[1] في علم البلاغة للشيخ عبد الرحمان الأخضري.[2]

ثالثا: العلوم الإنسانية والاجتماعية

إن الباحث في خزائن المخطوطات بتوات تستوقفه مؤلفات عديدة في مجال التراجم والسير والأنساب وكذا الرحلات وحتى علم المنطق فيما يصطلح عليه حديثا بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وتعتبر هذه المؤلفات مرجعا للعلوم المدرسة آنذاك في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي إشارة إلى اهتمام التواتيين بها وإدراجهم لها في مقرراتهم التعليمية.

أ- التاريخ والتراجم والسير:

لم يغفل التواتيون دراسة التاريخ فاهتموا بتراجم علمائهم وأخبار منطقتهم توات، وذلك لما يعرفون من فوائد هذا العلم، يقول ابن خلدون:" اعلم أن فنّ التاريخ فن عزيز المذهب جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في

---

[1]- هي قصيدة في علم البلاغة تتضمن جميع فنون البلاغة وأقسامه تتكون من 291بيتا. ينظر: عبد الرحمان بن صغير الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، مخطوط بدار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم 807، وتوجد نسخة مخطوطة ميكروفيلم بملكي.

[2]- **عبد الرحمان الأخضري:** هو أبو زيد عبد الرحمان بن أبي عبد الله الصغير الأخضري، ولد سنة 920هـ بنطوس الواقعة جنوب غرب بسكرة، وكانت ولادته في السنين الأولى من حكم الاتراك بالجزائر، نشأ في بيت علم وفقه، بدأ التأليف في سن مبكرة قبل بلوغه 20 سنة ورغم أنه لم يعش سوى 30 عاما على الراجح إلا أن مؤلفاته تصل إلى حوالي ثلاثين مؤلفا وتوفي في قرية قجال جنوب شرق سطيف سنة 953هـ. ينظر: عبد الرحمان الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تحقيق محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، د ت، ص 19.

سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم بذلك فائدة الاقتداء فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة..."[1]

لذلك شكل التاريخ عنصرا هاما ضمن المادة التعليمية في توات، فكان يدرس في الزوايا والمدارس القرآنية، خاصة ما كان له ارتباط بالدين، ككتب السيرة والشمائل التي كانت على شكل متون، خاصة متني الهمزية والبردة للشيخ البوصيري[2] وهما منظومتان في شمائل الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبيان سيره ومغازيه.

وقد بلغ شغف التواتيين بهذين المتنين إلى درجة التبرك بهما وعدم اقتصار قراءتهما في الزوايا الكبرى فقط، بل انتشرت قراءتهما في جميع مساجد المنطقة حتى حفظهما العامة من الناس عن طريق السماع وخاصة متن البردة.

وكان اعتماد أهل توات في دراسة التاريخ والتراجم والسير على مايؤلفه علماؤهم أو ما يرِد إلى حاضرتهم من الحواضر العلمية الأخرى.

ومن أهم هذه الكتب التي تدارسوها أذكر على سبيل القصر لا الحصر: كتاب الديباج المذهب[3] لابن فرحون وكتاب كفاية المحتاج[4] لأحمد بابا التنبكتي، إضافة إلى الكتب المشهورة والمتعارف عليها في الأمصار الإسلامية مثل كتب الطبري، والكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير والعبر والمقدمة لابن خلدون.

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص 10.

[2]- البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حماد الصهناجي البوصيري(ت 696هـ/ 1295م) اشتهر بمدائحه النبوية، ولد ببلدة بوصير من أعمال بني سويف بمصر لأسرة ترجع جذورها الى قبيلة صهناجة الأمازيغية المنتشرة في شمال افريقيا، حفظ القرآن منذ طفولته وتتلمذ على يد عدد من أعلام عصره، عني بقراءة السيرة النبوية فألف عدة قصائد فيها أشهرها الهمزية والبردة المسماة ب" الكواكب الدرية في مدح خير البرية". ينظر: نوفل محمد محمود قاسم، تاريخ المعارضات في الشعر العربي، دار الفرقان، بيروت، 1983، ص 86.

[3]- توجد نسخة مخطوطة منه في خزانة أنزجمير، أدرار.

[4]- توجد نسخة مخطوطة منه في خزانة الشيخ باي بلعالم، أولف، أدرار.

أما من حيث التراجم فقد اعتمدوا على مؤلفات مشائخهم في هذا المجال ككتاب "الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية"[1] للشيخ عمر بن عبد القادر المهداوي، إضافة إلى كتاب "نقل الرواة عن من أبدع قصور توات"[2] للشيخ محمد بن عمر بن محمد البوداوي وكذلك كتاب" فهرسة التينيلاني"[3] للشيخ عبد الرحمان بن عمر والذي ترجم فيه لأشياخه وإجازاتهم له وأسانيدهم في مختلف العلوم.

ب- الجغرافيا والرحلات:

اهتم التواتيون بالجغرافيا تدريسا ومدارسة أكثر من اهتمامهم بالكتابة فيها، ومن الكتب التي يكونون قد اعتمدوا عليها ما عثرنا عليه في خزانة الشيخ أبي نعامة بأقبلي وهو كتاب في الجغرافيا بدون مؤلف إضافة إلى " خريدة العجائب" لعمر ابن الوردي.

أما عن الرحلات فقد حظيت باهتمام أكثر من الجغرافيا ومردّ ذلك إلى تنقل التواتيين وخاصة مشائخهم في رحلات قد تكون لطلب العلم أو إلى البقاع المقدسة، وتدوينهم لهذه الرحلات ليطلع عليها تلامذتهم فيتعرفون من خلالها على مشائخهم والأمصار الإسلامية خاصة الحواضر العلمية فيها.

ومن أشهر الرحلات التي شغف أهل توات بالاطلاع عليها فانتشرت نُسَخ عديدة منها في ربوع منطقتهم نذكر " رحلة الشيخ عبد الرحمان التينيلاني[4]" التي قادته للبقاع المقدسة، ورحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التينيلاني[5] إلى الجزائر العاصمة سنة 1231هـ/ 1815م التي

[1]- توجد نسخة منه في خزانة كوسام، أدرار.

[2]- توجد نسخة في خزانة تينيلان ونسخة في خزانة بودة، أدرار.

[3]- توجد نسخة في خزانة تينيلان، أدرار.

[4]- توجد نسخة في خزانة الشيخ باي بلعالم ونسخة في خزانة باعبد الله بتيمي، أدرار.

[5]- توجد نسخة منها بخزانة باعبد الله بتيمي، أدرار.

تزامنت مع الحملة الانجليزية على الجزائر[1]، ورحلة عمر بن عبد القادر التنلاني[2] التي قادته إلى فاس لطلب العلم، ورحلة الشيخ عبد الله بن أحمد الفلاني إلى الحج[3]، وقد استوقفتنا نسخة مخطوطة لرحلة أبي سالم العياشي[4] بإحدى خزائن المنطقة.

ت- الفلسفة والمنطق:

لم يولي أهل المنطقة الاهتمام الكبير للفلسفة والمنطق لانشغالهم بالعلوم النقلية خاصة العلوم الشرعية منها، لذا كانت دراسة المنطق والفلسفة من المقررات غير المهمة، بل اعتبرت معارف وعلوم إضافية تكمل ثقافة الطالب وتساعده، إلاّ أن الساحة العلمية لم تخل من هذا الفن خاصة بعد مجيء الإمام المغيلي إلى المنطقة، والذي يعتبر الرائد الأول في هذا المجال بتوات، واعتبرت كتبه مرجعا لدارسي المنطق بتوات ومن هذه الكتب " منح الوهاب" و" فصل الخطاب في رد الفكر الصواب" بالإضافة إلى كتاب " الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة"[5]، وقد كانت هذه الكتب من أهم المراجع التي يعتمدها طلاب المنطقة لدراسة الفلسفة في تلك الفترة.

---

[1]- الحملة الانجليزية على الجزائر: قررت انجلترا تجهيز حملة ضد الجزائر، حيث غادر أسطولها ميناء بليموث بقيادة اللورد أكسموث يوم 28 جويلية 1816 وانظم اليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فون كابلان ووصلوا سواحل الجزائر يوم 15 أوت 1816 واشترطوا أن تسلم الجزائر جميع الأسرى المسيحيين في الجزائر وقصفت الزوارق الانجليزية مدينة الجزائر واستمرت الحرب من الساعة 8 صباحا الى منتصف الليل تكبد فيها الطرفين خسائر فادحة وقبل الداي عمر بمعاهدة تقتضي تحرير الأرقاء المسيحيين بالجزائر ودفع تعويض حربي والاعتذار للقنصل الانجليزي وقد كان لهذه الحملة نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية في القرن 19 وأسهمت في انهاء الحكم العثماني بالجزائر. ينظر: حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأروبية ونهاية الايالة 1815- 1830، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 26، 29، 31.

[2]- توجد نسخة مخطوطة منها بخزانة باعبد الله بتيمي.

[3]- " الرحلة" مخطوطة بخزانة علي سليماني بآدغا.

[4]- توجد نسخة مخطوطة للرحلة بخزانة ملوكة وأخرى بخزانة المطارفة.

[5]- توجد نسخ مخطوطة للكتب الثلاثة في خزانة الشيخ عبد القادر المغيلي، أدرار.

كما رجع التواتيون في دراستهم للمنطق والفلسفة الى كتب أخرى ككتاب" المختصر في المنطق" لمحمد بن يوسف السنوسي[1]، وكذلك متن" السلم المرونق في فن المنطق"[2]للشيخ عبد الرحمان الأخضري. بالإضافة إلى كتاب" المنطق" لمحمد بن عبد الرحمان السكوتي القبلاوي.[3]

رابعا: العلوم التجريبية

تعجّ الخزائن التواتية بالكتب العلمية، وهو ما يفسر اهتمام طلبة العلم والعلماء بهاته العلوم، إلا أن هذا الاهتمام لم يرق إلى مستوى اهتمامهم بالعلوم الشرعية أو علوم اللغة وذلك لاعتبارهم أن دراسة هذه العلوم تأتي بعد علوم الشريعة من حيث الأولوية عندهم، لكن ذلك لم يخل من الحثّ على تعلم هذه المعارف العلمية والاطلاع عليها حيث جاء في مخطوط حاشية البكري[4] على مخطوط الكبس والازدلاف لابن الوليد قوله:

فانظر وجرد الحساب تعلم***صواب ما قلت بلا تلعثم

وطالع الكتب في التنجيم ***كروضة الأزهار بالتتميم

وتمثلت المواد العلمية التي تدارسها التواتيون فيما يلي:

---

[1]- السنوسي: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب التلمساني الحسني أبو عبد الله محدث متكلم منطقي مقريء ولد بتلمسان سنة 832هـ 1428م و توفي بها سنة 895هـ 1490م له عدة مؤلفات أهمها أم البراهين في العقائد وحاشية على صحيح مسلم :انظر عبد الحق حميش و محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر (تلمسان و توات)، دار زمورة للنشر، الجزائر، ط1،2011،ص 227.

[2]- توجد نسخ مخطوطة لها بخزانة كوسام، أدرار وتتكون من مقدمة وتسعة فصول وخاتمة تكلم فيها عن الكلية والجزئية والقضايا وأحكامها والتناقض، القياس، الاشكال والحجة وقد اختتمها حسب ما أورده في نهايتها في أوائل المحرم سنة 841هـ.

[3]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص 240.

[4]- البكري بن عبد الرحمان البكري، حاشية البكري على مخطوط الكبس والازدلاف، مخطوط بخزانة ابن الوليد قصر باعبد الله، أدرار، المخطوط في ورقتين، الأبيات في الورقة الأخيرة.

أ. الحساب:

اهتم التواتيون بعلم الحساب لصلته الوثيقة بتحديد مواقيت الصلاة، وحساب الميراث، وما يحتاج إليه من عمليات الضرب والجمع والقسمة والكسور، بالإضافة لحاجتهم إليه في حياتهم اليومية كالأمور التجارية، وتوزيع مياه الفقاقير.

وكان الحساب يدرس للطلبة في المدارس وتخصص له حلقات علمية، وأهم الكتب العلمية التي اعتمدوا عليها في دراستهم" الدرة البيضاء" للشيخ عبد الرحمان الأخضري، كما استخدموا الحروف الهجائية للدلالة على الأرقام، حيث يقول الشيخ يوسف بن عبد الحفيظ التنيلاني في مرثية للشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي:

وبعام" دمرغ"[1] فيه حتم مارش ★★★ أخرى الجمادين استوى للموعد

كما اعتمدوا على منظومة الشيخ محمد بن أبّ المزمري المسماة" عمارة الحساب" وهي توضح كيفية اجراء عمليات الضرب، إضافة إلى أرجورة الشيخ عبد الرحمان السكوتي المسماة" جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب"[2].

ب. علم الفلك:

اقتضت طبيعة المنطقة التواتية الواقعة في صحراء مترامية الأطراف بعيدا عن مدن الشمال انشغال السكان بدراسة ما يمكنهم من معرفة مواقيت الصلاة والصيام وكذا ما يرشدهم ليلا في أسفارهم، فكان اهتمامهم الكبير بعلم الفلك دراسة وتدريسا، معتمدين في ذلك على ما يبسطه

[1]- دمرغ يقصد بها: د= 4، م= 40، ر= 200، غ= 1000، المجموع يساوي 1244 تاريخ وفاته، ينظر: جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 228- 229

[2]- محمد باي بلعالم، كشف الجلباب شرح على جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د.ت، ص 03.

له علماؤهم المهتمون بهذا العلم وأيضا على ما كان يرد إلى المنطقة من كتب تحقق لهم غاياتهم من معرفة علم الفلك.

وقد اعتمد أهل المنطقة في دراستهم لعلم الفلك على مجموعة من المؤلفات النثرية والمنظومة، اطلعنا على بعضها كمخطوط" المقنع في علم أبي مقرع"[1] وهو رجز مختصر في علم الفلك لناظمه محمد بن سعيد بن يحيى السوسي وكذلك ما ألفه القاضي محمد المحفوظ القسطني[2] في علم الفلك[3]، واعتمدوا أيضا على كتاب " الديباج المرقوم في أصول علم النجوم"[4] وغيرها من المنظومات والمؤلفات في علم الفلك عامة أو في جانب منه على سبيل الخصوص كنظم" أرجورة في أوقات الصلاة"[5] لمحمد بن عبد الله بن عومر، والتي هي خاصة بمنازل الصلاة في توات.

ت. الطب والكيمياء:

اشتغل التواتيون بعلمي الطب والكيمياء ممارسة أكثر منها تدريسا، و لم تكن ممارساتهما أو تعلمهما منتشرة، بل كانت مقتصرة على من له شغف بهما حيث يرجع في ذلك إلى ما ألف فيهما ككتاب" التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن مولوع"[6] لمؤلفه الشيخ يوسف بن أحمد بن يوسف التنلاني وهو مخطوط في كيفيات صناعة الألوان والأصبغة وطرق مزج مكوناتها ومقاديرها وطرق تحضيرها، هذا في الكيمياء، أما في الطب فظاهر اعتمادهم على مخطوط في الطب وقفنا عليه بخزانة قصر ملوكة وهو في أزيد من ثلاثمائة صفحة ويحتوي على صور

[1]- المخطوط محفوظ في خزانة باعبد الله، أدرار.

[2]- نسبة الى اقسطن بدلدول بمنطقة قورارة.

[3]- المخطوط محفوظ في خزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار.

[4]- المخطوط محفوزظ في خزانة أقبلي، أدرار.

[5]- عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 197.

[6]- المخطوط محفوظ في خزانة كوسام، أدرار.

للأدوات المستعملة في الطب، إضافة إلى" رسالة في طب الأبدان"[1] ألفها الشيخ البكري بن عبد الرحمان، وكذلك" مختصر في علم الطب"[2] للشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم السندي الهندي وغيرها.

[1]- المخطوط محفوظ في خزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار.

[2]- المخطوط محفوظ في خزانة زاوية الشيخ المغيلي، أدرار.

خلاصة القسم الثاني

يتبيّن لنا من خلال مباحث فصلَي القسم الثاني غِنى منطقة توات بالمراكز والدور الثقافية خلال الفترة الحديثة، وازدهار النشاط العلمي والفكري بها، ومردّ ذلك تراكم جملة من المعطيات التاريخية، شكّلت خلفيات متراكمة لانبعاث النهضة الثقافية الشاملة المذكورة، حيث توزعت المراكز والمدارس والزوايا عبر ربوع القصور التواتية من شمالها إلى جنوبها، مع تسجيل نوع من التّمايز في المستويات والقدرات، أملته طبيعة كلّ قصر وخصوصياته، رغم توحّد مراحل ومناهج التعليم لديهم، الذي كان يتمّ بالتدرج في التّحصيل والاكتساب عبر مراحل متعارف عليها بالمنطقة، تبدأ بمرحلة التلقين والتّهجّي مرورا بمرحلة التعمق والتوسع ووصولا إلى مرحلة الإذن والإجازة.

والملاحظ مما سبق عرضه أن تلك المناهج المذكورة قد ارتبطت بما كان متداولا في المنطقة من علوم ومقررات تعليمية، تفاوت اهتمام التوّاتيين بها من حيث التّدريس والتّحصيل، حيث نالت العلوم النّقلية كالعلوم الشرعية وعلوم اللغة الحظّ الأوفر مقارنة بالعلوم النقلية كالحساب والطب وعلم الفلك.

القسم الثالث

التراث العلمي للجنوب الجزائري وعلاقات المنطقة بالمناطق والبلدان الأخرى

الفصل الأول: أعلام الحركة العلمية بالجنوب الجزائري وتراثهم العلمي

أولا – تراجم بعض العلماء وتراثهم العلمي

ثانيا – المناظرات والمحاورات العلمية

ثالثا – الرحلات العلمية

الفصل الثاني: العلاقات العلمية بين الجنوب الجزائري والمناطق والبلدان الأخرى

أولا– العوامل المساهمة في بناء العلاقات العلمية

ثانيا – العلاقات العلمية مع الحواضر العلمية الجزائرية الأخرى

ثالثا – العلاقات العلمية مع الحواضر العلمية خارج الجزائر

تقديم:

كنت قد استعرضتُ في القسم السابق خصائص التعليم وأهمّ المحطات الثقافية، والعلوم التي احتضنتها تلك المحطات والمراكز العلمية، وهذا يستوجب علينا ذكر من كان لهم الفضل في ذلك كلّه وهم العلماء، وذلك بالتّعرف على أشهرهم ممّن ساهموا في نشر العلم والمعرفة، ورفع راية المنطقة في الحواضر والجوامع العلمية شمالا وجنوبا، والإشادة بما خلّفوه من تراث علمي، وما ساد عصرهم من ظواهر فكرية ارتبطت بهم ودلّت على فعالية وتطور المشهد الثقافي، وعلى رأسها ظاهرة الرحلات العلمية داخليا وخارجيا، وأسلوب المراسلات والمناظرات الجدلية الفكرية القائم على المنطق والحجة والدليل المقنع، وهي مظاهر وعوامل أسهم بها العلماء التواتيون في تجسيد الإمتدادات الخارجية لتلك النهضة الثقافية، من خلال العلاقات الفكرية الوطيدة مع الحواضر المجاورة كفاس وتونس وتلمسان وحواضر بلاد الساحل الإفريقي.

الفصل الأول: أعلام الحركة العلمية بالجنوب الجزائري وتراثهم العلمي

حظيت توات خلال العصر الحديث بأعلام علماء وفقهاء أضاءوا بعلومهم ربوع المنطقة، وأحيوا بجهودهم واجتهاداتهم وتنافسهم ما كاد يندرس من العلوم والفنون فكتبوا مؤلفات أسهمت في إحياء المكنون العلمي وحفظت أسماءهم وآثارهم على مرّ الأزمان ومن أشهرهم:

أولا : تراجم بعض علماء توات وتراثهم العلمي

أ- تراجم بعض علماء القرن 10هـ/16م

❖ القاضي سالم العصنوني (ت 968هـ/ 1560م)[1]:

هو القاضي سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني، ولد سنة 882هـ/ 1477م، من أسرة علم ودين، فأخذ عن عمه الشيخ عبد الله العصنوني، وعن الشيخ أبي زكرياء يحى السوسي وعن جماعة من العقبانيين التلمسانيين وغيرهم.

انتقل من توات إلى السودان الغربي قائما بأمر الدعوة إلى الله فأسلم على يديه خلائق لا تحصى، ثم رجع إلى توات وولي خطة القضاء في حياة عمه سنة 914هـ/ 1508م فسار سيرة حميدة وسلك مسلك العدالة، وورد أنه كان عند مجلسه للقضاء يأمر رجلين أن يقفا على رأسه ويتلوان قوله تعالى" انك ميت وأنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون".[2]

ترك مؤلفات كثيرة منها نظم في ثلاثمائة بيت يشتمل على أمور الآخرة من نشر وحشر وحساب وعقاب وجنة ونار، توفي- رحمه الله- عند صلاة العصر من يوم الثلاثاء 16 ذي القعدة عام 968هـ/ 1560م.

---

[1]- أنظر ترجمته في: محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، ص 20، محمد باي بلعالم، الرحلة ، مرجع سابق، ج1، ص 120. عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 77.

[2]- الآيتان 30- 31 سورة الزمر.

❖ الشيخ عبد الكريم بن أحمد الجراري (ت 941هـ/ 1534م)[1]:

هو القاضي عبد الكريم بن أحمد بن محمد المسعود بن إبراهيم بن محمد بن يدار بن محمد بن عمر بن عمران أبو المكارم الوطاسي التزداييتي الجراري، ولد حوالي سنة 871هـ/ 1466م بتزدايت من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح متخصصة في القضاء الشرعي، حيث نشأ وترعرع في أحضانها، فبدأ دراسته على يد والده ثم انتقل إلى فاس فأخذ على أعلامها منهم الشيخ عبد الله الدقاق الفاسي الذي أجازه بالعلوم الفقهية.

وبعد تضلعه عاد إلى موطنه تزدايت، فوجد وباء الطاعون قد دبّ في البلاد، وأخذ أهلها يهجرونها فقرر الشيخ أحمد والد الشيخ عبد الكريم الرحيل إلى أولاد سعيد، وبالضبط إلى بلدة تازولت صحبة نجله الفقيه عبد الكريم الذي أنشأ بمجرد استقراره بموطنه الجديد مدرسة للتعليم، تخرج منها علماء أعلام على رأسهم نجليه الشيخ عبد الحاكم، والشيخ محمد عبد الله، ولّما ذاع صيت الشيخ في التعليم والصلاح، وكّل إليه جماعة المسلمين أمر القضاء على تيكورارين سيرا على دأب أجداده فقام به أحسن قيام عدلا وفضلا.

وفي حقه يقول الشاعر عبد الرحمان الجوزي:

أيا ناشر العلوم أشرقت كوكبا ★★★ تحن لك الأرجا ويسمو بك الدهر

أعييت العقول بالسجايا فأكبحت ★★★ على سعة الخصال بل مسّها القصر

ألا فانجلي كالصبح اثر قدومه ★★★ يغازله الصفا ويغمره الجهر

مقاما علوت في الكرام مقدما ★★★ بساطك الفصل في الرعية والبشر

فع مني يازمان ما أنا قائل ★★★ وأرّخ بتفصيل فقد طلع البدر.

[1]- عبد الرحمان الجوزي، ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، د. ط، د. ت، ص 08 ومابعدها.

توفي رحمه الله في 26 صفر 941هـ/ 1534م.

❖ أحمد بن أبي محمد الأمريني (ت 1008هـ/ 1599م)[1] :

هو الشيخ أحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون البازي الأمريني، ولد بتمنطيط في بيت علم وصلاح وفضل، فنشأ على محبة العلم والسعي لتحصيله.

أخذ المبادئ الأولى على يد والده، ثم انتقل إلى حلقات العلم بفاس، فأخذ الفقه عن المنجور، والنحو عن أبي عبد الله محمد بن مجير، والقراءات عن محمد العدّي، والحساب والهندسة عن يعقوب البدري، واستفاد من غيرهم من علماء فاس، ومن كان يزورها من أعلام الحواضر القريبة.

وكان مشتغلا بالعلم، محبا له، حريصا عليه، كما قال في نصيحة لأولاده بعد:

إذا شطّ النهار فكن جليدا *** على درس العلوم بلا فتور

ولا تكسل بدرس في كتاب *** فإن الدرس يأتي بالسرور

وأوصاهم أيضا بقوله:" ينبغي لطالب العلم أن يكون أحرش كالعقاب".

وقد كان لهذا التعظيم للعلم والشغف به أثره في تكوين شخصيته الفقهية، إذ أولى عناية خاصة بحفظ أمهات المذهب المالكي كمدونة البرادعي، وابن المواز، ومختصر ابن الحاجب، وغيرها، كما كان يحفظ صحيح البخاري حفظا متقنا، وكذالك أمهات الكتب العربية، بالإضافة إلى وعيه التام بكل ما يطالع فلم تكن قراءته مجرد إمرار العين على المرقوم، بل قراءة تحقيق وتدقيق وبحث.

---

[1]- أنظر ترجمته في: عبد الكريم بن احمد التواتي، المصدر السابق، الورقة 01/ ظهر. محمد بن عبد الكريم بكراوي جوهرة المعاني نسخة أولف، الورقة 14/ ظهر. عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 111، هامي غيتاوي، المرجع السابق، ج2، ص 42.

بقي مشتغلا بما يعنيه من الإشراف على تجارته بين توات والسودان الغربي، يعقد مجالس العلم حيثما حلّ وارتحل فكان من أجلّ من تخرج عليه الشيخ عبد المهيمن ابنه، والقاضي عبد الكريم ابنه الثاني.

شهد له بالتقدم في العلوم والصلاح كل من عرفه أو علم مكانته، يصفه ابنه الشيخ عبد الكريم فيقول:" العالم الرباني، والعامل النوراني، من له اليد البيضاء في علوم الإسلام، والدراية الفائقة في القراءات، والحساب بالتمام، وأما النحو فلا يشق له غبار، مع تواضع وافر، وصلاح ظاهر، مع الاشتغال بما يعني، ومجانبة ما لا يعني، وملازمة الأوراد في الخلوات، ومعانقة في جميع الحالات، وزيارة الأولياء في الحياة والممات، ولست بهذا مستسمنا ذا ورم، ولا نافخا في غير ضرم"[1].

ويقول في حقه الشيخ محمد بن عبد الكريم بكراوي:" الشيخ النحوي الفرضي المقرئ المحدث المتكلم الفقيه الحيسوبي البليغ أبو عبد الله شيخ الحديث في وقته مقبلا على ربه مشاركا في العلوم اللسانية والفقهية أعجوبة الزمان في الحفظ وسيلان الذهن... طويل الباع كثير الاطلاع مجتهدا في التلاوة آناء الليل وأطراف النهار"[2].

فهذه شهادات حق ومقولات صدق ممن شاهد وعاين الفضائل الإلهية تترى على عبده، وممن تواتر عنده الخبر فصار عيانا بيانا لا يحتاج إلى برهان يصدقه.

توفي الشيخ أمحمد بن أبي محمد الأمريني في بلدة أقدز من أرض السودان ليلة الاثنين 27ذي القعدة سنة 1008هـ/ 1599م.

---

[1]- عبد الكريم بن امحمد التواتي، المصدر السابق، ص 02.

[2]- محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، نسخة أولف، ص 14.

ب- تراجم بعض علماء القرن 11هـ/17م:

▪ أمحمد عبد الله القوراري (ت 1035هـ/ 1625م)[1]:

هو امحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد أبو عبد الله التزدايتي القوراري، ولد بقصر أولاد القاضي غرب أولاد سعيد في تيميمون من أسرة علمية، فنشأ في كنف والده الفقيه القاضي عبد الكريم الذي لقنه مبادئ العلوم ليرحل بعدها إلى فاس وتلمسان وفقيق.

أخذ عن الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي المعروف بسيدي الشيخ، وجمعته الرضاعة العلمية بالشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي والشيخ محمد بن عبد الجبار الفجيجي، وحصل له احتكاك بأعلام الزوايا هناك بالمغرب.

رجع إلى بلده واشتغل بالتدريس إلى جنب والده وأخيه الشيخ عبد الحاكم فذاع صيته بالعلم والصلاح، فاختير لتولي خطة القضاء خلفا لوالده، ومما جاء في وثيقة توليته ما نصه: "وليعلم الواقف عليه أن شاهد الرسم رضي بتولية السيد الفقيه الأجل أمحمد عبد الله بن المرحوم سيدي عبد الكريم بن أحمد التزدايتي أمور المسلمين والنظر في مصالحهم والقضاء بينهم، وقدمه لذلك لما ظهر له من علمه وورعه وديانته"[2].

وقد شهد له بالتقدم في العلم والصلاح جمع من الأئمة منهم الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، فقد جاء في رسالة بعث بها لصاحب الترجمة ما نصه" إلى من لا يزال فلك المودة على قطب أشكاله في البرية يدور، وسماء الولاية دائما بقصر شهود أمثاله في الحنادس ينور، ظريف الشمائل، وشريف الوسائل، شمس أحبائه، وسري أصفيائه، غرة وجه القبول، وشامة خد الوصول، العالم العامل، الحاكم العادل، العارف بنفسه فلا يضره

1- أنظر ترجمته في: عبد الرحمان الجوزي، المرجع السابق، ص 19 وما بعدها.

2- وثيقة تولية الشيخ محمد عبد الله القراري القضاء، مخطوطة بخزانة أولاد سعيد، تيميمون.

العجب، الراغب في أنسه فلا يسره غير القرب، الفقيه النبيه، السيد الوجيه، قاضي الجماعة، وسخي المجاعة، أبي عبد الله أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الوطاسي ثم الجراري"[1].

توفي- رحمه الله- يوم 25 ذي القعدة سنة 1035هـ/ 1625م.

- **عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد الأمريني التمنطيطي(ت 1042هـ/ 1632م):**

هو عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون بن عمرو الأمريني، ولد بتمنطيط سنة 994هـ/ 1586م وقيل سنة 1002هـ/ 1593م[2]، لقبه الرحالة أبو سالم العياشي في رحلته بـ" عالم توات"، وذلك عندما التقى ابنه محمد ببلدة تقرت سنة 1059هـ/ 1649م، حيث سأله في علوم مختلفة وكلما أحسن الجواب يقول له:" أحسنت يا ابن عالم توات فلا يخرج من النحل إلا العسل".[3]

بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه على يد والده حيث حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية، ثم رحل في طلب العلم فالتقى بعدة شيوخ أبرزهم أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، والشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري[4] الذي التقاه ببني عباس من واد

---

[1]- عبد الكريم بن محمد امحمد التواتي، الرحلة في طلب العلم، نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ أحمد ديدي بتمنطيط، ص 14.

[2]- محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 22.

[3]- محمد بن عبد الكريم، الكواكب البرية في المناقب البكرية، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار،ص 21.

[4]- سعيد قدورة الجزائري هو سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمان، وشهرته قدورة، مالكي المذهب، من أسرة علمية بالغة النفوذ في الفتوى بالجامع الكبير بالعاصمة، سافر إلى تلمسان حوالي 1012هـ/ 1603م، وتتلمذ على يد سعيد المقري وأخذ التصوف عن ابن أبي محلي السجلماسي، ثم عاد الى الجزائر سنة 1019هـ/ 1610م تدرج في عدة وظائف بين الإمامة والخطابة والتدريس والافتاء ووكيل الأوقاف بالجامع الكبير، بنى مدرسة للفقراء والغرباء، قدمه حكام الجزائر على المفتي الحنفي الذي كان يمثل المذهب الحاكم من تلامذته:عيسى الثعالبي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، ويحيى الشاوي المليانى وعمر المانجلاتي، ألف كثيرا، ومن مؤلفاته: شرح مختصر خليل في الفقه، شرح النوازل

الساورة، فابتدأ عليه قراءة ألفية ابن مالك في 03 صفر 1017هـ/ 1608م والرسالة لابن أبي زيد القيرواني[1].

وقد كلفه شيخه سعيد قدورة باختصار كتاب العيون الغامزة على خفايا الرامزة على الخزرجية في العروض مع وضع الدمامين[2] وبعدما انتهى منه كتب في نهايته أبياتا جاء فيها:

يا قارئا هذا المفيد جد على*** واش الحروف بدعوة بالمغفرة

عبد الكريم سماه نجل محمد *** يرجو الكريم بفضله أن يستره.

فكتب تحت هذه الأبيات الشيخ سعيد قدورة بيتا جاء فيه:

يارب فضل واسع فاغفر *** له ثم اجزه عنا قد سطره.

وقد سمي هذا المختصر باسم النشر الداريني في اختصار الدماميني.[3]

وقد تتلمذ الشيخ عبد الكريم بن أمحمد أيضا على مجموعة من المشائخ كالشيخ الحاج أحمد التواتي[1] الذي أخذ عنه كيفية استخدام الأسطرلاب[2]، والشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن سليمان بن موسى الجومي[3] ومجموعة من المشائخ ذكرهم في رحلته.

التلمسانية، شرح المنظومة الخزرجية في العروض، رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 368- 375.

[1]- عبد الكريم بن أمحمد التواتي، المصدر السابق، ص 96.

[2]- **الدماميني** هو محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد، بدر الدين المعروف بابن الدماميني، له علم بفنون الآداب والشريعة، تولى القضاء المالكي بمصر، ولد بالإسكندرية سنة 1362م وتوفي بالهند سنة 1424م، من أهم مؤلفاته: تحفة الغريب، شرح لمغني اللبيب، والفتح الرباني في الحديث والعيون الغامزة شرح للخزرجية في العروض. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج 6، ص 56.

3- عبد الكريم بن امحمد، المصدر نفسه، ص 95- 96.

كما تذكر المصادر البكرية- التي اطلعت عليها- أن الشيخ عبد الكريم بعدما أخذ العلم عن كل من عبد الحكم بن عبد الكريم ابن أبي محلي السجلماسي ثم قدورة الجزائري، انتقل إلى ناحية التكرور لأخذ العلم عن الشيخ أحمد بابا التمبكتي، غير أني لم أعثر له على ترجمة في مؤلفات العلماء الذين ذكرهم في رحلته.

وأثناء سفره إلى بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج التقى بالإمام علي الأجهوري حيث أجازه في كتاب الشفا للقاضي عياض ومختصر خليل وتحمل الإجازة تاريخ شهر صفر 1028هـ/ 1619م[4].

كما أجازه الشيخ أحمد المقري التلمساني[5] في علم الحديث وتحمل هذه الإجازة تاريخ 1041هـ/ 1631م.[6]

---

[1]- الحاج أحمد التواتي كان مختصا في تدريس الحساب والفقه والتوحيد والتفسير، أخذ الحديث والفقه والقراءات السبع عن الشيخ محمد التدغي له رسالة سماها" مقامة التجلي والتخلي من محبة الشيخ أبي محلي، ينظر: الناصري السلاوي، المضدر السابق، ج6، ص 28.

[2]- عبد الكريم بن أمحمد، المصدر السابق، ص 61.

[3]- الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الجومي هو عالم له دراية بعلم الحديث والحساب والفرائض والنحو والفقه والتاريخ، أخذ القرآن عن الشيخ عبد الرحمان من لايخاف السجلماسي وأبي زيان التلمساني وأحمد بومعزي والفقيه سعيد المقري التلمساني، ينظر: عبد الكريم بم امحمد، المصدر نفسه، ص 55- 56.

[4]- نفسه، ص 28.

[5]- المقري: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقري التلمساني، مؤرخ وأديب، ولد ونشأ في تلمسان سنة 992هـ/ 1584م،انتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي فيها ومنها إلى القاهرة سنة 1027هـ، وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية وتوفي بمصر ودفن بمقبرة المجاورين، وقيل توفي بالشام مسموما عقب عودته من اسطمبول، والمقري نسبة إلى مقرة احدى قرى تلمسان، له مؤلفات عديدة أهمها: نفخ الطيب في غصن الاندلس الرطيب، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، توفي- رحمه الله- سنة 1041هـ/ 1631م، ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج6 ، ص 113.

[6]- محمد بن عبد الكريم، الكواكب البرية، مصدر سابق، ص 20.

وقد مارس الشيخ عبد الكريم بن أمحمد القضاء وتميزت فترة قضائه بالعدل وانتشار الأمن، ثم اعتزله وجلس للتدريس والإفتاء[1]، فتتلمذ على يده طلبة كثيرون منهم ابنه القاضي الحاج أمحمد، والشيخ أمحمد بن يوسف التنلاني، الشيخ محمد بن علي النحوي الوقروتي.[2]

توفي الشيخ عبد الكريم بن أمحمد- رحمه الله- يوم الاثنين 22 شوال عام 1042هـ الموافق ل 02 ماي 1633م.[3]

وقد خلف مؤلفات عديدة نذكر منها:

- غاية الأمل في إعراب الجمل، وهو شرح على لامية ابن المجراد
- تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز
- شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان
- الرحلة في طلب العلم(ذكر فيها شيوخه)
- نظم وسيلة النجاة بأهل المناجاة
- ابتدأ شرحا على مختصر خليل و لم يكتمل
- مختصر الدماميني على المغني سماه" النشر الداريني في اختصار الدماميني"[4].

[1]- عبد الكريم بن امحمد، المصدر السابق، ص 12.

[2]- محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 19.

[3]- البكري بن عبد الكريم، إعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بخزانة القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، ص 03.

[4]- محمد ابن عبد الكريم، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 22.

- **أحمد بن محمد الرقادي (ت 1060هـ/ 1650م):**[1]

هو الشيخ أحمد بن محمد الرقادي بن أحمد الفيرم بن عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي، ولد سنة 967هـ/ 1559م بواد النون حيث عشيرته الضاربة في العلوم بحظ وافر قائمة بالتعليم والإرشاد وفي وسطها نشأ على حب العلم وصحبة العلماء ومجالسة الأولياء.

حفظ القرآن الكريم على يد والده بروايتي ورش وقالون، وعنه أخذ مبادئ العلوم، فقرأ رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر البرادعي، ومختصر خليل، وتحفة الحكام لابن عاصم، وتبصرة الحكام لابن فرحون، وكتب ابن رشد في الفقه، وقرأ في النحو مقدمة ابن آجروم، وألفية ابن مالك، وأصلها الكافية الشافية، وقرأ في البلاغة تلخيص المفتاح للقزويني، وفي الأصول ورقات إمام الحرمين، وجمع الجوامع للسبكي، وموافقات الشاطبي.

وكان في مرحلة الطب يصل الليل بالنهار جدا واجتهادا لا يمل من الدراسة ولا يكسل، ولا يكره المراجعة ولا يفتر حتى استحق شهادة تقر بعلو كعبه، ووفور علمه، فأجازه والده إجازة عامة فيما قرأ عنه، وتوج كل ذلك بأخذ الطريقة القادرية عنة إيذانا منه للسلوك في طريق أهل الله، والانقطاع عن كل ما سواه.

ثم انتقل إلى مجالس عم أبيه الشيخ المختار بن عمر الكنتي الذي أكمل تربيته بعد أبيه، فأسمعه الموطأ والصحيحين، وأجازه بذلك وجدد له الورد القادري.

ولما غاب شيخه المختار انتقل إلى مجلس ابن عمه الشيخ الأمين الأزرق من آل أبي بكر الحاج بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي، مكث عنده يستزيد ويستفيد حتى أجازه هذا الأخير.

ثم رجع إلى حلقات الشيخ المختار الشيخ بعد رجوعه من رحلته حيث أمره بالتوجه نحو فاس لأخذ علوم الحديث وقواعد التفسير وعلوم القرآن واللغة والأدب، فسلك طريق ولاّته

[1]- أنظر ترجمته في: هامي غيتاوي، المرجع السابق، ج1، ص 56.

وسجلماسة إلى فاس وفي كل مدينة يطوي ركبته طالبا للعلم ناهلا من معين شيوخه زبد العلوم ولطائف الفهوم.

فلما افتعم صدره رجع إلى موطنه بواد النون، واشتغل بنفع أبناء المسلمين يدرسهم ويربيهم فانتشرت أخباره، وذاع صيته، فدعي إلى خطة القضاء فأبى وفر بنفسه أمام الفتن المتكاثرة إلى أرض توات أرض المحبة والأمان، فكان أول نزول له بالساورة عند الشيخ أحمد بن موسى الكرزازي، الذي أمره أن يقصد توات الوسطى، فنزل بفونغيل- زاوية سيدي عبد القادر- ومنها إلى موضع زاويته المشهورة اليوم- زاوية كنتة- وذلك سنة 999هـ/ 1590م.

فاشترى الأرض وبمجرد ما انتهى الشيخ من بيت سكناه أسس مسجده، وبنى زاويته وعمّر البلاد، وانطلقت مسيرة رجل بل أمة من أبنائه وأحفاده، يوجه الناس ويعلم الطلبة ويربي المريدين بمنهج سني سلفي لا تشوبه شوائب التطرف ولا التحرّف، ونظم حلقات الدروس ومناهج التدريس، فقسم الدراسة ثلاثة مراحل وحدد لكل مرحلة مقررات وطريقة، فقصده الطلبة من جميع نواحي القصور التواتية، والأراضي الصحراوية، والمناطق السودانية، والأحواز المغربية يجد معهم في العلم والعبادة ويعتني وإياهم بأمور المسلمين.

فتخرج عليه عدد من الطلبة منهم: أبناؤه الشيخ عمر، واحمد الشيخ، ومحمد المصطفى، وعبد المؤمن، وعبد الوهاب، وعبد الله، وعلي، وعبد القادر، ومن طلبته محمد المعروف بحمو بن الحاج، الشيخ أمحمد، عبد المالك، و عبد القادر، و عبد الله، و عبد الكريم، و أحمد، و الزين، و الشيخ، وغيرهم. توفي- رحمه الله- سنة 1060هـ/ 1650م.[1]

[1]- تمامي غيتاوي، المرجع السابق،، ج1، ص 56.

- **البكري بن عبد الكريم (ت 1133هـ/ 1720م):**

هو القاضي الشيخ البكري بن عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي، ولد في 12 رمضان 1042هـ/ 1632م بعد وفاة والده بأربعين يوما، فكفله أخوه القاضي أمحمد بن عبد الكريم الذي أخذ عنه عددا من المقدمات في الفقه والنحو وغيره.[1]

وبعدها تتلمذ على يد الشيخ محمد بن علي الوقروتي فأخذ عنه النحو، ثم انتقل إلى الحواضر العلمية الكبرى فزار مراكش وفاس والجزائر العاصمة، حيث تتلمذ على يد عالمها الشيخ سعيد قدورة الجزائري وظل عنده إلى حين وفاة الشيخ سعيد سنة 1076هـ/ 1665م، فقفل راجعا إلى توات، وبعد مدة قصد الحج فمر بتونس فأسس بها زاويته المشهورة باسمه إلى يومنا هذا، فكانت رحلته هذه رحلة علم حيث أجاز واستجاز بالمدن التي مر بها كتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام والعراق والحرمين[2].

أسس بالزاب" الزاوية البكرية" في طريق عودته من الحج، واستقر بتقرت واشتغل بالتدريس هناك لمدة ثلاثين سنة كان فيها " كثير الاجتهاد له اليد الطولى في كل فن من فنون العلم، فصيح اللسان، رحب الجنان، طويل الباع في النوازل، مداول الاطلاع في الفروع والمسائل"[3].

رجع إلى تمنطيط بعد موت أخيه القاضي محمد بن عبد الكريم وإلحاح أهله وأصدقائه عليه بالرجوع، وتولى القضاء سنة 1092هـ/ 1681م، فسلك بالناس مسلك العدل والإنصاف[1] وشهد له بذلك العام والخاص.

---

[1]- بكري عبد الحميد، المرجع السابق، ص 130.

[2]- نفسه، ص 130- 131.

[3]- بكراوي محمد العالم، الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، خزانة محمد العالم، المنيعة،ص 20، وأيضا: محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، ص 01. أيضا: بكراوي محمد العالم، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات، مخطوط بخزانة محمد العالم، المنيعة، غرداية، ص 13.

أنشد فيه الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنيلاني قصيدة مما جاء فيها قوله:

فإذا نظمت من الكرام قلادة *** ومنحتها الأجياد من الأحرار

فالسيد البكري اجعلن وسيطها***فيه يتم العقد في الأخيار

ينبيك عنه ما تواتر أنه***كالشمس كاف تضيء في الأقطار[2]

وقال فيه معاصره الشيخ محمد ايداوعلي قصيدة طويلة أشاد فيها بفضائله جاء في مطلعها:

زر من هويت ولا تصبو لمن عدلا***على هواه وسق لربعه الابلا

وحط للسيد البكري ركاب منى *** تجد من العلم عند بابه الأملا

واذكر كريما قصاه للعلى خلق ***عذب وفاز بسؤل من به نزلا.[3]

وقد كان لهذه المكانة صدى عند طلبة العلم فقصدوه من كل النواحي وتخرجوا على يده منهم الشيخ ناجي دفين تمنطيط والشيخ محمد اداوعلي الشنقيطي وأبناؤه الأربعة محمد الصالح وعبد القادر ومحمد وعبد الكريم، وعنه كذلك ابن أخيه عبد الله بن محمد بن عبد الكريم وغيرهم.

توفي يوم الأحد 02 ذي القعدة سنة 1133هـ/ 1720م.

---

[1]- بكراوي محمد العالم، المصدر السابق، ص 23.

[2]- البكري بن عبد الرحمان التنلاني، الديوان، ضمن مجموع به مؤلفات الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلاني، مخطوط بخزانة الشيخ عبد القادر بن عبد الكريم المغيلي، أدرار، ص 60.

[3]- أحمد أبا الصافي جعفري، رجال في الشيخ محمد ايداوعلي حياته وشعره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ص 44.

- **أحمد بن يوسف التنلاني(ت 1078هـ/ 1667م):**

هو أحمد بن يوسف بن محمد بن علي، ينتهي نسبه إلى الصحابي عثمان بن عفان- رضي الله عنه-[1] ويعتبر أبا العائلة التينيلانية، ولد سنة 1002هـ/ 1593م بأولاد ونقال وبها نشأ.

انتقل إلى تمنطيط فدرس على يد الشيخ عبد الكريم بن امحمد التواتي وغيره من علماء تمنطيط، ثم تتلمذ على يد عبد الحاكم بن عبد الكريم الوطاسي وعند أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي وعلى يد أحمد بابا التمبكتي[2].

رجع إلى مسقط رأسه واشتغل بالتدريس لكن الظروف لم تساعده على المضي- قدما- في رسالته التعليمية، فانتقل إلى أرض قرب قصر تينيلان وذلك يوم الأربعاء 11 رمضان 1058هـ/ 1648م، وشرع في بناء زاوية سماها "رزق الله الواسع لعباده النافع"[3] ثم عرفت فيما بعد بزاوية تينيلان نسبة لقصر تينيلان القديم.

أصبحت الزاوية التينيلانية التي أنشأها الشيخ وجلس للتدريس والافتاء بها عشرين سنة، مركز اشعاع علمي داخل توات يقصدها الطلبة من كل حدب وصوب، فتتلمذ على يده العديد من العلماء كعبد القادر بن محمد بن عبد الله التيميموني، وعبد الله بن علي بن محمد التيميموني وغيرهم.

ويرجع الفضل في العدد الكبير من العلماء الذين تتلمذوا على يده إلى ما علمه الناس عنه من علوّ كعبه، ورسوخ قدمه في العلوم النقلية والعقلية، فقد ذكر حفيده محمد عبد العزيز سيد اعمر أن "شهرته في هذه المنطقة لا تحتاج إلى دليل، فهو كالشمس وقت وقوفها وسط السماء

1- مؤلف مجهول، تقييد نسب العائلة التنيلانية، خزانة باعبد الله، أدرار، ص 01.
2- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 20- 21.
3- محمد عبد العزيز، قطف الزهرات، مصدر سابق، ص 80.

لا يخفى ضوءها إلا على عليل فانه كان شيخا عالما عاملا ماهرا في علم الحديث"[1]، يضاف إلى هذا أنه كان من أصبر الناس يأخذ بمكارم الأخلاق، ويفهم من هذا أنه جلس للتدريس في الكتاتيب[2]، وكان كثير الاجتهاد، فصيح اللسان، طويل الباع في النوازل، تولى القضاء على كافة الديار التواتية.[3]

خلّف مؤلفات عديدة وأشعار جيّدة، ومما وجد من شعره في بعض التقاييد قوله:

لا تعجبنّك دنيا أنت تاركها★★★كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا[4]

إضافة إلى كتاب في التاريخ أطلق عليه بعض الباحثين[5] اسم" التودد"، وهو عبارة عن مخطوط تحدث فيه عن تاريخ توات والقبائل التي سكنتها لكن المخطوط مفقود، ومما يدل على وجوده هو اعتماد الضابط الفرنسي مارثان AGP Martin عليه في كتابه" الواحات الصحراوية"[6].

توفي الشيخ أحمد بن يوسف بتينيلان سنة 1078هـ/ 1667م.

1- نفسه، ص 79.

2- عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، ص 3.

3- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 20- 21.

4- بكراوي محمد العالم، المصدر السابق، ص 23.

5- يذكر الباحث مقدم مبروك أنه عثر عليه بفرنسا أثناء قيامه بالبحث العلمي.

6 - AGP Martin ;op ;cit, p :185.

ج- تراجم بعض علماء القرن 12هـ/18م وبداية القرن 13هـ/19م

• عمر بن عبد القادر التنلاني(ت 1152هـ/ 1739م)

هو أبو حفص عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاني الملقب بالأكبر ولد بتينيلان عام 1098هـ 1686م ،حيث تلقى العلم في زاوية أبيه بتينيلان كان كبير القدر وافر الهمة حيث هاجر في طلب العلم، ذاق مرارة الغربة وصبر العلم فحط رحاله في فاس[1] منارة العلم في عصره، حيث تتلمذ على علمائها منهم أبا عبد الله محمد السالم بن محمد البرباعي، قرأ عليه القرآن بالمدرسة المصباحية بفاس[2]، ثم العربي بن أبي عبد الله محمد الفاسي، وأبو عبد الله السجلماسي و إدريس المشاط الفاسي، ومحمد الطيب بن عبد الرحمن القاضي الفاسي و أحمد مبارك السجلماسي ومحمد بن محمد ميارة الفاسي ومحمد بن أحمد المسناوي[3]، بعد سلسلة هؤلاء الشيوخ تُوج أبو حفص بعدة إجازات و أصبح مؤهلا ليتصدر التدريس فرجع إلى توات و بالضبط إلى زاوية تنيلان فقصده الطلاب من كل الجهات حيث تتلمذ على يده طلبة ذاعت شهرتهم في البلاد التواتية و خارجها مثل عبد الرحمن الجنتوري صاحب النوازل الذي قال فيه "أنه قد كان يتكلف حفظ عبارة الحطاب فربما كان في الدرس نحو من أربعة عشر ورقة من حاشيته بالقالب الكبير فيحفظ جميع ذلك ويمليه بالمجلس والطلبة بأيديهم نسخ

---

[1]- عمر بن عبد القادر التنلاني، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، ص 01 وما بعدها.

[2]- المدرسة المصباحية: بناها السلطان أبو الحسن المريني، سميت بالمصباحية نسبة إلى أبي الضياء مصباح أول من درّس بها، انظر : الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الانفاس ومحاذاة الاكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس.

[3] -بخدا مريم، أعلام العائلة النيلانية، ودورهم العلمي ودورهم العلمي خلال القرنين 11هـ/12هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، إشراف شترة خير الدين، 2013/2012، ص 43- 44.

منه"[1]، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاني صاحب الفهرسة، و أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الأمريني[2].

أما مؤلفاته فكانت له تقيدات على المختصر (مختصر خليل) بالإضافة إلى فهرسته التي يذكر فيها شيوخه و هي موجودة في خزانة تنيلان، توفي يوم الاربعاء 03 ربيع عام 1152هـ 1739م و عمره أربعة و خمسون سنة، و دفن بمجلسه الذي كان يدرس فيه بزاوية تنيلان[3].

- **– عبد الرحمان بن عمر التنلاني (ت 1189هـ/ 1775م):**

ولد أبو زيد عبد الرحمان بن عمر بن معروف بن يوسف التواتي التنلاني سنة(1121هـ/ 1709م) من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة إذ هي من أجلّ البيوتات التواتية، نشأ في بيت جاه وحسب وصلاح وبيئة علم ومعرفة وكلها عوامل ساهمت في تكوين شخصيته العلمية[4]. وقد حلاّه صاحب جوهرة المعاني بقوله:" ... شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ العلّامة، الفهامة، علم الأعلام ومرشد الإسلام، أبوزيد كان– رحمه الله– عالما ثاقب الذهن ذا وقار وديانة انتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية"[5]، وقال عنه صاحب الدرة الفاخرة:" عالم العصر... صالحا مجتهدا، نوازليا، عجيبا فاضلا في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان"[6].

---

1 –محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 22.

2 –طموزعبد الكريم، تحقيق فهرس شيوخ عمر بن عبد القادر التنلاني، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، إشراف: بوبة مجاني، 2010/2009، ص 51.

3– بخدا مريم، أعلام الزاوية النيلانية، مرجع سابق، ص 46.

4– عبد الرحمان بعثمان، الدور العلمي للزاوية التنلانية، الملتقى الوطني الرابع" اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث" 19– 20 أفريل 2010، ص 06.

5– محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، الورقة 38.

6– عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة، الورقة 05/ 06.

تلقى العلم على يد مجموعة من المشايخ وفق طرق التدريس المتبعة في القطر التواتي حيث دخل الكتّاب في سن مبكرة فحفظ القرآن على عادة أقرانه على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني، ثم الشيخ الجنتوري[1] الذي قال عنه الشيخ عبد الرحمان في فهرسته: "واستفدنا منه أضعاف ما استفدنا من شيخنا أبي حفص لانبساطه معنا ومداعبته وصبره على جفائنا"[2] ثم رحل معه الى جنتور[3] لطلب العلم، ومن العلماء الذين التقى بهم في الزاوية التنلانية الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي حيث درس عليه الفقه واللغة[4]، والتقى بتنلان بالشيخ العالم اللغوي أبي عبد الله محمد بن أبّ المزمري الذي مرّ بالزاوية التنلانية متوجها إلى تينجورارين سنة 1151هـ/ 1738م حيث أخذ عليه المرشد المعين والخزرجية في علم العروض[5].

سافر الشيخ عبد الرحمان بن عمر إلى سجلماسة وبلاد التكرور فأخذ عن عدة شيوخ نذكر منهم صالح بن محمد السجلماسي اللّمطي وأبو عبد الله محمد بن علي الدرعي، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي[6]، وفي بلاد التكرور أخذ عنه أبو العباس أحمد بن صالح التكروري، حيث إلتقاه بمدينة أروان،[7] وتلقّى اثْر ذلك إجازات عن هؤلاء الشيوخ، وكانت له محاورات علمية مع كبار علماء وشيوخ عصره فعلاَ شأنه في العلم، فعرف بالشيخ وأصبح مرجعا للفتوى لكثير من العلماء والقضاة، ومعظم علماء القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين نهلوا من علمه

---

[1]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، مختصر النوادر، مخطوط بخزانة محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار، ص 07.

2- عبد الرحمان بن عمر، فهرسة الشيوخ، ص 23.

3- جنتور من قرى تيميمون تبعد عنها بحوالي 60 كلم شمالي ولاية أدرار.

[4]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرسة الشيوخ، مصدر سابق، ص 25.

[5]- كانت تنلان منطقة عبور لمن يريد الذهاب الى تيجورارين، وربما تمر بها القوافل التجارية الذاهبة الى الجزائر.

[6]- هو أبو العباس أحمد بن علي بن اسحاق بن ابراهيم السجلماسي الامام علم الأعلام توفي عام 1175هـ، كان فقيها مشاركا في علوم مختلفة، ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص 237.

[7]- أروان: مدينة في بلاد التكرور بينها وبين تمبكتو ثمانية مراحل تقع الآن بدولة مالي، ينظر: الأرواني مولاي أحمد بن بابكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكتو البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر، ص 08.

الغزير[1]، ومن خلال تتبع مسيرته العلمية يظهر لنا أن الشيخ عبد الرحمان بن عمر لم يستقر في أي مكان إذ كان كثير الترحال وبذلك نسميه بالعالم المترحل وحيثما حل يترك بصمته العلمية في المنطقة التي يزورها.

تخرّج العديد من التلاميذ على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر فأكملوا مسيرته العلمية وتربّعوا للتدريس والإفتاء والقضاء فكان منهم الفقيه والمحدث والنوازلي والشاعر الأديب، نذكر منهم:

- الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني(1151/ 1233هـ)[2]: هو ابنه وحافظ سره ووريث علمه، تلقى العلم على يد والده.[3]

- محمد بن محمد العالم الزجلاوي المتوفي عام(1212هـ)، الإمام الشهير والقدوة المنير، كان آيه في العلم والحفظ والذكاء، يعتمد على فتوى شيخه أبي زيد في المعضلات، له كتاب (الوجيز) حلّ فيه ألفاظ مختصر خليل وألفية(الغريب) التي حلّ فيه ألفاظ القرآن الكريم[4]، بالإضافة إلى نوازله المسماة" نوازل الزجلاوي".

- الشيخ الأديب الشاعر محمد المبروك البوداوي[5] المتوفي(1196هـ/ 1782م): أخذ العلم على الشيخ عبد الرحمان بن عمر له العديد من الأشعار منها القصيدة التي رثى فيها شيخه.

---

[1]- مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 196- 197.

2- عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ص 07.

3- عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 103.

4- محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص 27- 28.

5- أحمد جعفري، ابن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص 38.

- القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري المتوفي(1210هـ/ 1795م)، القاضي الفقيه النوازلي، أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني، تولى القضاء بعد أبيه[1].

- محمد بن عبد الرحمان البلبالي المتوفي (1244هـ/ 1828م): هو محمد بن عبد الرحمان المعروف بسيدي الحاج البلبالي، ولد بقصر ملوكة، أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر وابنه محمد حيث جمع الكثير من فتاويهما في كتابه المسمى" غنية المقتصد السائل"[2]، انتهت إليه خطة القضاء في توات سنة 1210هـ/ 1795م، توفي يوم الاثنين 29 جمادى الثانية 1244هـ/ 1828م. وقد رثاه تلميذه يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني في قصيدة طويلة جاء فيها[3]:

شيخ الورى البلبالي العلم الذي***هاجت عليه بلابلي وتجلدي

من ليس نعبّر من بعده ***وتبلبلي وتململي وتنكّدي

ثم يقول:

وبعام دمرش[4] فيه حفيّ مارش***أخرى الجمادين استوى للموعد

في ليلة الاثنين رأى هلاله *** بين العشائين استبان بمود

1- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 22.

2- محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 31.

3- عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، 47- 48.

4- دمرش بحساب الجمل تعني الدال= 04، الميم= 40، الراء= 200، ش= 1000، فيكون الجمع 1244 أي تارخ وفاة البلبالي ويعتبر حساب الجمل من ألوان البديع افتتن بها معظم الشعراء المتأخرين، وهو تأريخ الاحداث شعرا. ينظر: محمد البعلاوي، حساب الجمل أو التأريخ بالحروف، حوليات الجامعة التونسية، ع 8، تونس، 1971، ص 93.

- عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر المتوفي(1221هـ/ 1806م): ابن الشيخ عبد الرحمان، كان فقيها عالما ناظما للشعر[1].

- عمر بن عبد الرحمان الأصغر المتوفي(1221هـ/ 1806م): صاحب زاوية مهدية، الشيخ الفاضل، العالم العلامة، قال عنه صاحب الدرة الفاخرة:" كان عالما زاهدا ورعا"[2].

- أبو عبد الله الفلاني المتوفي (1194هـ/ 1780م)[3]: قدم إلى توات من بلاد التكرور للدراسة على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر[4] وهذا الأمر يدل على عظمة الشيخ وعظمة الزاوية التنلانية التي سمع صداها في المغرب الأقصى وبلاد السودان، فألف الفلاني رحلة ذكر فيها ما درسه في الزاوية التنلانية، جاء في هذه الرحلة" هو عبد الله بن أحمد الفلاني أدخله والده المكتب وهو ابن خمس سنين ولما بلغ سبع سنين ختم القرآن الكريم، ولما بلغ مبلغ الرجال طلب من والده الذهاب إلى توات لطلب العلم"[5].

- محمد بن مالك الفلاني القبلاوي: أصله من أقبلي(أولف) انتقل إلى تنلان لغرض الدراسة على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر، ثم واصل الدراسة على يد ابنه محمد بن عبد الرحمان بن عمر الذي أجازه[6]، وهذا ما جعله يساهم في نسخ العديد من المخطوطات منها مؤلفات شيخه عبد الرحمان منها:" مختصر النوادر، ومختصر السمين"[7].

1- محمد باي بلعالم، الغصن الداني، المرجع السابق، ص 08.

2- عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 89.

3- أحمد جعفري، محمد بن أبّ المزمري، المرجع السابق، ص 38.

4- بعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر، مرجع سابق، ص 39.

5- للتوسع ينظر، عبد الله الفلاني، رحلته الى توات، خزانة سليماني مولاي علي أدغا، أدرار، الورقة 01/ وجه.

6- محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص 28.

7- بعثمان عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 40.

يعتبر عبد الرحمان بن عمر التنلاني من المشتهرين بالتأليف على عكس الأعلام التنلانية الأخرى، ومن الموسوعيين الذين تعددت مؤلفاتهم لتشمل صنوف أبواب العلم، فقد ألّف الشيخ في اللغة والفقه وأدب الرحلة ومن بين مؤلفاته:

✓مجموعة تقاييد وفتاوى جمعها محمد بن عبد الكريم البلبالي في كتابه الجامع وغاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني[1].

✓مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون: وهو اختصار لكتاب ألّفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف بالسمين ومحوره هو إعراب القرآن الكريم.[2]

✓مختصر النوادر[3]: وهو كتاب في الفقه نسخة تلميذه محمد بن مالك القبلاوي يشمل أمور العبادات والمعاملات كالصلاة والصيام والبيوع والمغارسة.

✓رحلة حجازية: تعتبر من أجلّ ما ألف في فن أدب الرحلة في البلاد التواتية، سجل فيها الشيخ كل ما رآه في الطريق حتى وصوله إلى الحجاز.

✓فهرسة شيوخه: ترجم فيها لشيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية.[4]

✓أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات وشرح الحطاب، قال فيها:

عليك إذا رمت الوصول بسرعة ***لعلم أصول الفقه خير العلوم

بتأليف بحر العلم أوحد وقته *** غمام حرام الله محي الرسوم

وطالع عليه شرح حطاب عم نفعه محـــ***مد الحطاب بحر الفهوم

1- توجد نسخة من المخطوطين بخزانة سليماني مولاي علي، أدغا، أدرار.

2- اطلعت على نسخة كاملة منه بخزانة الشاري الطيب، كوسام، أدرار، الصفحة الأولى متآكلة.

3- يوجد مخطوط بخزانة محمد باي بلعالم ، أولف، أدرار.

4- توجد نسخة من الرحلة والفهرسة بخزانة سليماني مولاي علي، أدغا، أدرار.

وما سمي الحطاب إلا لحطبه***فوائد لا تفي لأهل الحلوم

✓تقريظ على نظم الآجرومية لابن أبّ المزمري، قال فيها:

إذا رمت نظما يزري بالدر في سلك ***فلازم ذا الشيخ بن أبّ النسك

بدا فيه بين أعلام عصره وماز به*** سبقا وفضلا بلا شك

فما انفك زمان يبدي عجائبا ***يسوغ قريض محكم النظم والسبك[1]

- **– محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني(ت 1233هـ/ 1818م)[2]:**

من الأعلام التنلانيين التواتيين المشهورين، وكنيته الواردة في نوازل الجنتوري هي أبو عبد الله[3]، ساهم في إثراء تلك النوازل بجملة من الفتاوى[4]، أخذ العلم عن والده الشيخ أبي زيد عبد الرحمان التنلاني، ثم انتقل إلى سجلماسة للدراسة على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن هلال السجلماسي، الذي أشاد بسرعة تحصيله وبمستواه العلمي، فأرسل إلى والده يبشره بذلك قائلا[5]:

إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقـــ***نت أن سيكون بدرا كاملا

تصدر محمد بن عبد الرحمان للإفتاء والتدريس في حياة أبيه في مناطق عدة، منها قصر أقبلي، وكان يراسل أباه في ما استعصى عليه من النوازل، حتى أن محمد بن عبد الملك البلبالي

1- محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص 57.

2- ينظر ترجمته في: عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص 08/ محمد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص 103/ الصديق حاج أحمد، المرجع السابق، ص 90.

3- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 20.

4- المصدر نفسه، ص 106.

5- محمد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص 104.

جمع كتابا سمّاه" الجامع"، ضمّنه الكثير من الفتاوى والنوازل التي جاءت على شكل أسئلة وأجوبة متبادلة بينه وبين أبيه مبتدئة بـــ[1]" وسأل الابن أباه".

وإضافة إلى الفتاوى المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الرحمان المتضمنة في نوازل الجنتوري، فقد كان كثير النسخ للكتب، حيث ألّف العديد من الرسائل والنوازل، أهمها كتاب "غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني"، وضمّنها العديد من النوازل والأسئلة الفقهية التي تبادلها مع والده، وتختصّ بمسائل العبادات والمعاملات ومسائل الميراث والنزاعات حول الأراضي وغيرها. فاستحق بذلك إثراء الشيوخ والمؤرخين المحليين له، ومنهم المهداوي صاحب الدرة الفاخرة، الذي قال عنه[2]:"... كان عالما مجتهدا في البحث، من حفاظ الحديث والفقه والمنطق والعروض، اشتهر بالدين وحسن السيرة وكان عديم النظير في العلم على اختلاف فنونه، متبحرا في معرفة أحكامه ومعانيه، من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، انتهت إليه الرياسة في التجويد وعلم الحديث".

- **– عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري (ت 1160هـــ/ 1747م):**

هو عبد الرحمان بن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الانصالحي[3]، ولد بين سنتي 1100هـــ و 1110هـــ/ 1698و 1699م[4] بقصر اجنتور.

تنحدر عائلته المشهورة بالعلم والفقه من قصر تيطاف[5] بتوات الوسطى انتقلت لاحقا إلى مدينة عين صالح من بلاد تيدكلت، ولذلك حمل بعض أفرادها لقب الانصالحي، ثم طاب المقام

1- عبد الرحمان بعثمان، الدور العلمي للزاوية التنلانية، ملتقى أعلام توات، ص 11.

2- عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص 09.

3- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 01.

2- لم تذكر المصادر سنة بعينها، لكن يمكن استنباط تاريخ ولادته بناء على تاريخ وفاته 1160هـــ/ 1747م وأنه عاش بضعا وخمسين سنة، ينظر: عبد الرحمان الجنتوري، المصدر نفسه،ص 02.

5- تيطاف أو تطاف احدى قصور بلدية تامست، يقع على مسافة 60 كلم جنوب أدرار.

والاستقرار لجد الجنتوري القريب في قصر اجنتور من بلاد تيكورارين، فالجنتوري بذلك من الأعلام القلائل الذين يرتبطون بجميع الجهات التواتية منشأ وقرارا[1]، أخذ عن والده القرآن ومبادئ العلوم، ثم جلس في حلقة ابن عمه الشيخ عبد العالي ابن أحمد بن عبد الرحمان الجنتوري، فقرأ عليه أمهات المتون، ولازمه برسم الاستفادة والتعلم ، ففتح الله عليه، فتمكن على يديه من استيعاب مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والتلمسانية والفرائض وألفية ابن مالك وبعض تآليف القلصادي[2].

أراد الرحلة إلى فاس لكن أهله منعوه لظروف خاصة، ولما سمع بقدوم الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني إلى توات رحل إليه، وأقام عنده فدرس عنده الفقه والأصول والمنطق والبلاغة وغير ذلك، وكان في هذه المدة يدرس الصبيان في المكتب[3].

بعد أن أجازه شيخه إجازة عامة وخاصة رجع إلى بلاده اجنتور واستقر بها، فاشتغل بالتدريس والتأليف، ثم حج فلقي بمصر والحرمين جماعة من العلماء كالشيخ أبو عبد الله البليدي الغرناطي مدرس الجامع الأزهر، والشيخ سالم بن محمد النفراوي القاهري، والشيخ الدميري الشافعي وغيرهم من علماء المشرق الذين أجاز بعضهم واستجاز من بعضهم[4]، وكان الشيخ الجنتوري على قدر كبير من التواضع والأخلاق العالية حيث يذكر تلميذه عبد الرحمان بن عمر أنه لمل طلب منه الاجازة رد عليه الشيخ الجنتوري قائلا:"... وقد طلب مني أن أجيزه فيما

1- بوسعيد أحمد، المرجع السابق، ص 53.

2- القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطس، من أئمة الأندلس، عالم بالحساب فقيه من المالكية، انتقل الى غرناطة فأقام هناك ثم رحل الى المشرق، وتوفي بباجة في تونس، له" اشرف المسالك الى مذهب مالك"، " كشف الجلباب عن علم الحساب"، " تنبيه الانسان بعلم الميزان"، " " هداية الأنام في قواعد الاسلام" وغيرهم.توفي سنة 891هـ/ 1486م. ينظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة 1930، ص 261.

3- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرس الشيوخ، مصدر سابق، ص 88.

4- نفسه، ص 116.

أخذ عني، فحملني من ذلك أمرا وأرهقني فيما ندبني إليه عسرا، لما رأيت أني لست أهلا لأن أجاز فضلا عن أن أجيز:

ولكن البلاد إذا اقشعرت*** وصوّح نبتها رعي الهشيم

فأسعفته في ذلك، وان لم أبلغ رتبة أولئك، لأن من انتسب لقوم عدّ منهم، وان لم يحصل له ما حصل لهم"[1].

وقد كان شديد النكير على قضاة زمانه يصفهم بالجهل وينعتهم بالجور ومخالفة المشهور والراجح، ويتهمهم بتغيير سنن الدين وأحكام الشرع، فتراه كثير المراجعة لهم لا تأخذه في الله لومة لائم.

- **محمد بن أبّ المزمري:**

هو الشيخ محمد بن أبّ أحمد المزمري من قبيلة زمورة البربرية في بلاد توات الجزائرية، نسبه موصول الى قبيلة بني مخزوم العربية، ولد في ديار توات في بداية القرن الثاني عشر سنة 1116هـ/ 1704م تقريبا[2] بقرية تدعى" أولاد الحاج" من بلدية تمقطن حاليا بأولف[3]، نشأ وتربى بأولاد الحاج مسقط رأسه، فلازم الشيخ محمد الصالح بن المقداد، ثم انتقل إلى زاوية كنتة، فتتلمذ على الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي، ثم انتقل إلى تمنطيط التي درس بها كثيرا[4]، ثم تنقل بين بلدان عربية كسجلماسة وفاس من بلاد المغرب، وبين تمبكتو وأروان من بلاد السودان، فدرس على عدد من المشائخ أشارت لهم المصادر التي ترجمت له كالشيخ

1- نفسه، ص 90.

2- بن ساسي ابراهيم، من أعلام الجنوب الجزائري، مطبعة ENAG ، الجزائر، 2011، ص 115.

3- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 1، ص 89.

4- جعفري أحمد أبا الصافي، محمد بن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص 54.

بوسماحة التلمساني وابراهيم الملايخافي ويوسف أحنصال وسيد أحمد التوجي[1]، ثم تحول إلى التدريس واستقر أخيرا بتيميمون.

ولم تشر المصادر إلا إلى ثلة قليلة من تلاميذه الذين كتبوا عنه وترجموا له ضمن سلسلة أساتذتهم وشيوخهم، وأبرزهم نجله ضيف الله وعمر بن المصطفى الرقادي[2] والشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني[3]، الذي علّل سبب قلة الذين أخذوا عنه لكونه كان متنقلا جوّالا، فقال في فهرسته:" أخذ عنه جماعة وانتفعوا به في مواطن، لأنه كان جوّالا في البلاد".[4]

لقد عاصر الشيخ محمد بن أبّ علماء وفقهاء كثيرين ربطته بهم علاقات علمية أمثال الشيخ عمر الرقادي والشيخ عبد الرحمان التنلاني الذي قال فيه: "كان ابن أبّ فقيها، أديبا، نحويا، لغويا، تصريفيا، عروضيا، فائق من لاقيت في الفنون الثلاثة الأخيرة، رائق الحظ، شاعرا، مجيدا، مفلقا، لايبارى فيه ولا يجارى، حتى لقد قال في عنفوان شبابه مخبرا عن حاله:

إذا ساد بالإقدام عمر وبالذكا***تفرّد إياس وبالجود حاتم

فإن شعاري صنعة الشعر فالذي ***ينازعني فيها فذلك ظالم

وقد نظم قصائد ومقطعات لو جمعت لكانت ديوانا كبيرا.[5]

---

[1]- ينظر: جعفري أحمد، نفسه، ص 54. أيضا: عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 69. أيضا: الطاهري الادريسي، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 111.

2- هو الشيخ عمر بن مصطفى الرقادي الكنتي (ت1157هـ/1744م)، وصفه عبد الرحمان بن عمر التنيلاني في فهرسته بأنه كان آية في علم اللغة فصيح اللسان، تتلمذ على يد الشيخ محمد بن أب المزمري والشيخ عبد المؤمن والشيخ أحمد بن حماد، توفي في طريقه إلى الحج بقرية زلة الليبية في 23 ربيع الثاني سنة 1157/ جوان 1744م. ينظر: محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 24.

3- جعفري أحمد أبا الصافي، رجال في الذاكرة، محمد بن أبّ المزمري، طبع دار الثقافة، أدرار 2003، ص 33.

4- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، الفهرسة، المصدر السابق، ص 137.

5- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرسة الشيوخ، المصدر السابق، ص 133.

ومن الشيوخ الآخرين الذين شهدوا بفضل الشيخ ابن أبّ وربطتهم به علاقات علمية هو الشيخ عبد الرحمان الجنتوري الذي توفي قبل الشيخ بن أبّ بثلاثة وعشرين يوما[1]، وكان قد ربطته به علاقة خاصة بحكم استقرارهما معا في منطقة تيكورارين وتماثل عمريهما، وتميز كل واحد منهما في فنون دون غيرها، فأصبح ابن أبّ اللغوي مرجعا للجنتوري في الضوابط الشعرية والأدبية، كما كان الجنتوري الفقيه مقصدا لابن أبّ فيما أشكل عليه من مسائل فقهية ونوازل محلية، فكانا يقضيان النهار معا يتدارسان الفنون والعلوم، ويعرض أحدهما على الآخر ما جادت به قريحته، ورغب في أخذ رأيه بشأنه.[2]

وقد خلف ابن أبّ تآليف قيمة، طبع بعضها وبقي أغلبها مخطوطا، غلبت عليها القصائد الشعرية والتآليف اللغوية، ومن مؤلفاته الكثيرة نذكر:

- ✓نظم العبقري في أحكام السهو في الصلاة الذي لا يزال يدرّس ومتداولا في المنطقة.
- ✓نزهة الحلوم في نظم ابن أجروم.
- ✓نظم معاني بعض حروف الجر.
- ✓روضة النسرين في مسائل التمرين وهي أرجوزة في التصريف.
- ✓الذخيرة الكنزية في حلّ ألفاظ الهمزية وهي شرح على همزية البوصيري.
- ✓شرح على القصيدة الشقراطسية سماه" الدرع الفارسية".
- ✓تكملة الخزرجية في فك دوائر البحور في اثني عشر بيتا.
- ✓شرح للامية العجم سماه نفث القلم.
- ✓شرح للمقصود والممدود لابن دريد.
- ✓شرح للامية ابن المجراد سماها" نيل المراد".

1- بن الساسي ابراهيم، المرجع السابق، ص 117.

2- ضيف الله ابن أبّ، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، ص 67.

✓قصيدة رجزية في" ألفيات الزحافات والعلل" سماها" روائق الحلل".

✓نوفي- رحمه الله- ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة 1160هـ/ 1747م بتيميمون ودفن بمقبرتها[1]، وقبره مشهور يزار يعرف بقبر العبقري نسبة إلى المؤلف الشهير المذكور.

- **محمد بن المبروك البوداوي الجعفري:**

ولد محمد بن المبروك البوداوي بقصر زاوية سيدي حيدة ببودة ونشأ بها وهناك تلقى علومه الأولى ثم انتقل إلى أولاد ونقال فتتلمذ على أمحمد بن عبد الله الونقالي[2]، وعلى عمر بن عبد القادر التنلاني، وعلى عبد الرحمان بن عمر التنلاني[3].

ذكره صاحب الدرة الفاخرة[4] أنه" كان- رحمه الله- عالما، ورعا، زاهدا، أحد الحفاظ، أخذ العلم عن الشيخ أمحمد الونقالي، والشيخ عمر بن عبد القادر والشيخ عبد الرحمان بن عمر، تبحر في العلم والأدب وتفرّد في المديح"[5].

برع في الشعر والفقه فخلّف ديوانا شعريا ضخما بالإضافة إلى عديد القصائد الملحونة وقصائد كثيرة في مدح الرسول- صلى الله عليه وسلم- الذي مدحه في كل البحور الشعرية، ومما ورد في إحدى قصائده في مدح المصطفى- صلى الله عليه وسلم-:

1- ضيف الله ابن أبّ، المصدر نفسه، ص 33.

2- مولاوي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة في ابراز شخصيات من علماء وصالحي اقليم توات، منشرات الديوان الوطني للنشر والاشهار، الجزائر، 2005، ج3، ص 205.

3- عبد القادر بن عبد الرحمان التنلاني، الدرة الفاخرة، المصدر السابق، ص 07.

4- مؤلف كتاب الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية هو عبد القادر بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف التنلاني مولدا ومنشأ، المهداوي دارا ومسكنا، درس على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز توفي بزاوية المهدية سنة 1265هـ/ 1848م، ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 2، ص 186، وأيضا عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص 51.

5- عبد القادر بن عبد الرحمان التنلاني المهداوي، المصدر السابق، ص 07.

رسول الله أفضل من تنبّا *** وخير الواطئين على التراب

وأفصح من جميع الناطقين *** بحرف الضاد وفصل الخطاب

حباه إلهه ثم اجتباه **** فنال من المنازل قدر قاب

لدى قوسين أو أدنى وكم من *** سماه جاز ثمت كم حجاب

فأرسله إلى جمع البرايا ***فأمن من هداه من العذاب

علوم الأولين به تجلت ****كعلم الآخرين في الانتساب

مدائحه تزيد الفخر فخرا***فحق لدى المدائح أن تجاب[1]

توفي- رحمه الله- على الأرجح في الثامن من شهر شعبان عام 1198هـ/ 1783م، وقيل 1195هـ/ 1780م، وقيل 1196هـ/ 1781م.[2]

- **محمد العالم الزجلاوي (ت 1210هـ/ 1795م):**

ترجع الشهرة العلمية لمركز زاجلو[3]، لعلمين بارزين من أعلام هذا المركز الحساس، ويتعلق الأمر بعلي بن حنيني الزجلاوي(ت1118هـ)، الذي تتلمذ على الشيخ علي النحوي الوجروتي، وإلى شخصية زجلاوية ثانية، ظهرت في الفترة الأخيرة من القرن12هـ، ويتعلق الأمر بمحمد بلعالم الزجلاوي، الذي نهض باللغة العربية وعلومها بتوات، نظرا لتتلمذه على عبد القادر بن عمر التنلاني، وعلى عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فضلا عن مؤلفه اللغوي

[1]- أحمد جعفري أبا الصافي، رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري 1198هـ حياته وشعره، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 38- 39.

[2]- نفسه، ص 33.

[3]- يقع جنوب ولاية أدرار, يتبع إداريا لبلدية زاوية كنتة, يبعد عن مقر الولاية بـ 70 كلم

الثمين، الذي ألّفه في غريب القرآن[1]، وبذلك فقد مدّ يده إلى جانب مهم من الجوانب اللغوية، والمتمثل في إقحام مباحث فقه اللغة في الدرس اللغوي بتوات، وهي حسنة محسوبة له دون سواه في هذا الجانب.

أما بالنسبة لميلاده، فبالرغم من شهرته الواسعة إلا أن تاريخ ميلاده لازال مجهولا، فقد بحثنا في معظم الكتب التي ترجمت له، و لم نجد تحديدا لتاريخ ولادته، وانطلاقا من تاريخ وفاته المتفق عليه، فإننا نستطيع التخمين والافتراض بولادته في الثلث الأول من القرن12هـ.

قال فيه صاحب الدرة الفاخرة: "كان ـــ رحمه الله ـــ أحد الأعلام المجتهدين في عصره، كان عالما بالفرائض، وعليه مدار الفتوى، انتهت إليه الرياسة في الديار التواتية".[2]

وكان الشيخ الزجلاوي قد نشأ بمسقط رأسه زاجلو، حيث حفظ القرآن الكريم، وأخذ المبادئ الأولى من المتون، ثم رحل إلى تينلان، فتتلمذ على عبد القادر بن عمر التنلاني, فأخذ عنه الفقه، والنحو، والتفسير، والمنطق[3]، كما تتلمذ على عبد الرحمان بن عمر التنلاني، وأخذ عنه العلوم، وطلب منه هذا الأخير أن يضع شرحا على مختصر خليل[4].

لقد خلّف لنا مجموعة من المؤلفات الفقهية واللغوية وهي كالتالي:

ـــ ألفية غريب القرآن، وقد قال عنها صاحب قطف الزهرات بأنها للطلبة كالغذاء للأبدان[5]، وقد مدحها عبد الكريم بن بابا حيدة التمنطيطي بخمسة أبيات، قال في مطلعها:

إذا رمت ذوقا كالعسل حلاوة ـــ عليك بنظم كالجواهر رصعا[1].

---

[1]– ينظر مؤلفه اللغوي في الباب الثالث الخاص بمصادر الدرس اللغوي بتوات.

[2]– عبد القادر المهداوي، الدرة الفاخرة ، مصدر سابق ، وجه الورقة08.

[3]– عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، مرجع سابق ، ص93.

[4]– محمد باي بلعالم، الغصن الداني ، مرجع سابق ،ص27.

[5]– عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، مرجع سابق ، ص123.

ـــ شرح مختصر خلي[2].

ـــ نوازله، وقد قال عنها محمد باي بلعالم، بأنها كتاب قيم, لا يستغنى عنها عالم ولا قاضي[3].

ـــ شرح على التلمسانية في الفرائض[4].

ـــ شرح على المرشد المعين[5].

توفى رحمه الله يوم الثلاثاء 23 شوال عام 1212هـــ[6].

- **عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان البلبالي (1261هـــ/ 1845م):**

ولد بملوكة سنة 1190هـــ/ 1776م في بيت علم فضل وصلاح، فنشأ في كنف والده الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي[7]، أخذ عنه العلوم والآداب من فقه ونحو وصرف وبلاغة وتوحيد وتفسير وحديث ومنطق وكلام، فقضى أيام صباه في مجالس حلقات والده ينهل من معين معارفه ويستفيد من خبرته، وكان يتردد كذلك على مجلس الشيخ محمد ابن عبد الرحمان بن عمر التنلاني[8].

---

[1]- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، مرجع سابق ، ص94.

[2]- مخطوط بخزانة الطيب الشاري ، كوسام ، تيمي ، ولاية أدرار.

[3]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، مرجع سابق ،ص128.

[4]- نفسه.

[5]- نفسه.

[6]- عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المرجع السابق، ص123.

[7]- عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 69.

[8]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 1، ص 59.

فحصل على العلم الكثير فكان كما وصفه صاحب الجوهرة، شيخ الدائرة الكبرى وحامل لواء المحجة الغراء، إمام العارفين، ورئيس القانتين، وكعبة الخاشعين[1]، ذكره صاحب الرحلة العلية بقوله: "كان- رحمه الله- ممن فاضت عليه الفيوضات الرحمانية والأنوار الربانية... فحصل من فنون العوم ما كان به إمام الأئمة، وحرر من نقول المذهب، ما إلى ترجيحه مرجع الأئمة... كان له القدم الراسخ في سائر العلوم من بديع وبيان ومنطوق ومفهوم".[2]

هذه الصفات أهلته لتولي مقاليد التدريس، وخطة القضاء عندما كبر والده وعجز عن تسيير الشؤون القضائية، فتتلمذ على يده العديد من الأعلام منهم سيد الحسن بن سعيد البكري، ومحمد بن محمد الجزولي ديدي، وأمحمد بن أحمد البدوي البكري، ومحمد بن سعيد العالم[3].

واصل مسيرة شيخه والده في جمع ما تحصل عليه من فتاوى، واجتهادات علماء توات، وضمنها إلى سجلات القاضي عبد الحق، مع توضيح مبهم، وحلّ مقفل، وإصلاح خلل، فلما استوى عود هذا المقفول سماه "غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل" فكان أجلّ ما ألّف في الصحراء، لم يسبقه لذلك سابق، ولم يلحقه لاحق، ومازال الفقهاء والقضاة يرجعون إليه ويعتمدون عليه.[4]

توفي- رحمه الله- يوم الأحد 17 جمادى الأولى سنة 1261هـ/ 1845م.

1- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 03.
2- محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، ج 1، ص 58.
3- بكري عبد الحميد، النبذة، مرجع سابق، ص 70.
4- عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص 55.

- **الحسن بن سعيد البكري (ت 1286هـ/ 1869م):**

يعتبر أشهر الأعلام العلماء الذين أسسوا مجلس علم بالزاوية البكرية، ولد الحسن بن سعيد البكري بالزاوية البكرية سنة 1210هـ/ 1796م[1]، درس بحاضرة العلم آنذاك ملوكة على يد الشيخ عبد العزيز البلبالي وحصل منه على إجازة في جميع الفنون التي أخذها عنه[2].

بعد رجوعه إلى الزاوية البكرية جلس للتدريس والإفتاء، حيث كان له مجلس علم تخرج على يده شيوخ وفقهاء منهم: ابنه الشيخ محمد، والقاضي الحاج محمد بن عبد الرحمان، الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلاني[3]، وكان يقسم السنة القمرية إلى خمسة أزمنة، فيجلس ثلاثة أشهر للتدريس بالزاوية ثم ينتقل ثلاثة أشهر أخرى للتدريس في تيدكلت بأقبلي ثم ينتقل للتدريس ثلاثة أشهر أخرى بأوقروت من منطقة قورارة وشهرين يمكثهما بالزاوية لخدمة بساتينها، وشهر رمضان يخصصه للإقامة عند شيخه عبد العزيز البلبالي بملوكة[4]، وقد كان كثير التنقل بين بلاد التكرور وتوات للتدريس والإفتاء[5].

وتذكر المصادر البكرية كثرة نسخه للكتب ليزود بها خزانته، وقد استقينا هذا من تقييد بخط البكري بن عبد الرحمان التنلاني يجرد فيه الكتب التي باعتها زوجته لدفع ديونه بعد وفاته.[6]

وفاته.[6]

له عدة مؤلفات[1] وهي:

1- تقييد بيد الحاج عبد الله بكراوي، قصر غوزي، أدرار.

2- محمد العالم بكراوي: ترجمة وجيزة، مصدر سابق، ص 48.

3- المصدر نفسه، ص 48.

4- البكري بن عبد الكريم بن البكري، تقييد لأخبار الأعلام البكريين، خزانة الشيخ احمد ديدي، تمنطيط، أدرار، ص 11.

5- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 105.

6- تقييد بيد الحج عبد الله بكراوي، غوزي، أدرار.

- غاية المنتظر وفتح الجليل في أصول بعض فروع مختصر خليل.[2]

- مخطوط في تراجم العائلة البكرية[3].

- قصائد متعددة الأغراض، منها قصيدة يمدح فيها شيخه عبد العزيز البلبالي يقول في مطلعها:

ولما غدت سلمى ترشق بالقنا***فؤادي لم أسلو بهند وزينب[4]

توفي الشيخ الحسن بن سعيد البكري سنة 1286هـ/ 1869م[5] بالزاوية البكرية، وقد رثاه تلميذه وابن أخته الشيخ البكري بن عبد الرحمان بقصيدة جاء في أبيات منها:

مال سعدي رمت فؤادي بلحظ *** وكوتني بنار هجر جهارا[6]

ثانيا : **المناظرات والمحاورات العلمية:**

المناظرات العلمية فنّ يراد به إثبات قول أو نفيه، يجري بين اثنين أو يزيد، وهو فن قديم عرف خاصة في المناطق ذات الحركية العلمية وعند الشعوب التي تميزت بنشاطاتها الثقافية.

وقد بدأت المنطقة التواتية تعرف مع مطلع العصر الحديث حركة علمية اعتبرت عاملا في تبلور هذا الفن وشيوعه في أرجاء توات، يضاف إلى ذلك انتشار المذهب الملكي في بلاد المغرب

---

[1]- مؤلف مجهول، تقييد حول كتب خزانة الحسن بن سعيد البكري، مخطوط بيد الحاج عبد الله بكراوي، قصر غوزي، أدرار، ص 01 وما بعدها.

[2]- توجد نسخة منه بخزانة سيد احمد ديدي البكري بتمنطيط.

[3]- توجد نسخة منه بخزانة سيد أحمد ديدي ابكري بتمنطيط.

[4]- عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 172.

[5]- محمد العالم بكراوي: الدرة البهية، مصدر سابق، ص 113، غير أن تقييد بيد الحاج عبد الله بكراوي يرجع وفاته إلى 1292هـ/ 1875م.

[6]- عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 174.

قاطبة، مما جعل المناظرات العلمية – التي مالت معظمها إلى المسائل الفقهية- تتعدى المنطقة الواحدة لتشمل ربوع بلاد المغرب الإسلامي بما فيها توات، لتجسد دورا مهما تمثل في إخراج العلوم من دائرة التلقين والتلقي إلى دائرة النقاش والبحث.

وقد مثلت تلك المحاورات سبيلا للتواصل الفكري بين علماء توات بمناطقها الثلاث فيما بينهم من جهة، وفي مواجهة أترابهم المغاربة وغيرهم من جهة أخرى، ووسيلة إلى توحيد الأفهام والاجتهادات، بيد أن الغرض منها لم يكن لأجل شهرة أو استعراض معارف وقدرات، بل من أجل إظهار الحق والرجوع إليه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، فاشتد الصراع اثر ذلك بين عباقرة أعلام، تصارعوا في سبيل العلم قصد بيان الحق الشرعي وإعلاء كلمته[1].

أ- بوادر المناظرات العلمية في توات:

إن الدارس لتاريخ المنطقة التواتية يلحظ أن فن المناظرات فيها بزغ جليا مع مطلع العصر الحديث وتحديدا بقدوم الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي إلى المنطقة حاملا معه منهجا جديدا في الدعوة والتدريس يعتمد أساسا على إقامة الحجة بالمنطق والمعقول استنادا إلى المنقول، فقد كان المغيلي من الداعين لاستعمال علم المنطق كوسيلة لإدراك الحق، وذاك ما أكده في مناظرته الشعرية الشهيرة مع الشيخ جلال الدين السيوطي الذي كان يرى غير ما ذهب إليه المغيلي.

وقد أورد الشيخ أحمد بابا التمبكتي في كتابه نيل الابتهاج بعضا من هذه المحاورة، فمما كتب المغيلي مدافعا عن استعمال المنطق وراسل به السيوطي قوله:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله *** وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة *** وينهي عن الفرقان في بعض قوله

1- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 02، ص 80.

هل المنطق المعنى إلا عبارة *** عن الحق أو تحقيقه لا يرد لشكله

أرني هداك الله منه قضية *** على غير هذا تنفعها عن محله

ودع عنك أبداه كفور وذمة *** رجال وان أثبت صحة نقله

وكان من ردّ الإمام السيوطي على الإمام المغيلي حول التقليل من شأن المنطق قوله:

حمدت إله العرش شكر لفضله *** وأهدى صلاة للنبي وأهله

عجيب لنظم ما سمعت بمثله *** أتاني عن حبر أقر بنبله

تعجب مني حين ألفت مبدعا***كتابا جموعا فيه جم بنقله

أقرر فيه النهي عن علم منطق ***لما قاله الأعلام من ذم شكله

وسماه بالفرقان ياليت لم يقل *** فذا وصف قرآن كريم لفضله[1]

ومن أشهر المحاورات التي ارتبطت بتاريخ توات كانت تلك المعروفة بنازلة يهود[2] توات التي أثارها الإمام المغيلي حول إجلاء اليهود من المنطقة وهدم بيعهم، وعندما وجد معارضة

---

[1]- أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ص 578- 579.

[2]- للاطلاع على حياة الشيخ المغيلي وقصته مع يهود توات وماأحاط بها من جدل فقهي واجتماعي ينظر: أحمد بابا التنبكتي، المصدر نفسه، 576/ العباس بن ابراهيم السملالي، الاعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ج 5، ص 106/ محمد ابن أبي مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 253/ أبو القاسم محمد الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بييرفونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ج 1، ص 166/ محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، مرجع سابق، ج 2، ص 816/ محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشرلمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط 2، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1977، ص 130/ محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م، ص / خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج ، ص 216/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 53/ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 3، ص 71/ محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، ص 19/ أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 13 وما بعدها، مبروك مقدم، الامام محمد بن عبد الكريم

لرأيه من قاضي توات أبي بكر العصنوني راسل في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فأدلى كل منهم برأيه حول القضية التي شكلت مناظرات حادّة عمت ربوع بلاد المغرب.

ورغم كثرة المناظرات في الفقه وتميزه بذلك لتعلقه بالأحكام الشرعية، إلا أن تلك المناظرات التواتية لم تقتصر على مجال الفقه فقط، بل شملت فنونا أخرى نالت حظها من الجدل العلمي كذاك الذي كان يقع في النحو والأدب بين الشيخين محمد بن مزيان التواتي[1] (ت 1031هـ/ 1622م)، ومحمد بن راشد الزواوي (ت 1033هـ/ 1624م)، حيث يصوّر تلميذهما عبد الكريم ابن الفكون القسنطيني[2] في كتابه" منشور الهداية" تلك المناظرة الحادة بين شيخيه، المصحوبة بمظاهر الانفعال والغضب قائلا: "وكان صاحبنا[3] يقف له[4] في البحث ولا يسلمه له، وكان عمدة نظر صاحبنا ابن بابشاذ[5] على الجمل وعمدة نظر الشيخ سراح التسهيل فلم يتواردا على مورد واحد، وكثيرا ما يلجئه الأمر أعني الشيخ إلى سبه الصاحب... ويبطل

المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الامارة الاسلامية بأفريقيا الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ص 27 وما بعدها.

[1]- محمد بن راشد التواتي: تعريفه مفصلا في الفصل الثاني من هذا القسم عند ذكر العلاقات.

[2]- عبد الكريم الفكون القسنطيني: هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني، ولد سنة 1580من عائلة عرفت بالعلم والمال والجاه، كانت دراسته محلية عصامية فلم يدرس خارج قسنطينة حيث درس على يد والده والشيخ محمد التواتي ومحمد بن راشد الزواوي ثم جلس للتدريس بالجامع الكبير قسنطينة وألف تآليف كثيرة شملت الأدب والنحو والاجتماع والدين، أبرزها: منشور الهداية، توفي سنة ، ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 7 وما بعدها.

[3]- يقصد الشيخ محمد بن راشد الزواوي.

[4]- يقصد الشيخ محمد بن مزيان التواتي.

[5]- ابن بابشاذ: هو أبو الحسن طاهر بن أحمد، المتوفي سنة 469، وله عدة مؤلفات في النحو منها شرح الجمل للزجاجي، ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الاسلامي،بيروت 1987م، ص 107- 108.

درس ذلك اليوم، كل ذلك لا يثني الطالب عما أراده ولا الشيخ عما يلقيه لله درهم أجمعين، كانت سيرتهم محمودة، وآثارهم مشهودة، وسقطاتهم معدودة".[1]

ب- أشهر المحاورات في توات:

بانتعاش الحركة العلمية بتوات خلال العصر الحديث انتعشت معها المحاورات التي جرت بين كثير من علمائها، وقد تجري بين مركز وآخر من المراكز العلمية المنتشرة في ربوع المنطقة التواتية، ومرد ذلك إلى الاختلافات الفقهية بسبب التباين الجلي في الاجتهاد في الفتوى، وتفاوت التقدير والاستنباط المتعلق بالنوازل والمستجدات، ومن أشهرها ما يلي:

✓ محاورة بين الشيخ محمد بن أبّ وعلماء زاجلو منهم محمد بن أحمد العالم الزجلاوي ومحمد بن محمد العالم، وذلك حول قضاء دين الميت مما صولح عليه من دية العمد وهل تدخل فيه الوصية[2].

✓ محاورة بين علماء تنلان وعلماء تمنطيط موضوعها حول المريض مرضا مخوفا ومدى صحة ما أمر به من حبوس وحيازات[3].

✓ محاورة بن علماء ملوكة وزاجلو في مراجع الأحباس[4].

✓ محاورة بين علماء كوسام من توات الوسطى ومجموعة من علماء أقبلي من تيدكلت، حوتها أربع رسائل متبادلة بين الطرفين حول صحة الصلاة في الغار وتحت الهدم وبطلانها.[5]

✓ محاورة بين الشيخين عبد الرحمان الجنتوري وأبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني حيث جرى بينهما كلام طويل في نازلة متعلقة بثلث الوصية[1].

---

[1]- نفسه، ص 108.

[2]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج2،ص 99- 100.

3- نفسه، ص 86.

4- نفسه، ص 93.

5- نفسه، ص 101.

إن المتأمل في نصوص هذه المحاورات بين العلماء يلمح مدى حرصهم على التقيد بآداب المناظرة، ومدى تواضع بعضهم لبعض، رغم ما كان – في الوقت نفسه- من حرصهم على إفحام المناظر وإقناعه بالحجة والدليل، ومثال عبارات حسن الحوار كثيرة، لعل أبروها اصطحاب تسمية الطرف النظير بعبارات التقدير والدعاء القصير، والاعتراف بعلمه وفضله، وهذا كله نابع من يقينهم أن الأمر لا يعد على أن يكون مجرد اختلاف في الأفهام بخصوص ما تعلق بالفقه منها، فالبعض كان حريصا على النظر في أصول المسائل، بينما حرص البعض الآخر على النظر في خصوصيات النوازل.

وإن دلّت هذه المناظرات على شيء فهي تدل على أن أسلافنا لم يكونوا إمّعة في مناهجهم، غايتهم بيان الحق.[2]

ثالثا: **الرحلات التواتية:**

تعتبر الرحلة في طلب العلم مظهرا من مظاهر الحركة العلمية والنشاط الثقافي وهي أحد أهم الأسس التي يرتكز عليها طالب العلم لاكتساب ملكات جديدة، "فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم، وطرق توصل، وتنهض قواه إلى الرسوخ، والاستحكام في المكان، وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين، وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم... فالرحلة لابد منها في طلب العلم لإكساب الفوائد، والكمال بلقاء المشائخ ومباشرة الرجال"[3].

1- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 129.

2- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 2، ص 80.

3- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 614.

وعلى هذا الأساس جرت عادة العلماء في السير لأجل الاستزادة من العلم الموجود في بلده، وطلبا للعلم المفقود منه، وطلبا لعلو الأسانيد، كما أن الرحلة سبب في جلب أمهات الكتب وملأ خزائن المكتبات بنفائس المصنفات العلمية، وفيها تحصل الملاقاة بأعيان العلماء ونبهاء الطلبة، مما يرسخ المحبة، فيتراجع العلماء في القضايا لا على وجه التضاد بل على وجه التناصح والتحاور، وفيها يتعرف الطالب على اختلاف العادات وتنوع الأعراف، ويستفيد من مناهج العلماء في التعامل مع تلك الأعراف وهاتيك العادات، وتكسب الرحلة الطالب ملكة لتمييز قوي العلوم من ضعيفها، وما هو الأولى منها، وتعطيه قدرة على أنماط تعليمية لم تكن ببلده.

ولقد أدرك التواتيون كغيرهم من الجزائريين فوائد الرحلة، فشدوا الرحال لتقصيها وتحصيلها.

والظاهر أن كتابة الرحلات وتدوين المحطات أصبحت ظاهرة مألوفة طغت على مساهمات الجزائريين الثقافية عموما خاصة خلال القرن 12هـ، فكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وبذلك تكون رحلات حجازية وبعضها لطلب العلم، وبذلك تكون رحلات علمية.[1]

أ- الرحلات الحجازية:

يعتبر الحج مناسبة لالتقاء العلماء من مختلف الديار والمشارب، فهو بالنسبة لهم ولطلبة العلم رحلة دينية وعلمية يلتقي أثناءها كبار الشيوخ والفقهاء في المراكز التي يمرون بها، ويحضرون مجالسهم التعليمية لمدة قد تقصر أو تطول أخذا وعطاءً، وقد تمنح خلالها إجازات من هؤلاء العلماء للطلبة الذين يلتقون بهم في هذه المراكز العلمية، فيضيف الطالب سندا علميا جديدا إلى سنده أو إجازة أخرى إلى إجازته[2].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 2، ص 381.

2- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، السعودية،ص 11.

وقد يكون المتنقل في الرحلة شيخا علما يفيد المتنقلين معه في الحل والترحال، وقد يأخذ عنه كذلك من ينزل عندهم في طريقه كالذي حصل مع الشيخ عبد الرحمان بن عمر أثناء رحلته للحج التي شرع فيها رفقة ركاب الحجيج سنة 1188هـ/ 1774م، حيث يتحدث عن نزوله بقرية زويلة قاعدة فزان[1] في القديم قائلا:" اجتمع عليّ طلبتها مع طالب من الحمر يسألون عن مسائل، منهم من يسأل امتحانا ومنهم من يسأل مستفيدا"[2].

وقد كان أيضا بهذه الرحلة محطات علمية بين الشيخ عبد الرحمان بن عمر وبين الفقهاء الذين إلتقاهم في طريقه، وأثناء عودته من الحج ونزوله بالقاهرة يحكي قائلا:" وأقبل علي الفقهاء واعتقدوا فيّ ما لست له أهلا، يأتون أفواجا للدعاء ويقدمونني للصلاة إذا حضرت الصلاة"[3].

ونجد في فهرسة الشيخ عبد الرحمان أنه التقى بعالمين جليلين هما أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي (ت 1157هـ/ 1744م)[4] في زاوية أقبلي أثناء ذهابه إلى الحج، فطلب منه الإجازة، والشيخ أبو عبد الله الدرعي الذي التقى به في قصر زاجلو بعدما كان في ركب الحجيج لسنة

---

[1]- فزّان: هي منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية، معظمها أراضي صحراوية وتكثر بها الجبال الصخرية والمرتفعات والأنهار الجافة والواحات، يقول عنها ياقوت الحموي: فزّان بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون، ولاية واسعة بين الغيوم وطرابلس الغرب، بها نخل كثير ومدينتها زويلة السودان، والغالب على ألوان أهلها السواد، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج 4، ص 260، باب الفاء والزاي وما يليهما. وكذلك: عبد العزيز طريح شرف، جغرافيا ليبيا، ط 2، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1971، ص 232- 233.

[2]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، الرحلة الحجية، مخطوط بخزانة تنلان، أدرار، ص 10.

[3]- نفسه، ص 18.

[4]- أحمد ابن الحاج الأمين الغلاوي التواتي، شيخ ركب الحجيج من بلاد التكرور حتى يصل إلى توات، توفي بفزّان بليبيا عند رجوعه من حجته الأخيرة سنة 1157هـ، ينظر: البرتلي محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981، ص48.

1147هـ/ 1734م، وأخذ عنه الصحيحين والشفاء للقاضي عياض، والجامع الصغير وبعض المتون، وقد أجازه في كل ذلك[1].

وكان للشيخ أبي زيد عبد الرحمان الجنتوري أيضا رحلة إلى الحج، ورغم أنه لم يدوّنها إلا أنه كان يشير إليها من موضع إلى آخر في نوازله في معرض الحديث عمن لقيَهم من العلماء في الحجاز والمشرق عموما، والمسائل التي استكشفهم فيها[2]، حيث يشير أنه التقى الشيخ أبي نعامة القبلاوي في حجته الأولى فصحبه من مصر إلى عين صالح من بلاد تيدكلت، فأجازه وأثنى عليه".[3]

وباعتبار توات معبرا لركب الحجيج التكروري الذي كان يضم علماء أجلاء جلسوا للتدريس خلال فترات الراحلة وقد اغتنم طلبة توات تلك الفرصة للأخذ والاستزادة والحصول على الإجازات العلمية، وشراء الكتب ونسخها، كما حصل أثناء حج الشيخ أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب البرتلي(ت 1199هـ/ 1785م) وذلك سنة[4] 1151هـ/ 1744م، والذي أتى بخزانة نفيسة[5] من الكتب اقتناها من الحج ومن دون شك نسخ البعض منها في توات.

---

[1]- عبد الرحمان بن عمر التنلاني، المصدر السابق، ص 54- 55.

[2]- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 28.

[3]- عباس عبد الله، الدور الحضاري لاقليم توات، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين اقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، أدرار: 14- 15 أبريل 2009، ص 259.

[4]- البرتلي، المصدر السابق، ص 78.

[5]- جعفري مبارك، تنقل علماء توات، وتأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12ه/ 18م، الملتقى الوطني الرابع، جامعة أدرار، اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث 1500م- 2000، أدرار، 19- 20 أبريل 2010، ص 146.

ب- الرحلات العلمية:

يعرفها أبو القاسم سعد الله أنها تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيادة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا[1]، لذا نجد طلبة توات لما أدركوا هذه القيم السامية للرحلة العلمية شدوا الرحال لتحصيلها، فتنوعت بذلك رحلاتهم بين الداخلية نحو المراكز العلمية والخارجية نحو الحواضر العلمية الأخرى.

ومن أمثلة الرحلات والتنقلات الداخلية تلك التي قام بها الشيخ محمد بن أبّ المزمري حيث رحل من مسقط رأسه بأولف ليتتلمذ على الشيخ عمر بن محمد المصطفى الكنتي بزاوية كنتة، ثم رحل بعدها إلى تمنطيط ومكث بها كثيرا لأخذ العلم عن علمائها البكريين، ثم تحول للتدريس واستقر أخيرا بتيميمون[2]، وقد انتقل البكري بن عبد الكريم من بلدة تمنطيط إلى أوقرت ليتتلمذ على شيخها محمد بن علي الوقروتي،[3] وسافر عبد الرحمان الجنتوري مرات عديدة إلى مركز عين صالح.[4]

كما حلّ أحمد بن يوسف التنلاني بتمنطيط ليحضر مجلس الشيخ عبد الكريم بن أمحمد التواتي[5]، وانتقل الشيخ علي بن حنيني[6] (1703م) من بلدة زاجلو والى مجلس الشيخ علي

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2، ص 382- 383.

[2]- جعفري أحمد أبا الصافي، محمد بن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص 54.

[3]- بكري عبد الحميد، النبذة، مرجع سابق، ص 130.

[4]- عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 71.

[5]- مؤلف مجهول، تقييد نسب العائلة التنلانية، مصدر سابق، ص 01.

[6]- الشيخ علي بن حنيني الزجلاوي ولد خلال القرن 11هـ/ 17م، بقصر زاجلو بتوات الوسطى تعلم على يد الشيخ علي النحوي الوقروتي ثم رجع الى مسقط رأسه فاشتغل بالتدريس وبنى زاويته المشهورة التي توفي بها سنة 1115هـ/ 1703م. ينظر: هامي غيتاوي، المرجع السابق، ج 2، ص 7.

النحوي الأوقروتي بأوقرت، كما نزل محمد عبد الرحمان بن الجوزي[1] (ت 1148هـ/ 1735م) بتنلان قادما من تيميمون ليتتلمذ على الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، وقلده في تنقله هذا ابن بلده أحمد يوسف بن عبد الكريم الجوزي (ت 1251هـ/ 1835م).[2]

وقد رافق عبد الرحمان بن عمر التنيلاني شيخه عبد الرحمان الجنتوري من تينيلان الى جنتور فأخذ عنه هناك جملة من المنقول والمعقول.[3]

والمتتبع تراجم علماء توات يجد أن السواد الأعظم منهم تنقل بين المراكز العلمية حتى أصبح ذلك ديدنهم الذي يتتبعون به الشيوخ الأكفاء لحضور مجالسهم وان باعدت بينهم المسافات، وتطلب منهم ذلك قطع الفيافي.

هذا غيض من فيض عن تنقلات طلبة العلم التواتيين داخل منطقتهم توات، أما عن رحلاتهم الخارجية نحو الحواضر والأمصار العلمية الأخرى فهي كذلك كثيرة خاصة ما كان منها إلى الحواضر المجاورة كفاس وتمبكتو.

---

[1]- القاضي أمحمد عبد الرحمان بن الجوزي- الجد- ولد بقصر أولاد القاضي بتيميمون من أسرة مشهورة بالعلم وحفظ القرآن وأخذ العلم عن والده، ثم انتقل الى مجلس الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، وان كان أصغر منه سنا، ثم أسس مدرسة علمية في قصر عبد اللي بتيميمون واشتغل بالتدريس فتخرج عليه جماعة من أعيان العلماء منهم : الشيخ عبد الكريم الاغادي والشيخ أحمد العبدلاوي وأحمد الخضير الواجدي وغيرهم، تولى القضاء والإفتاء حتى توفي سنة 1148هـ/ 1735م، ينظر: عبد الرحمان الجوزي، المرجع السابق، ص 74.

[2]- الشيخ أحمد يوسف بن عبد الكريم الجوزي، ولد بقصر أولاد القاضي بتيميمون فأخذ مبادئ العلم عن والده ثم انتقل إلى مجالس الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني فقضى فيها أيامه مما أهله للتدريس في بلاده لما رجع إليها، ولي القضاء فسلك مسلك العدل والانصاف حتى وافته المنية بالمدينة المنورة سنة 1251هـ/ 1835م، ينظر: عبد الرحمان الجوزي، المرجع نفسه، ص 87.

[3]- محمد باي بلعالم، الغصن الداني ،مرجع سابق، ص 6 ومابعدها.

ونجد من أشهر هذه الرحلات العلمية، رحلة عمر بن عبد القادر التنلاني الذي رحل إلى فاس ولقي أكابر العلماء وجالسهم واستفاد منهم استفادة عظيمة، بل انه تمكن حتى أصبح من المفيدين بفاس، له حلقة درس بالمدرسة المصباحية، ثم انعقد له مجلس بجامع القرويين[1].

ومن الرحلات العلمية الشهيرة بالمنطقة، رحلة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني إلى سجلماسة قاصدا شيخه صالح بن محمد الغماري وقد مكث عنده حتى ختم القرآن كاملا، ورحلته إلى بلاد التكرور بمعية شيخه عمر بن محمد بن المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي (ت 1157هـ/ 1747م)[2] والتي دامت شهرا زار خلالها عدة أماكن في الساحل الإفريقي حيث نزل بتاودني[3] ومنها انتقل إلى أروان[4]، حيث التقى بالشيخ أحمد بن صالح السوقي التكروري، ومن أروان توجه إلى قرية المبروك و لم يلبث بها كثيرا فعاد إلى توات.[5]

ويذكر البرتلي شخصية تواتية كان لها صدا عميقا في منطقة التكرور وهو أبو القاسم التواتي إمام المسجد الجامع في تنبكتو.[6]

ومن الذين رحلوا إلى بلاد السودان الغربي، القاضي سالم العصنوني(ت 968هـ/ 1560م) الذي تنقل إلى هناك قائما بأمر الدعوة إلى الله وإرشاد الناس فأسلم على يديه خلائق لا تحصى ثم رجع إلى توات وولي خطة القضاء.[1]

---

[1]- عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ص 12.

[2]- باعثمان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 54- 55.

[3]- تاودني: قرية قامت حول سبخة الملح الشهيرة باسم تغازي، تبعد عن تمبكتو بعشرة أيام، مما أعطاها أهمية في التعاملات التجارية حيث شكلت همزة وصل بين بلاد المغرب وتنبكتو، ينظر: الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت(د.ت) ج 1، ص 87.

[4]- أروان: مدينة في بلاد التكرور، بينها وبين تنبكتو ثمانية مراحل إلى الشمال وتقع الآن ضمن النطاق الحدودي لجمهورية مالي، ينظر: أحمد بن بايكر الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكتو البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة، نيامي، النيجر، ص 08.

[5]- محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمان التنلاني، مرجع سابق، ص 24.

[6]- البرتلي، المصدر السابق، ص 97.

وزار تلك المنطقة كذلك الشيخ علي ابن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي الكنتي (ت 1194هـ/ 1780م) وقد تأثر به عدد كبير من التكروريين لغزارة علمه وتفقهه.[2]

أما الشيخ محمد بن اسماعيل الجراري (ت 1064هـ/ 1653م) فقد تنقل إلى المشرق حيث التقى في مصر بالأكابر فأخذ عنهم كالشيخ اللقاني، وتذكر المصادر أنه ذهب إلى العراق فقصد ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني فلقي وزير السلطان العثماني[3] معزولا من الوزارة خائفا من عائلة السلطان، فطلب منه الدعاء لما وسم فيه سمات الصلاح فدعا له وكان من قدر الله أن رجع هذا الوزير إلى الوزارة وسافر الشيخ الجراري إلى اسطنبول فاجتمع به، فأكرمه الوزير وأعطاه خزانة عظيمة من الكتب نقلها إلى مسقط رأسه فاستفاد وأفاد[4].

أما القاضي البكري بن عبد الكريم الأمريني (ت 1133هـ/ 1720م) فقد شد الرحال إلى مراكز العلم ومواطن العلماء، فزار مراكش وفاس، وأقام بالجزائر العاصمة عند شيخه سعيد قدورة الجزائري مفيدا ومستفيدا حتى توفي هذا الأخير، ولقي في طريق الحج الأكابر فأجاز واستجاز بتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام والعراق والحرمين[5].

ومن الذي رحلوا في طلب العلم أيضا: الشيخ محمد بن أبّ المزمري، الذي رحل إلى فاس وسجلماسة بالمغرب ودرس في الأخيرة على يد الشيخ أبو اسحاق سيدي ابراهيم، كما زار تمبكتو وأروان بأرض السودان[6]، والشيخ أحمد زروق بن صابر البوداوي الجعفري الذي درس في فاس[7]، أما الشيخ الشاذلي بن عمر بن عبد القادر التنلاني فقد تنقل في طلب العلم إلى فاس،

---

[1]- محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، ص 20.

[2]- البرتلي، المصدر نفسه، ص 200- 201.

[3]- لم يتسنّ لي معرفة ذلك الوزير ولعله كان في عهد السلطان مراد الرابع الذي حكم مابين 1623م- 1640م.

4- محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، نسخة المطارفة، ص 09.

5- عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص 119.

6-أحمد جعفري أبا الصافي، محمد بن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص 64.

7- عبد القادر بن عمر التنلاني، المصدر السابق، ص 05.

وتوفي بها عام 1173هـ/ 1759م، ومثله الشيخ محمد بن عبد الرحمان أبي زيان التنلاني الذي توفي بها عام 1181هـ/ 1767م.[1]

ونجد في ترجمة القاضي أمحمد عبد الله بن عبد الكريم التزدايتي الجراري (ت 1035هـ/ 1625م)، أنه رحل إلى فاس وتلمسان وفجيج فأخذ العلم عن الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي المعروف بسيدي الشيخ، وجمعته الرضاعة العلمية بالشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، والشيخ محمد بن عبد الجبار الفجيجي، وحصل له احتكاك بأعلام الزوايا هناك بالمغرب.[2]

أما القاضي عبد الكريم الأمريني (ت 1042هـ/ 1632م) فقد رحل في طلب العلم فلقي العلماء بالصحراء الكبرى والمشرق والمغرب، فأخذ العلم عنهم كالشيخ أحمد بابا التنبكتي، والشيخ محمد عبد الحاكم ابن عبد الكريم الجراري، والشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة الجزائري، والشيخ عبد الرحمان ابن علي السجلماسي، والشيخ أحمد بن بومعزى، والشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، والشيخ علي الأجهوري المصري، والشيخ أحمد المقري التلمساني نزيل القاهرة وغيرهم.[3]

ومن الحاضرين حلقات العلم بفاس، الشيخ أمحمد بن أبي محمد الأمريني (ت 1008هـ/ 1599م) الذي انتقل من تمنطيط ليأخذ الفقه عن الشيخ المنجور والنحو عن أبي عبد الله محمد بن مجير، والقراءات عن محمد العدي، والحساب والهندسة عن يعقوب البدري، واستفاد من غيرهم من علماء فاس، ومن كان يزورها من أعلام الحواضر القريبة.[4]

1- نفسه، ص 04.

2- عبد الرحمان الجوزي، المرجع السابق، ص 19.

3- عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ص 03.

4- عبد الكريم بن امحمد التواتي، المصدر السابق، ص 01.

وارتحل الشيخ محمد بلعالم الزجلاوي الى بلاد التكرور، حيث مارس مهنة التدريس والإفتاء كما زار مناطق عدة في تلك البلاد فأفاد واستفاد.[1]

والجدير بالذكر أن جلّ هذه الرحلات التي قام بها الشيوخ وطلبة العلم التواتيون لم تدون حيثياتها ولم تفرد لها صفحات خاصة، فكانت بذلك كتب الرحلات قليلة مقارنة بعدد الرحلات التي استقيناها من تراجم هؤلاء الأعلام.

ولعل هذا الوضع لا يقتصر على رحلات التواتيين فقط فقد شمل كل الرحلات الجزائرية في ذلك العصر، حيث يؤكد أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين بالقياس إلى كتّاب الرحلات المغاربة، كانوا قليلي الإنتاج، ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم، فلو رجع عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وأحمد المقري وأحمد عمار وأضرابهم لكتبوا رحلاتهم ولكنهم لم يفعلوا[2].

وفي هذا السياق أقول لولا لطف الله بوجود رفقة مع الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني صاحب الرحلة الشهيرة، والذي توفي بالقاهرة في رحلة العودة من الحج، لما وصلتنا رحلته الحجازية التي تعتبر من الرحلات الرائدة بامتياز وذلك أنه سجل في ثناياها كل ما ارتبط بمحطاتها ضبطا ووصفا، وما أحاط بمجرياتها من لقاءات ومحاورات علمية، إضافة إلى حديثه عن المزارات التاريخية في توات وفزّان وطرابلس ومصر والحجاز وغيرها، وذكر الوقائع والمواقف الحرجة التي تعرض لها الركب في غدوه ورواحه، والمظهر الجغرافي المتمثل في استذكار الجبال والوهاد والبسائط والوديان والدروب التي مرت بها القافلة منذ انطلاقها من قصر تنلان، والوجه

[1]- جعفري أحمد أبا الصافي، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12- 13هـ، رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة تلمسان، 2007، ص 321.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2، ص 381، 382.

الثقافي الذي جسدته الإشارة إلى بعض الشخصيات التي صادفها التنلاني في طريقه أو نزل عندها، وقد ساهم زمن الرحلة الذي تجاوز نصف السنة في إثراء جوانبها.

وخلاصة ما تقدم أن للرحلة أثر على الحياة العلمية بالمنطقة، فقد طورت من مناهجها وأساليبها الدراسية، ووسعت من علاقات علماء المنطقة بأعلام الحواضر الأخرى، وأمدت المنطقة بكمّ هائل من نفائس أمهات وذخائر الكتب، ووصلت علومهم بأسانيد ومرجعيات راسخة عن ثقات الأمة ورجالها.

الفصل الثاني: العلاقات العلمية بين الجنوب الجزائري والمناطق والبلدان الأخرى

رغم وقوع المنطقة التواتية في أقاصي الصحراء، وتعدد المعيقات الطبيعية التي تعرقل مسيرة قاصديها، فإن ذلك لم يحل دون تفاعلها مع محيطها الخارجي، فانبعث اسمها واشتهر رسمها بين المناطق والأقاليم الشمالية والجنوبية، وتبوّأت بذلك مكانة بين الحواضر السائدة في الفترة الحديثة، وربطت علاقات ثقافية شاملة تأثيرا وتأثرا، شكلت على مر العقود شبكة واسعة من التقارب والتواصل العلمي.

والحديث عن العلاقات العلمية التي ربطت توات بالحواضر العلمية الأخرى، ورصد ظاهرتي التأثير والتأثر، في مجمله يجرّنا إلى استظهار العوامل المختلفة التي ساهمت في بناء هذه العلاقات وتطوراتها ولعل أهمها:

أ. الموقع الاستراتيجي:

حيث تعتبر توات همزة وصل مابين الشمال والجنوب حيث تمر بها الكثير من طرق القوافل التجارية وركب الحجيج والمسافرين، و لم تكن هذه القوافل بمنأى عن الاحتكاك العلمي، وخلق ظاهرتي التأثير والتأثر، مما ولّد علاقات علمية انعكست إيجابيا على الحركة العلمية والفكرية بتوات.

ب. الرحلات:

كان للرحلات التي قام بها التواتيون سواء كانت علمية أو حجية أو طلبا للرزق أثر بالغ في نسج علاقات مختلفة مع كثير من البلدان والشعوب وتعريفهم بالمنطقة وبالمسالك المؤدية إليها وكذلك بعلومها وأعلامها.

ت. الزوايا والمؤسسات التعليمية:

إن تعدّد وظائف الزوايا تعليم وإطعام وإيواء جعل طلبة العلم وعابري السبيل يقصدونها من كل جهة فساهم ذلك في تعرفهم على المنطقة، فكانوا بمثابة همزة الوصل بين مناطقهم المختلفة وتوات، هذا إضافة إلى الدور التي مارسته الزوايا الصوفية بطرقها المختلفة.

ث. الوحدة المذهبية:

إن عموم المذهب الملكي في بلاد المغرب الإسلامي بما فيه توات، ساعد على تبادل الآراء في القضايا والنوازل الفقهية بين أهل توات والحواضر الأخرى ومثال ذلك نازلة اليهود – السالفة الذكر– التي وصل صداها إلى تونس والجزائر العاصمة وتلمسان وفاس، إضافة إلى أن الوحدة الدينية والمذهبية سهّلت على بعض أعلام توات في رحلاتهم تبوأ مقاعد للتدريس والإفتاء، كلها أسباب مهدت لهم توطيد الصلة مع مختلف الشعوب.

ج. تقارب مناهج التعليم والثقافة:

فإلى جانب الوحدة المذهبية نجد طرق التدريس ومناهج التلقي بين توات والحواضر الإسلامية خاصة منها المجاورة متشابهة ومتكاملة، مما يسهل على الوافدين على المنطقة الاستيعاب في حلقاتها العلمية والفائدة نفسها بالنسبة للطلبة التواتيين عند تنقلهم إلى الحواضر العلمية الأخرى، والأمر هذا شجع كذلك العلماء والشيوخ على عقد مجالس علمية لهم خارج بلدانهم.

ح. تقارب العادات والتقاليد:

وذلك عن طريق التداخل العائلي والتواصل الاجتماعي، وهكذا نلاحظ تشابها كبيرا بين أهل توات من جهة وأهل فاس ومالي من جهة أخرى خاصة فيما يتعلق بأساليب الحياة

الاقتصادية والحرَف والصناعات وغيرها من أساليب إقامة الأفراح والمناسبات، مما يشجع الطلبة والعلماء على التنقل أو الاستقرار مساهمين بذلك في تفعيل حركية المعاملات والعلاقات المختلفة بما فيها العلمية والفكرية.

وفي محاولة منا لِتبيان تلك العلاقات العلمية سنركز على العنصر الفاعل فيها وهو المشائخ والعلماء الذين صنعوها وجسدوها على أرض الواقع، إضافة إلى إبراز القضايا والمسائل التي ساهمت بدورها في خلق جو التواصل الثقافي، وأيضا إظهار طبيعة هذه العلاقات.

والمتأمل في هذه الروابط الثقافية والعلاقات العلمية يمكن له تصنيفها إلى صنفين اثنين، الأول منها يشمل العلاقات العلمية الداخلية والمقصود بها تلك العلاقات التي أقامتها حاضرة توات مع الحواضر العلمية الأخرى داخل الجزائر كحاضرة تلمسان وقسنطينة والجزائر العاصمة، أما الصنف الثاني فهو يشمل العلاقات العلمية الخارجية التي نعني بها علاقات المنطقة التواتية مع الحواضر العلمية خارج القطر الجزائري كحاضرة فاس وسجلماسة وتنبكتو وتونس والقاهرة واسطنبول وغيرهم.

أولاً: العلاقات العلمية بين حاضرة توات والحواضر العلمية الجزائرية الأخرى

أ- العلاقات مع حاضرة تلمسان:

مثّلت تلمسان المرجعية الفقهية الثانية بالنسبة لعلماء توات بعد نظيرتها المغربية فاس، إذا ما تعلق الأمر بالمسائل المختلف فيها.

وترجع جذور تلك العلاقات الثقافية المسجلة بين الحاضرتين إلى نزوح العديد من الأسر والعلماء إلى توات بسبب الاضطرابات التي عرفتها الدولة الزيانية في أواخر عهودها وتغلب الأسبان على تلمسان، وجدير بالذكر أن معظم تلك العوائل التلمسانية قد استقرت في قصور

تيكورارين وتوزعت على قراها[1]، مما كان له الأثر الطيب في تدعيم العلوم المحلية ونشر العربية وآدابها، وبعث النشاط الثقافي والصوفي بهذه المنطقة.

وإذا ما حاولنا رصد نماذج عن العلاقات العلمية بين تلمسان وتوات ستأخذنا المصادر التاريخية إلى الجذور الأولى لتلك العلاقات الثقافية بين الحاضرتين، حيث تشير إلى انخراط تلمسان في الخلاف الفقهي المتولد عن قضية يهود توات، من خلال خوض علمائها وقضاتها فيه، وعلى رأسهم مفتي تلمسان أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري (ت 899هـ/ 1494م)، والقاضي أبو زكريا يحي بن أبي البركات الغماري التلمساني(ت 910هـ/ 1504م)، فقد كانا ممن عارضوا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني منشأ ودارا، التواتي مستقرا ومزارا، في موقفه من يهود توات[2]، معضدين بذلك رأي القاضي التواتي عبد الله العصنوني.

كما أن العديد من الدور التلمسانية العريقة والمشهورة بالعلم فضلت الهجرة إلى توات نتيجة الكرم والمكانة التي كان أهل توات يمنحونها لهم احتفاءً بهم، إذ لم يجدوا منهم حرجا في تولي منصب القاضي الذي يعتبر المنصب الأعلى في المنطقة في ذلك الوقت، إذ هو هرم السلطة، وكانت لمن يتولاه مكانة كبيرة عند عموم السكان، كما يتمتع باحترام الجميع[3]، ومثال ذلك ما حصل مع القاضي عبد الله العصنوني الذي جاء من تلمسان إلى توات رفقة أخيه محمد سنة 862هـ/ 1457م، أو 863هـ/ 1458م، فولّته الجماعة التواتية خطة القضاء فسار فيها سيرة حسنة مما أهّل من جاؤوا بعده من عائلته لتولي ذاك المنصب كابن أخيه القاضي سالم

[1] – رشيد بليل، المرجع السابق، ص 68.

[2] – ابن أبي مريم التلمساني، المصدر السابق، ص254.

[3] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 45.

العصنوني (ت 968هـ/ 1560م)[1]، حتى غدت أسرهم تعرف إلى زمن ليس ببعيد بعائلة أولاد القاضي.

ولم تكن العلاقات بين الحاضرتين توات وتلمسان تتوقف عن هجرة الأسر والعلماء من تلمسان نحو توات، بل كان العكس كذلك إذ ارتحل العديد من طلبة العلم إلى تلمسان لأخذ العلم عن علمائها وحضور مجالسهم كما فعل أمحمد عبد الله الجراري (ت 1035هـ/ 1625م).[2]

ب- مع الجزائر العاصمة:

احتلت مدينة الجزائر مكانة الصدارة في مدن المغرب الأوسط في العهد العثماني، وانتزعت الأهمية التي كانت لتلمسان وبجاية في القرن 10هـ/ 16م، كما وصل نفوذها وسلطانها إلى الجهات الثلاثة المسكونة بالجزائر الشرق والغرب و الجنوب لموقعها الاستراتيجي[3]، مما أهلها لأن تكون من المدن الدولية المعروفة آنذاك بثقلها الثقافي بحيث حملت في طياتها مختلف الفنون الثقافية التي انعكست على الحياة اليومية للفرد الجزائري.[4]

وقد وصف أبو عبد الله محمد بن القاسم بن زكور علماءَ مدينة الجزائر العاصمة الذين أخذ عنهم العلم وأجازوه سنة 1094هـ/ 1686م، بقوله:"... غرار أعلام، ينجلي بهم الظلام، وشموس أئمة، تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال كالجبال، أخيار كالأقمار... فاهتديت بأنوارهم السنية"، حيث يعترف بجميع هؤلاء العلماء فيقول في حقهم بيتا شعريا جميلا:

---

[1] – قزان زهير، حاضرة توات المالكية أعلامها نوازلها وخصائصها، مذكرة ماجستير، إشراف محمد حوتية، جامعة أدرار، قسم الشريعة، تخصص فقه مالكي، السنة الجامعية 2010-2011، ص 34-35.

[2] – عبد الرحمان الجوزي، المرجع السابق، ص 19 وما بعدها.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 164

[4] - Raymond, A ,Grands ville Arabes à L'époque Ottomane,paris 1985 ;p 135

لو لم يزد إحسانهم وجميلة *** على البر من أهلي حسبتهم أهلي[1]

ويضيف عبد الرحمان الجامعي قولا عن مدينة الجزائر:" فهي بحمد الله إلى الآن دار الجوهر الفرد في الآداب، وعلم العقل، وتنبت العلماء الصالحين كما تنبت السماء البقل... هذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة".[2]

هذه الأوصاف التي حظيت بها مدينة الجزائر وعلمائها، شوّقت طلبة العلم من شتى الأقطار لزيارتها وطيّ الرّكب أمام علمائها، بقصد التعلم والحصول على إجازات، فنجد من طلبة توات من الذين تميزوا وحاذوا هاته الرتب، عبد الكريم بن محمد الذي قصد العاصمة ليتتلمذ عند الشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة الجزائري، الذي وصفه في رحلته المدونة بأحسن الأوصاف وأثنى عليه الثناء الحسن، وحصل منه على إجازة، والأمر نفسه حصل مع ابنه البكري بن عبد الكريم الذي حلّ بالعاصمة ليتتلمذ على الشيخ نفسه الذي تتلمذ عليه أبيه من قبل، وذلك بدعوة من الشيخ سعيد قدورة الذي منحه الإجازة كما منحها لأبيه من قبله.[3]

وقد مثّل تنقل الشيخ سعيد قدورة إلى حاضرة بني عباس بأرض الساورة المجاورة لبلاد توات، فرصة للطلبة التواتيين لحضور مجالسه العلمية، و لم يدّخر الشيخ قدورة بدوره جهدا في تعليمهم، ومن ذلك ما أقرّ به لتلميذه الذي إلتقاه هناك ببني عباس" عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي"(ت 1042هـ/ 1633م) قائلا له:" لا أدّخر عنك ما في الصدور، ولا ما في السطور، فمتى أردت شيئا من كتبي نخرجه لك تطالع فيه"، فعظُم ذلك عند الشيخ عبد الكريم

[1]- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 52- 53.

[2]- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 198.

[3]- عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 57.

بن أحمد فتراجع عن فكرة التوجه إلى تلمسان التي كان ينوي الذهاب إليها، ولازم الشيخ السعيد قدورة الجزائري وأخذ عنه علما واسعا.[1]

وقد حصل القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني على قيد يثبت نسبه الكريم موقّع من قبل قاضي مدينة الجزائر الشيخ عبد الله أبو عبد الله علي.[2]

كما ارتحل الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التنلاني إلى الجزائر العاصمة ليجتمع هناك بقاضي المالكية الشيخ الحسن بن القاضي الحاج مصطفى الجزائري أصلا ودارا، ويلتقي كذلك بشيخ القراء بالجزائر عبد السلام الجبلي المغربي.[3]

ت. مع قسنطينة:

اكتسبت مدينة قسنطينة مكانة بين مصاف كبريات المدن في الجزائر خلال العهد العثماني، كونها عاصمة بايلك الشرق، وحُكمِها شبه المستقل عن السلطة المركزية، إلى جانب أنها من أكبر المدن من حيث المساحة والسكان، وتركيبتها السكانية لا تختلف عن تركيبة الجزائر العاصمة، زد على ذلك كونها مدينة داخلية محصنة طبيعيا، وقريبة من تونس.[4]

أما مرتبتها الثانية في الجزائر ترجع إلى كون مدينة وهران كانت طوال مدة الوجود العثماني تحت سيطرة الإسبان إلى غاية تحريرها عام 1206هـ/1792م من طرف الباي محمد الكبير، في الوقت الذي لم يبق لمدينة تلمسان شيئا يذكر بسبب ضعفها خلال العهد العثماني.

أما عن الحياة العلمية فيها فقد كانت كما يذكر Paul Gaffarel : " كانت قسنطينة على عهد الأتراك عاصمة دينية، وكانت فئة العلماء تتمتع بها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام،

---

[1] – عبد الكريم بن احمد التمنطيطي، المصدر السابق، ص 96- 106.

[2] – عبد الحميد بكري، المرجع نفسه، ص 57.

[3] – عبد الرحمان بن إدريس التنلاني، الرحلة، مصدر سابق، ص 08 وما بعدها

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 170.

كما أنها كانت عاصمة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمسة وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية ... حقاً كانت مبعث نور الجزائر، كما كانت تُشرّفُ العلماء وتُقدّرهم حق قدرهم".[1]

هذه المكانة التي كان يحظى بها العلماء في قسنطينة هي التي دفعت بأشهر أعلام توات في النحو وهو محمد بن مزيان التواتي (1031هـ/1622م)، والملقب بسيبويه بلاد المغرب، إلى الانتصاب للتدريس بإحدى جوامع قسنطينة، ويصف تلميذه عبد الكريم الفكون تلك المكانة التي نالها الشيخ التواتي قائلاً: " ... فتراه في مجلسه كالأسد وأصحابه الأشبال، وهو بينهم له زئير في علم النحو... فأعطى العلمَ حقه، والشيخوخةَ منصبها".[2]

ويذكر أبو القاسم سعد الله، أن محمد التواتي قد أثّر في ثقافة القسنطينيين اللغوية، والنحوية؛ حيث قال:"... محمد التواتي، فقد حلّ هذا الشيخ بقسنطينة أوائل القرن الحادي عشر، وكان قد تخرّج من فاس، واشتهر بها في النحو، حتى كان يلقب بسيبويه زمانه، وجلس في قسنطينة للتدريس فترة طويلة، وورد عليه الطلاب من زواوة، وعنابة، والزيبان، ونقاوس، ونحوها، ومن أبرز تلاميذه محمد بن راشد، الذي جاء من زواوة ليدرس عليه"[3].

وفي موقع آخر، يقول صاحب تاريخ الجزائر الثقافي: "وتظهر أهمية التواتي، وابن راشد في تخريج أحد كبار النحاة الجزائريين؛ وهو عبد الكريم الفكون، فقد درس الفكون أيضا على التواتي علم النحو، وتأثر به كثيرا".[4]

1- Paul Gaffarel, L'Algérie, Imprimerie de l'institut, Paris 1883, P : 123.

[2] - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 107

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، الرجع السابق ، ج2 ، ص158.

4 - نفسه ،ج 2، ص159.

و لم تقتصر علاقات توات العلمية على الحواضر الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان، بل كانت لها علاقات مع حواضر أخرى كتقرت ووارجلان والأهقار وغيرهم، حيث تنقل لنا المصادر أن الشيخ محمد الصالح بن سيد البكري (1139هـ/1727م) انتقل إلى تقرت بعد أن تفقه ببلده بتمنطيط، وهناك في تقرت أسّس مجلسا علميا، واختص بتدريس كتاب الأحياء للإمام الغزالي في إحدى جوامع البلدة،[1] وبقي مشتغلا هناك بالتدريس إلى أن وافته المنية سنة 1139هـ/1127م.[2]

وقد قصد القاضي البكري بن عبد الكريم الأمريني كذلك تقرت، وانبرى للتدريس بها مدة ثلاثين سنة، كان فيها كثير الاجتهاد، له اليد الطولى في كل فن من فنون العلم، فصيح اللسان، رحب الجنان، طويل الباع في النوازل، مداوم الإطلاع في الفروع والمسائل.[3]

ولما توفي أخوه القاضي محمد بن عبد الكريم، رجع إلى موطنه تمنطيط، بعد أن ازداد إلحاح الأهل والخلان على الرجوع إليهم.

وغير بعيد عن تقرت كان الشيخ محمد عبد القادر بالعالم القبلاوي[4] قد حلّ بورقلة، واجتهد في نشر العلم بها، والأمر نفسه قام به الشيخ محمد عبد الرحمان بن محمد السكوتي.[1]

---

1 - محمد العالم بكراوي، الدرة البهية، مصدر سابق، ص 71.

2- محمد بن عبد الكريم، الكواكب البرية، مصدر سابق، ص 47.

3- محمد بن عبد الكريم، نفسه، ص 01.

4 - **محمد عبد القادر بالعالم القبلاوي:** ولد بالساهل عام 1298هـ، حفظ القرآن بمسقط رأسه، أخذ عن جده الشيخ المختار بن الشيخ أحمد العالم، والشيخ حمزة القبلاوي، والشيخ السكوتي، فتضلع في الفقه والنحو والفرائض والعروض، له العديد من القصائد الشعرية في الوعظ، والنصائح والعقيدة والتوسل والمديح، رحل إلى عين صالح وتوات الوسطى وورقلة، ودرّس بها ومن تلامذته: الحاج أحمد بن محمد بن الحسن بن مالك، وصنوه الحاج أحمد ومحمد بن عبد القادر الفلاني، وغيرهم من برامكة أولف، توفي يوم 05 ربيع الثاني عام 1372هـ بساهل. ينظر: الصديق حاج أحمد: الدراسات اللغوية بتوات من بداية القرن 12هـ إلى غاية القرن 14هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في

أما عن علاقة توات بالهقار فقد كان الفضل في وصل حلقاتها إلى شرفاء زاوية مولاي هيبة، لاسيما الشيخ عبد الرحمان الهيباوي، كما اجتهد الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بن محمد بن مالك الفلاني في نشر العلم بالهقار.[2]

كما اشتهر الشيخ أمحمد التواتي بحاضرة بجاية التي طاب له المقام بها، فاستقر هناك وأسس زاويته المشهورة ببجاية في القرن التاسع الهجري (15م)،[3] ومن هناك رفع القلم للجهاد ضد الإسبان المحتلين للسواحل الجزائرية، حيث جاء في قصيدة[4] له يستنهض بها أهل وهران للدفاع عن مدينتهم وتحريرها من الغزو الإسباني:

يا أهل وهران انظروا شفقة *** لبلدتكم من قبل أن تردت

وقبل مجيء المنشآت ببحرها *** وأي قلوب عنها مستقرة

ولا تكلُوها غيرَكم ولئن يكن *** فما غائب مثل القيام ببلدة

اللغة العربية، إشراف: الطاهر مشري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 334. أيضا الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي، المرجع السابق، ص 183.

[1] - **محمد عبد الرحمان السكوتي الملايخافي :** ولد بالساهل عام 1285هـ، نشأ بمسقط رأسه، فتربى يتيما، فتلقى مبادئ العلوم, على علماء ساهل، ثم انخرط في حلقة خاله حمزة الفلاني, فتتلمذ عليه، ونهل من علومه، حتى تبحر في العلوم، تتلمذ عليه الحاج محمد بن الحاج عيسى, عالم ورقلة ومفتيها، وبريقش بن الجيلالي بن إبراهيم الورقلي، والحاج علي بن إبراهيم الورقلي، قام بجهود تعليمية، وإصلاحية كبيرة بمنطقة ورقلة، حيث تصدّر للتدريس هناك, بعد تخرجه من حلقة خاله حمزة الفلاني بساهل، لقد ألّف العديد من المؤلفات, منها, كتاب في علم المنطق، وأرجوزة في علم الفرائض سماها جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب، كما خلّف قصيدة ردّ فيها على من ينكر التجويد, وعلم القراءات، توفي في مكان يدعى ينبوع النخيل بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، عام 1333هـ، بعد أن أدى فريضة الحج. ينظر: محمد باي بلعالم، قبيلة الفلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعارف والمآثر، دار هومة، الجزائر، 2004، ص16.

[2] - الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مرجع سابق، ص213.

[3] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار الغرب، بيروت، 1990، ج1، ص 173.

[4] - الربعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ج1، ص 183-184. أيضا: مؤلف مجهول، شرح أرجوزة فتوح وهران، المكتبة الوطنية تونس، تحت رقم: 08671.

وإن ضاع مرساكم فإن ضياعه *** ضياعُ بلاد الله شرقا وقبلة

ولا يحم مرساكم ضعاف رجالكم *** ولا البدوُ بل تحميه أهل الجزيرة

أإخواننا في الله ألقوا مسامعا *** ولا تهملوا ما أبرزنه قريحتي.

ثانياً: العلاقات العلمية بين حاضرة توات والحواضر العلمية غير الجزائرية

تعتبر حركة التجارة والشغف بالتعلم عاملان أساسيان في فتح أبواب التعامل بين الشعوب الإفريقية، ومن ثمة أثرهما المباشر على العلاقات العلمية بين هذه الشعوب، حيث زاد نشاط التجار الفقهاء، وراجت تجارة الكتب رغم وقوع بعض المناطق في أقاصي الصحراء حيث تكثر المعيقات الطبيعية التي تعرقل مسيرة قاصديها، ومثال ذلك منطقة توات التي رغم موقعها البعيد عن عواصم الدول وحواضر العلم الكبرى القائمة في العصر الحديث، إلاّ أن ذلك يحُلْ دون تفاعلها مع المحيط الخارجي، فانبعث اسمُها، واشتهر رسمُها بين تلك الحواضر العلمية السائدة آنذاك، واستطاعت بفضل علمائها وموقعها على نقطة تقاطع طريقي القوافل التجارية شمالا وجنوبا مع خط قوافل الحجيج شرقا وغربا، أنْ تشكل شبكة واسعة من التقارب والتواصل العلمي.

ونظرا للموقع الإستراتيجي لمنطقة توات، بحكم كونها همزة وصل بين الشمال والجنوب، فقد حرصت القوافل التجارية، ومواكب الحجاج، والمسافرين المارين بها، التوقف بأسواقها، قصد التزود بما تحتاجه إليه من المؤن والماء، فضلا عن التبادلات التجارية، التي كانت توفرها تلك الأسواق التواتية للحجاج، والمسافرين.[1]

فقد كانت تمنطيط مركزا تجاريا بحكم توسطها الطريق الجنوبي، القادم من سجلماسة، والعائد إليها من تمبكتو، وصحراء التكرور، كما كانت تأتيها القوافل التجارية من الطريق

[1] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص78.

الشرقي، والذي ينطلق من طرابلس، ليمر ببجاية، والمنيعة، ثم تمنطيط ليصل أخيرا إلى السودان الغربي1.

كما كانت هناك طرق تجارية أخرى تمرعلى توات، منها الطريق الوسط الشمالي، الذي ينطلق من توات، ليمر على واد الناموس، وعين الصفراء، والمشرية، وسعيدة، ليصل إلى مناطق الوسط من الشمال2.

والطريق الغربي الذي يتبع مجرى واد الساورة، وتسلكه القوافل التجارية المتجهة نحو سجلماسة، ومراكش، وفاس3.

وترتبط توات كذلك بأسواق السودان الغربي عن طريق خط عين صالح، وأقبلي، المتجه نحو تمبكتو، المار بقصر المبروك، وأروان.4

هذا فضلا عن استعمال تلك الطرق التجارية، من طرف مواكب الحجاج، والمسافرين لمقاصد مختلفة.5

و لم تكن هذه القوافل التجارية، ومواكب الحجاج بمنأى عن الاحتكاك العلمي، وخلق ظاهرة التأثر، والتأثير، مما انعكس إيجابا على الحركة العلمية، والحضارية بمنطقة توات.

والدارس للعلاقات العلمية التي ربطت توات بالحواضر العلمية الأخرى يلحظ أن هناك عاملان أساسيان أثّرا في هذه العلاقات ازدهارا وركودا، وهما عاملا المسافة والازدهار العلمي، فقد كانت أمتن علاقات توات هي تلك التي ربطتها مع الحواضر التي جمعت بين الجوار – وإن

---

[1] ــ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، المرجع السابق ، ص71.

[2] ــ مبروك مقدم، الرحلات بإقليم توات، المرجع السابق، ص26.

[3] ــ فرج محمود فرج، المرجع نفسه، ص78.

[4] ــ مبروك مقدم، الرحلات بإقليم توات، المرجع نفسه، ص26.

[5] ــ المرجع نفسه ، ص27.

كان بعيدا- وبين الإزدهار العلمي، كسجلماسة وفاس وتمبكتو، بينما تبقى الحواضر الأخرى البعيدة —حتى ولو كانت مزدهرة علميا- تربطها بتوات علاقات فردية غالبا ما يجسدها عالِم واحد أو أكثر بقليل، في مراحل منفصلة، ومثال ذلك اسطنبول وبلاد الشام وغيرهما.

ومن خلال المصادر التي اهتمت بالحياة الفكرية بالمنطقة نجد رصيدا هاما لجوانب من ذلك التواصل، الذي طبع علاقات توات مع الحواضر التالية:

أ. العلاقات العلمية بين توات وحواضر المغرب الأقصى:

1.مع حاضرة فاس[1]: تعتبر فاس العاصمة العلمية ومركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأقصى، لذا اتخذها التواتيون وجهتهم العلمية الأولى، فشدوا الرحال للتعلم في مدارسها وجوامعها كالمدرسة المصباحية[2] وجامع القرويين[3] الذي تعاظم إشعاعه الفكري والحضاري رغم تداعي الدول قياماً وسقوطاً، فارتسمت بذلك معالم العلاقات الثقافية بعد أن كانت مجرد هجرات تحمل طابع اجتماعي بحثا عن الرزق أو الأمن بين الحاضرتين.

---

[1] - **فاس:** أهم مدن المغرب الأقصى ، أسسها السلطان إدريس الثاني بن إدريس الأكبر سنة 192هـ /808م بعد أن ضاقت مدينة وليلي عاصمة الأدارسة الأولى بسكانها، وهي مدينتان : عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين . وقد تصاعدت عمارتها وتفجرت عيونها واستمر إشعاعها زمنا طويلا ، خاصة بعد تأسيس جامع القرويين . أما اسمها قليل بسبب حمل السلطان إدريس فأسا يبدأ به الحفر ويختط به الأساسات، وقيل بسبب العثور على فأس كبيرة أثناء الحفر، وقيل بتغيير وقلب اسم مدينة قديمة كانت هناك منذ ألف سنة واسمها ساف. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت : دار صادر ، 1977م ، ج04 ، ص 230 ، أيضا: علي الجزناتي ، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب ابن منصور ، ط 2 ، الرباط : المطبعة الملكية، 1991م ، ص23 .

[2] - **المدرسة المصباحية:** بناها السلطان ابو الحسن المريني، سميت نسبة إلى أبي الضياء مصباح أول من درّس بها، ينظر: محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحاذاة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية الجزائرية، نحت رقم: 95، ج1، ص56.

[3] - **جامع القرويين:** تم بناؤه من طرف السيدة أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني ، بمالها الخاص الذي ورثته عن والدها بدءا من شهر رمضان سنة245هـ /859م ، في عهد السلطان يحي بن محمد بن إدريس ، ثم صلت فيه شكرا لله تعالى الذي وفقها لذالك . ومع اتساع مدينة فاس أقيمت فيه الخطبة ، وصنع له منبر من خشب الصنوبر ، وكان أول من خطب فيه الشيخ عبد الله بن علي الفارسي. ينظر : علي الجزناتي ، المصدر السابق ، ص46 .

وقد كان لوقوع توات على محور الحج المغربي دور مهم في صنع وتمتين العلاقات العلمية من خلال رحلات الحجاج المغاربة، وهجرات بعضهم إلى توات واستقرارهم بها، حيث يعود الفضل في التأسيس العلمي لحاضرة توات إلى كثير ممن حلّوا بها قادمين من فاس، حاملين معهم بذور الإزدهار العلمي، كالشيخ سليمان بن علي الإدريسي الذي نزل بالديار التواتية قادما من فاس سنة 580هـ/1184م، وأسّس بأولاد وشن زاويته التي أصبحت مقصدا لطلبة العلم من كل مكان.[1] وكذلك الشيخ ميمون بن عمرو بن محمد الباز الذي قدم مع أبيه وأخيه التهامي من فاس ونزلوا بتمنطيط ثم استقروا بأولاد محمود،[2] وبعد الشيخ ميمون أب العائلة البكرية بتمنطيط التي تميزت بعلمائها الذين كان لهم الفضل في إدارة عجلة الحركة العلمية التي عرفتها المنطقة في العصر الحديث.

ولم يكن الأعلام أو العلماء الفاسيين وحدهم من جسدوا تلك الصلات العلمية بين حاضرتي توات وفاس، فقد كان القسط الأكبر في هذه العلاقات قد صنعه طلبة العلم التواتيون الذين فرضوا وجودهم على المشهد الثقافي بفاس، رغم المنافسة العلمية الحادة، وجعلوا من التّتلمذ على علمائها والحصول من عندهم على إجازات علمية مفخرة وهدف أسمى يتكبدون عناء السفر ومشقته لتحصيله، مما أهّل العديد منهم إلى الإنتصاب في منابر فاس للتدريس، وتعدّت شهرتهم هذه المدينة إلى المغرب الأقصى برمته، وطاب لهم المقام بفاس حتى وافت المنية بعضهم هناك فدفنوا بها، ومقابرهم – إلى يوم الناس هذا- شاهدة على ذكراهم التي جمعت بين توات وفاس في تواصل علمي منقطع النظير، ومن هؤلاء:

[1]- مبارك جعفري، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص123-124.

[2]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأقلام، مصدر سابق، ص30-32.

- **الشيخ أبو الحسن علي بن الحاج التواتي:** (ت 1058هـ / 1648م) ، الذي اشتهر بالعلم والصلاح ، وضريحه بين المدن عدوة فاس ، قرب مسجد الشوك ، يُزار ويُتبرك به ، وإليه يشير الشاعر في قوله[1] :

وسيدي علي التواتي بجامع الشوك من السُرات

- **الشيخ عبد الرحمان المعروف بمعاذ التواتي (ت1104هـ /1693م)** ، كان مشهورا بالصلاح عند الكافة من أهل فاس ، ذا أحوال وكرامات ، لا يأكل إلا من عمل يديه ، أحبه الناس في حياته ، ثم اختلفوا حول موضع دفنه بعد وفاته ، فحفر له ثلاثة مقابر ، كل يبتغي البركة من وراء ذالك.[2] . وقد أشار إليه وإلى كراماته صاحب ارجوزة صلحاء فاس قائلا.[3]:

كذا التواتي له كرامه *** من زاره نال به مرامه

- **الشيخ عبد السلام بن محمد الجعفري التواتي (ت 1155هـ / 1742م)** من المشهورين بعلمهم وتقواهم بفاس ، لازم الجلوس في القرويين ، وكان يجلس له أقوام لاستماع معارفه ، فيأتي من ذالك بما يسحر الألباب ويقضي منه العجب العجاب ، اعتلى مراتب الطريق والولاية ، فكان يقول " الطريق أولها فنون ووسطها جنون وآخرها قيل يكون وقيل لا يكون ".[4]

- **الشيخ الكوش التواتي الموري (ت 1158هـ /1745م)** ، كان آدم اللون ، من أهل توات الذين استقروا بفاس ، ثم انتقل إلى جزيرة المورة قرب البندقية ، بعد أن سيطر عليها الأتراك

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ممن قبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق : محمد حمزة بن علي الكتاني ، ط 4 ، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس ، 2005م ، ج 01 ، ص340 .

[2]- محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق، ج 05 ، ص1827.

[3]- محمد المشرع النجار الأندلسي ، أرجوزة في مشاهير صلحاء فاس ، تحقيق: خالد بن أحمد الصقلي، ظهر المهراز، فاس، (د.ت)، ص15.

[4] - محمد حجي ، المصدر السابق ، ج06 ، ص2126 .

العثمانيون ، مقدما للطريقة الطيبية الوزانية ، فانتشر صيته واشتهر بملازمة السنة واجتناب البدعة[1].

- الحاج محمد التواتي (ت 1183هـ / 1769م) ، دفن بفاس ، وحضر جنازته جمع عظيم ، وكذا زوجته فقد كانت طيبة العشرة ، كان هو يدعي أنها السبب في صلاحه وتقواه ، بينما كانت هي تدعي في حياته وبعد مماته أنه السبب في صلاحها وتقواها ، ولم تلبث حتى توفيت بعده ودفنت بإزائه[2].

- أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان التواتي (ت 1187هـ / 1773م) ، من فحول الشعراء ، يعود نسبه إلى العرب من بني معقل ممن توطنوا توات ، كان والده من ندماء سلطان المغرب محمد بن عبد الله العلوي ، وهو من كنّيَ بأبو الشمقمق تشبيها بالشاعر الكوفي الماجن المشهور . ثم انتقل ذالك اللقب إلى أبنائه ، ومنهم أبوالعباس بن الونان.[3] ، كان صاحب قريحة سيّالة، وخاطر متدفق وفكر نقاد ، قصد السلطان العلوي محمد بن عبد الله ، ولما تعذر عليه الوصول إليه ، اعترضه في موكبه ونادى بأعلى صوته :

يا سيدي سبط النبي *** أبو الشمقمق أبي

فعرفه السلطان وأمر بإحضاره إلى منزله ، فحضر وأنشد بين يديه الأرجوزة الشهيرة التي أصبحت تعرف بالشمقمقية، واشتهرت بين أدباء المغرب اشتهارا لا مزيد عليه ، لما احتوته من أغراض شعرية وفنون أدبية مختلفة ، مثل الغزل والوصف والحماسة والمدح والهجاء والحكم

[1] - المصدر نفسه ، ج06 ، ص2260 .

[2] - محمد بلقاسم الحفناوي ، المصدر السابق ، ص108 .

[3] - امبارك جعفري ، علماء توات في حاضرة القرويين بفاس ،خلال القرن 12هـ ، ملتقى أدرار تيهرت ، ص139 .

والأمثال وأيام العرب وأخبارها وعوائدها وأحوالها ، مما يدل على غزارة علمه وقوة ملكته ، وهي قصيدة قافية في نحو ثلاثمائة بيت[1].

وفضلا عن أولئك العلماء ذوي الأصل التواتي الذين عاشوا ودُفنوا بفاس، تذكر المصادر المحلية عشرات الأعلام التواتيون الذين اتخذوا هذه الحاضرة محطة رئيسة من محطات حياتهم العلمية، وتصدّروا حِلق التدريس والإفتاء خلال الفترة الحديثة، وقد عاد معظمهم إلى قصور توات محمّلا برصيد معرفي هام وخبرات متراكمة، ومساهماً في تنشيط الحركية الثقافية بتوات، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ:

- الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني الذي رحل إلى فاس ومكث بها ثلاثَ عشرة سنة، حيث تتلمذ على عدة علماء معروفين بتضلعهم في اللغة والنحو بحاضرة فاس، منهم العلامة النحوي محمد بن زكري الفاسي[2]، ومحمد العربي بن محمد مقلب الفاسي[3]، وإدريس المشاط[4]، كما تصدر للتدريس بالمدرسة المصباحية وبجامع القرويين.[5]

---

[1] – عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، المغرب ، 1960م ، ج01 ، ص316 .

[2] – هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري، من أعلام فاس. توفي عام 1144هـ/1731م. يُنظر: أبي العباس أحمد المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 165.

[3] – هو أبو عبد الله محمد العربي بن مقلب الفاسي، فقيها متضلعا في القراءات السبع، يُنظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق، ج5، ص1961.

[4] – هو إدريس بن المهدي المشاط المنافي. نوفي سنة 1142هـ. ينظر: محمد حجي، نفسه، ج5، ص2024.

[5] – نقل تلميذه عبد الرحمان بن عمر صورة حية عن أسلوب الإقراء والإلقاء قائلا: " ... ولما اشتهر أمره وظهر حاله وفاح طيبه، طُلب منه الإقراء بجامع القرويين ، فأقرأ به مدة جالسا على الأرض ، ثم إن الطلبة لما كبرت الحلقة وضعف عن إبلاغ أقصاها نصبوا له كرسيا ليجلس عليه ، فلما جاء لموضعه على العادة وجده فأبى أن يجلس عليه وجلس بحذائه ، فلما انفض المجلس ألح عليه الطلبة في الجلوس عليه وشكوه عذرهم فلم يسعفهم بمرادهم وأبى ذالك كل الإباية ، فلما رأوا ذالك منه طلبوا حيلة يتوصلون بها لمرادهم ، فاتفق رأيهم على أن لايتركوا له موضعا يجلس فيه إلا موضع الكرسي ، فلما جاء غداة ذالك اليوم إلى المجلس ، نظر فلم ير موضعا يجلس فيه إلا الكرسي ، فجلس عليه. وأخبرني

- الشيخ البكري بن عبد الكريم بن أمحمد الذي شدّ الرحال إلى مراكز العلم ومواطن العلماء فزار مراكش وفاس.[1]

- الشيخ الشاذلي بن عمر بن عبد القادر التنلاني (ت1760/1173م): تتلمذ ودرّس بفاس مثل والده المذكور آنفا وتوفي هناك.[2]

- الشيخ عبد الرحيم بن محمد التواتي (1189هـ/1775م): تنقل إلى فاس لطلب العلم فحفظ القرآن بالقراءات السبع، ثم عاد إلى توات.[3]

ولم تكن الرحلات العلمية وتنقل الأشخاص إلى فاس وحدهما من يصورا تلك العلاقات العلمية التي ربطت بين حاضرتي توات وفاس، بل كذلك المراسلات والمحاورات والفتاوى خاصة تلك المرتبطة بالنوازل كالذي حصل مع نازلة اليهود – كما تقدم ذكره–، أو كتلك المراسلة العلمية[4] التي كاتب الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني علماء فاس حول ثلاث مسائل

بعض أهل المجلس أنه لما جلس عليه ، لم يزل لونه يحمر ويصفر حتى انفض المجلس ، حياء منه وتواضعا رحمه الله ". ينظر : عبد الرحمان بن عمر التنلاني ، فهرسة الشيوخ ، ص82 .

[1] –محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، –نسخة اولف–، ص 01.

[2] – عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ص 12.

[3] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرسة الشيوخ، مصدر سابق، ص 153.

[4] – عقب الشيخ عبد الرحمان انتقاده لكلام الشيوخ بقوله: " وبالجملة فكلام هؤلاء الشراح ومن اعتمدهم في الحكم والفتوى والعمل دون مراجعة من تقدمهم ممن يحرر النقول كالشارحين وابن غازي والحطاب والمواق والتوضيح وابن عرفة وغيرهم كابن ناجي والقلشاني من شراح الرسالة لاشك انه لايسلم من الخطأ لعدم تصدي هؤلاء رحمهم الله لتحرير النقل، وقد كنت إذا خالفتهم في نازلة لم يظهر لي من مخالفتهما النقل المحرر أو القياس الصحيح، يشتد نكير طلبة الصحراء عليَّ لتقليدهم كلام هؤلاء الشراح، فنطلب ممن وقف على هذا المسطور من فقهاء مدينة فاس وفقهم الله تعالى وحرسها من البأس أو غيرها من بلاد مغربنا الأقصى أن يتأمله فإن كان صوابا تفضلا من الله تعالى فليعلم ذلك بخطه ليكون حجة لكاتبه، وإن كان خطأ فقد صدر من محله فلينبه راقمه ليرجع عنه ليتوب إلى الله تعالى وممن تبع عثرات هؤلاء السادات الذين لا يغترف إلا من فضلهم، ولا يسري هذا المسرى إلا بدلالتهم، والسلام على من يقف عليه من السادات ورحمة الله وبركاته، من خديمكم عبد الرحمان بن عمر التواتي وفقه الله". ينظر: عبد الكريم البلبالي، غاية الأماني من أجوبة أبي زيد التنلاني، مخطوط بخزانة الأنصار، أنزجمير، أدرار، جزء البيوع وما شاكلها، ص05.

فقهية مستشكلاً كلام الشيخ علي الأجهوري، والشيخ الشبرخيتي، والشيخ الخرشي والشيخ الزرقاني في شروحهم على مختصر خليل، منتقدا كلامهم، مما حفّز الفقيهين المغربيين الشيخ التاودني بن سودة لوضع حاشية على الزرقاني، والشيخ الهلالي لضبط منهج دراسة كتب المذهب.[1]

2.مع حاضرة سجلماسة: اعتبرت سجلماسة عبر تاريخها الطويل مركز استقطاب للعلماء ورجال العلم والأدب، وذلك بفعل عمقها التاريخي وثقلها الحضاري، وبفعل ساكنتها المختلطة النشيطة، وبفضل التيارات الفكرية والمذهبية.[2]

وقد كانت تربطها مع توات طرق القوافل التجارية ومراكب الحجيج، حيث يذكر العياشي في رحلته أن طريق سجلماسة – توات، كانت من أفضل طرق الحج،[3] كما أن المحاولات التي قامت بها سجلماسة من أجل تنويع علاقاتها الثقافية سواء مع المشرق العربي أو مع المراكز الحضارية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، لم تكن لتصل درجة محاولاتها لصنع علاقات متميزة بالممالك الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء، إذ رغم صعوبة مسالك الصحراء الكبرى فإنها لم تكن أبدا حاجزا،[4] والمعلوم أن توات تتوسط الطريق الرابط بين سجلماسة والحواضر الإفريقية جنوب الصحراء كتنبكتو.

وكثيرا ما كانت قوافل ركب الحجيج أو حتى القوافل التجارية السجلماسية تحمل معها علماء أجلاء نزلوا بتوات، فتهافت طلبة العلم التواتيون على حلقاتهم مستغلين تواجدهم بينهم

---

[1] – قزان زهير، المرجع السابق، ص 58.

[2] – لحسن تاوشيخت، سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م، ص 230.

[3] – أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 71.

[4] – لحسن تاوشيخت، المرجع نفسه، ص 230.

للحصول على العلم والإجازات، ومثال ذلك ما حصل للشيخ محمد المكي بن الصالح السجلماسي (ت.ق12هـ)، الذي نزل أثناء أحد رحلاته بتيمي من بلاد توات، فقصده طلبة العلم ومنهم عبد الرحمان بن عمر التنلاني، حيث أخذ عنه علم التجويد بالقراءات السبع.[1]

و لم يتّكل طلبة توات على من يحلّ بديارهم من العلماء لأخذ العلم عنه، بل ارتحلوا إلى مواطن أولئك العلماء لحضور مجالسهم، وذلك الذي بادر إلى فعله الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني نفسه، إذْ ارتحل إلى سجلماسة للتعلم على يد الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي[2]، وصالح بن محمد السجلماسي.[3]

ولقد حاول محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني تتبّع خطى أبيه، فقصد سجلماسة للدراسة على يد عالمها أحمد بن هلال السجلماسي، الذي أشاد بالمستوى العلمي لتلميذه، فراسل أباه عبد الرحمان مُخبراً إيّاه بقوله:

إن الهلال إذا رأيت نموه *** أيقنتَ أن سيكون بدرا كاملاً.[4]

وهي إشارة من الشيخ الهلالي إلى أن علامات النجابة بادية على محمد بن عبد الرحمان التنلاني، وصفات العلماء ظاهرة عنده.

كما قصد الشيخ الفقيه الحاج محمد البلبالي حاضرة سجلماسة ومكث بها زمنا طويلا قبل أن يعود إلى توات ويعتزل الحياة وتصاريفها.[5]

---

[1] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، فهرسة الشيوخ، مصدر سابق، ص 187.

[2] – هو أبو العباس أحمد بن علي بن إسحاق بن إبراهيم السجلماسي، كان إماما فقيها مشاركا في علوم مختلفة. توفي عام 1175هـ/1761م. ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق، ج7، ص 237.

[3] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، المصدر نفسه، ص 195.

[4] – نفسه.

[5] – عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 116.

و لم تقتصر العلاقات العلمية بين حاضرتي توات وسجلماسة على الملاقاة الشخصية الناتجة عن شدّ الرحال، بل شملت كذلك المراسلات، كتلك التي كان يقوم بها أحيانا بعض طلبة توات حين يسافر شيخهم أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي إلى المشرق ويبطئ عليهم مجيئه، أو يتعذر عليهم لقاؤه، فإنهم يلجئون إلى مراسلته كتابيا في الزاوية التي كان يدرّس بها في سجلماسة.[1]

وقد أرسل الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي برسالة إلى القاضي امحمد عبد الله القراري (ت1035هـ/1625م) يشهد له فيها بالتقدم في العلم والصلاح.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن عدد من طلبة توات تتلمذوا على يد الشيخ ابن أبي محلي السجلماسي، منهم الشيخ عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي (ت1042هـ/1633م) الذي التقى به سنة 1013هـ/1605م، في مدينة بني عباس بالساورة فأخذ عنه النصف الأخير من ابن التلمساني في الفرائض.[3]

ب. العلاقات العلمية بين توات وحواضر بلاد الساحل الإفريقي:

تُعدّ العلاقات العلمية بين توات وحواضر الساحل الإفريقي في الفترة الحديثة من أمتن العلاقات، رغم الصحراء الجرداء الفاصلة بينهما، إذْ مثّلت توات الطريق الأهم الذي يربط

---

[1] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، المصدر نفسه، ص 187.

[2] – جاء في نص الرسالة التي بعث بها ابن أبي محلي السجلماسي إلى الشيخ أمحمد عبد الله الجراري ما يلي: " إلى من لا يزال فلك المودة على قطب أشكاله في البرية يدور، وسماء الولاية دائما بقمر شهود أمثاله في الحنادس ينور، ظريف الشمائل، وشريف الوسائل، شمس أحبائه، وسري اصفيائه، غرة وجه القبول، وشامة خد الوصول، العالم العامل، الحاكم العادل، العارف بنفسه فلا يضره العجب، الراغب في أنسه فلا يسره غير القرب، الفقيه النبيه، السيد الوجيه، قاضي الجماعة، وسخي المجاعة، أبي عبد الله امحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الوطاسي ثم الجراري". ينظر: عبد الكريم بن أمحمد التواتي: الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة الشيخ احمد ديدي، تمنطيط، ص14.

[3] – نفسه، ص 114-115.

حواضر بلاد الساحل بالشمال الإفريقي، خاصة بعد تراجع مكانة سجلماسة نظرا للإضطرابات السياسية، وانتشار قطاع الطرق على طول الطريق المؤدي إلى بلاد السودان من الجهة الغربية، حيث يذكر ابن خلدون أن هذا المسلك قد أهمل لّما صارت الأعراب من البادية السوسية يغيرون على سابلتها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان أعلى تمنطيط.[1]

وقد نتج عن تواجد طريق آمن يربط توات بمنطقة بلاد الساحل الإفريقي علاقات عديدة اقتصادية واجتماعية وثقافية، كلها ساهمت في دعم التواصل العلمي بين المنطقتين، وهو ما تجلى في حلقات متسلسلة ومتكاملة مثّلت ذلك التواصل، ولعلّ أبرزها:

1. **الكتاب المخطوط:** حيث يمثّل الكتاب المخطوط لعلماء ضفتي الصحراء أحد أبرز أمثلة التواصل، فقد حظي بالعناية إما تأليفا أو نسخا أو شراءً، وتذخر المكتبات التواتية بالعديد من المخطوطات الإفريقية والعكس كذلك، فقد انتشرت في بلاد الساحل المخطوطات التواتية.

وكانت حركة التواصل من خلال الكتب تتم في كثير من الأحيان بفضل القوافل التجارية التي تنطلق من قصور توات باتجاه بلاد الساحل، محملة بمجموعة من السلع كالتمور، والقماش، والمنسوجات، إلى جانب الكتب، التي راجت تجارتها، و أصبحت من السلع الأساسية، والغالية الأثمان في حمولة القافلة التجارية، خاصة بعدما كانت تدره من أرباح، تفوق بكثير أرباح السلع الأخرى، وهذا ما يشهد عليه الكم الهائل من المخطوطات الموجودة في خزائن تنبكتو[2]، و

[1]- ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج 6، ص 118.

[2]- كانت أهم خزائن و مكتبات تنبكتو تلك التي تملكها عائلة آل أقيت، التي ينتسب إليها احمد بابا التنبكتي و التي اقتنت معظم كتبها من التجارة حيث قدر احمد بابا مؤلفات مكتبته لوحده التي كانت اقل من مكتبات أسرته كتباً و أهمية بألف و ستمائة مجلد كما كانت مكتبات امتلكها علماء أخرين من آل أقيت مثل بوغيوغو ومحمد بن محمود أقيت الذي كانت مكتبته بمثابة خزانة عامة يستعير منها الطلبة و القراء ما يشاؤون من الكتب . انظر: محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1،مؤسسة الخليج للطباعة و النشر، الكويت، ص 557.

تيشت، و ولاته، و شنقيط، وودان، و توات، و التي تشكل ابرز جوانب الإرث الحضاري لهذه الحواضر الصحراوية[1] وهي في الغالب من تأليف علماء تلك المناطق.

وبذلك انتشرت المخطوطات التواتية في حواضر بلاد الساحل، والمتنقّل في ربوع أرض بلاد السودان الغربي، خاصة منطقة الأزواد منها، تستوقفه خزائن عديدة ضمت العديد من المخطوطات التواتية، ففي مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية[2] بتنبكتو بمالي، توجد العديد من المخطوطات التواتية، لعديد المؤلفين كالمغيلي، وابن أبّ المزمري، ومحمد بلعالم الزجلاوي وغيرهم، وما يقال عن هذا المركز يقال كذلك عن مكتبة ماما حيدرة[3] بمالي، والتي تضم في رفوفها الكثير من المخطوطات التواتية.[4]

كما حفيَت توات بجهود علماء بلاد السودان الغربي المدونة في تآليفهم، ككتب العلامة أحمد بابا التنبكتي، وكتب أعلام الأسرة الكنتية والأسرة الفولاّنية.

---

[1]- أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 38.

[2] - أنشئ هذا المركز بناء على التوصيات المنبثقة عن اجتماع الدورة الرابعة عشر للمؤتمر العام لليونسكو، وفي 23 يناير 1970 أصدرت حكومة مالي مرسوما يقضي بإنشاء هذا المركز، الذي افتتح رسميا في نوفمبر 1973م، وهو من أكبر الخزائن الإفريقية للمخطوطات حيث يضم 9000 مخطوط منها 50 مخطوطا باللغات الإفريقية والتركية مكتوبة بالحرف العربي. يُنظر: مجموعة من المكتبيين، فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو، تحرير عبد المحسن العباس، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997م. أيضا: www.tombouctoumanuscripts.org

[3] - تأسست هذه المكتبة في أواسط القرن 9هـ/15م في قرية بمبا في محافظة بوريم بإقليم غاو في مالي، على يد الشيخ محمد الأمين الجد الأعلى لأصحاب المكتبة الحاليين، تحتوي المكتبة حاليا على 3000 مخطوط موزعة على موضوعات مختلفة (علوم القرآن، الفقه، التصوف، الأدب، النحو، الفلك...)، تعرضت المكتبة في فترات سابقة إلى ضياع جزء كبير من محتوياتها بسبب حريق أصابها، وتهدم بنايتها على المخطوطات، والسطو والنهب الذي أصابها من مجهولين. يُنظر: عبد القادر ماما حيدرة، فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق، تحرير: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000، ج1، ص7 وما بعدها.

[4] - جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 310.

2. **الرحلات مابين المنطقتين:** تعتبر الرحلة أهم رافد من روافد التواصل العلمي بين منطقة توات و بلاد الساحل الإفريقي، لما كان يتم فيها من احتكاك و تبادل مباشر للعلوم و المعارف، و سواء كانت تلك الرحلات دينية كركب الحجيج و التي كان يصحبها علماء و فقهاء، يتقدمهم شيخ يسمى شيخ ركب الحجيج، أو رحلات علمية خصيصاً لغرض العلم، سواء لطلبه و الاستزادة منه أو لنشره بغرض الانتفاع به، أو حتى تلك الرحلات التي كانت عبارة عن هجرات بين المنطقتين، سواء كانت فردية أو جماعية، و التي أعطت نسيجاً علمياً غير منقطع بين المنطقتين نتج عنه أسر علمية اشتهرت بفقهائها الذين خلفوا تآليف شكلت زخما وتراكما حضاريا بين المنطقتين، كما أن لحركة العلماء والطلبة كما هائلا من الإجازات والسماعات أعطت القرينة عن المكانة العلمية لتلك الجهات في فترة تاريخية اتسمت فيها العلاقات بالاتصال والاستمرارية.

وبما أن الحج كان يشكل فرصة للالتقاء فقد كانت توات إحدى المحطات الرئيسية لاجتماع حجاج بلاد الساحل الإفريقي بحجاج توات وتشكيل ركب واحد يضم إلى جانب الحكام والتجار علماء وفقهاء وطلبة على غرار ما كانت عليه القافلة الحجية للباشا علي أحد بشوات تنبكتو عندما أراد الحج سنة 1041هـ 1631م، فكان معه فقيهين مشهود لهما بالعلم والصلاح أحدهما الشيخ أحمد بن عبد العزيز القوراري، والشيخ محمد بن الشيخ احمد بابا التنبكتي، إلى جانب ثمانين رجل، وقد مرت القافلة بتوات.

ومن المهم التنويه على أن ركب الحجيج كان يضم علماء أجلاء جلسوا للتدريس خلال فترات الراحة وقد اغتنم طلبة توات تلك الفرصة للأخذ والاستزادة منحت أثناءها بعض الإجازات العلمية[1].

[1]- بخدا مريم، أعلام العائلة التنيلانية، مرجع سابق،ص 25.

ومن العلماء الذين زاروا توات خلال رحلته الحجية، الشيخ أبو بكر بن الحاج عيسى أبي هريرة الغلاوي ت1146هـ-1733م والذي حج عام1121 هـ -1709م رفقة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي[1]، كما حج سنة 1151 هـ - 1744 م الشيخ أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي ت1199 هـ -1785م[2] والذي أتى بخزانة نفيسة[3] من الكتب اقتناها من الحج ومن دون شك نسخ البعض منها في توات.

ومن الحجاج الفقهاء أيضا الشيخ الحاج البشير بن أبي بكر بن الطالب محمد البرتلي ت1214هـ - 1799م حج سنة1204هـ -1789م وله رحلة حول ذالك يذكر فيها مراحل الطريق من توات الى بيت الله الحرام[4].

كما كان للحجاج الأفارقة أماكن محددة يأتون إليها داخل توات في أوقات معلومة من السنة، وهناك يلتقون بالطلبة و العلماء من المنطقة، فيبقون في انتظارهم وعندها يتم التبادل العلمي والإجازات والمخطوطات واهم مراكز الالتقاء هي زاوية الشيخ علي بن حنيني بزاجلو، وزاوية كنتة وزاوية الركب النبوي بأقبلي بتيديكلت، وزاوية تسابيت[5] وزاوية عبد الله بن طمطم بأوقروت[6] إقليم قورارة لمن اختار الحج عبر الطريق الشمالي[7].

ولا يمكن اختزال صورة العلاقات العلمية القائمة في العصر الحديث بين توات وحواضر بلاد الساحل الإفريقي على تنقلات الحجيج، إذْ جسّد طلبة العلم السودانيين وجه آخر لتلك

---

[1]- البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 76.

[2]- نفسه، ص 78.

[3]- جعفري مبارك، تنقل علماء توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12 هـ/ 18 م، الملتقى الوطني الرابع جامعة أدرار، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية و الثقافية إبان العصر الحديث (1500 م - 2000 م)، أدرار، 19- 20 أفريل 2010، ص 146.

[4]- البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 83.

[5] - هي إحدى دوائر ولاية أدرار تبعد عنها حوالي 60 كم شمالا.

[6] - هي دائرة من دوائر ولاية أدرار، تبعد عنها ب 120 كم شمالا.

[7]- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، المرجع السابق، ص 146.

العلاقات بفضل رحلاتهم العلمية نحو بلاد توات، ومثال ذلك رحلة أبي عبد الله الفلاني (ت 1194هـ/1780م) من بلاد التكرور إلى تينيلان بتوات لتلقي العلم عن الشيخ عبد الرحمان التينيلاني، حيث مكث شهرين وستّ ليالي أجازه الشيخ عبد الرحمان بن عمر ببعض العلوم.[1]

كما زار توات مرات عديدة الشيخ أحمد بن الأمين الغلاوي (ت1157هـ/1744م)[2]، وهو شيخ ركب الحجيج من بلاد التكرور[3] إلى توات، فيكون الأمر لأبي نعامة القبلاوي.

وقد حلّ بتوات محمد الإداوعلي[4] (ت1198هـ/1784م) قادما من بلاد شنقيط[5]، ونزل بزاوية الركب النبوي بأقبلي، حيث استقبله شيخها أبو نعامة وطلب منه البقاء معه، لكن محمد الإداوعلي[6] فضل الإنتقال لتوات وبالضبط لتمنطيط عند الشيخ البكري بن عبد الكريم،

---

[1] – بعثمان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 26.

[2] – أحمد ابن الحاج الأمين الغلاوي التواتي ، شيخ ركب الحجيج من بلاد التكرور حتى يصل إلى توات ، توفي بفزان بليبيا عند رجوعه من حجته الأخيرة سنة 1157 هـ ، انظر : البرتلي ، فتح الشكور ، المصدر السابق، ص ص 48 . 49. 50.

[3] – اسم يطلق على الجهة الغربية من بلاد الساحل، وهو الاسم الشائع في الحرمين ومصر والحبشة. ينظر : محمد بللو بن عثمان فودي ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ، 1996، ص 48-49. وانظر: محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 2007 ، ص 230- 231.

[4] – من أول القبائل التي أسست مدينة شنقيط وعمرتها، إلى جانب شريكتها قبيلة الأغلال ، التي كانت معها في حروب انتهت بانتقال جمهور منهم إلى هضبة تكالت التي أسسوا فيها قرية تجككجة سنة 1070هـ – 1660 م وبقيت فروع إدوعلي أخرى في شنقيط وقسم كان قد انتقل إلى بلاد الترارزة في الجنوب الغربي ، ومن هذه القبيلة انتقل إلى توات الشيخ محمد اداوعلي في القرن 12 ه انظر : محمد الخليفة الكنتي ، الرسالة الغلاوية ، المصدر السابق، ص 188- 189.

[5] – تكتب بالقاف والجيم ومعناها عيون الخيل ،يُنظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ،مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ،ط1958،2،ص422.

[6] – الشيخ محمد الاداوعلي: هو محمد بك العلوي بن محمد بن كل بن نال بن يحي ويصل نسبه إلى الحسن المثنى بن علي (ض) بن أبي طالب،ولد بشنقيط ثم انتقل منها إلى توات وكان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى كان شاعرا فحلا له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح رسول الله (ص) حتى عرف بشاعر المديح النبوي،عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات وعاصر في منطقة توات الشيخ أبونعامة بتدكلت كانت له قصة

الذي استقبله وبقي عنده دارسا ومدرّسا، فذاع صيته في توات وطلبه عدد من أعيان القصور، فاختار قصر اعباني بفنوغيل[1]، حيث استقر هناك وبنى زاويته ومدرسته، لكن شدة الحنين لبلاد الساحل الإفريقي في آخر أيامه هاجر إليها وتوفي هناك.[2]

هذا عن تنقلات أعلام بلاد الساحل وعلمائهم صَوب توات في إطار التواصل الثقافي، أما عن تنقل التواتيين فقد كان لعلمائهم وحتى تجارهم، دور مميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى الشعوب الإفريقية، و في تشيد صروح التمدن و الحضارة، إذ يؤكد أغلب المؤرخين على دورهم الفاعل في نضج وقوة المماليك الإسلامية التي عرفتها بلاد الساحل الإفريقي، بدءً من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وهو عهد ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث انتشرت المدارس و المعاهد الإسلامية بفضل جهود علماء المغرب الإسلامي، و خاصة التواتيين منهم الذين تميزوا عن أقرانهم بحركتهم النشطة، وصبرهم الجلد وتأقلمهم وتعايشهم مع السكان[3]، وهذا ما فعله الشيخ احمد الرقادي الكنتي (ت 1063هـ 1653م)، مؤسس الزاوية الكنتيه بتوات الذي كان له نشاط علمي ببلاد الساحل الإفريقي، حيث تذكر المصادر التاريخية انه بعدما شاهد إقبال الطلبة السودانيين عليه أسس زاوية ومدرسة بتنبكتو لنشر العلم، وبعد أن توفي جاء وفد من أعيان تنبكتو لزاويته بتوات وطلبوا من ابنه الشيخ علي الرقادي الكنتي ان يرسل معهم من يقوم بأمر التعليم في الزاوية، فأرسل معهم ابن اخيه الشيخ احمد بن

مشهورة معه أثناء صفره إلى الحج أرخ لها في قصيدة شعرية،استقر في توات واتصل بعالمها آنذاك الشيخ البكري ثم رحل إلى تافيلالت بالمغرب واتصل بعالمها الشيخ الغازي، وبعد عودته من تافيلالت استقر بتمنطيط ثم انتقل بعدها إلى قصر أعباني وهناك أسس مسجده ومدرسته القرآنية وأنجب ابنه إبراهيم المدفون في قصر أعباني المدفون بقصر أعباني حاليا. وفي نهاة حايته إلى تنبكتو وبها توفي وصلى عليه جمع غفير وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن المبروك البوداوي،أنظر جعفري أحمد أبالصافي،الحرك الأدبية في منطقة توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب، قسم الأدب، جامعة تلمسان،2006-2007،ص321.

[1] – هي دائرة من دوائر ولاية أدرار تبعد عنها ب 30 كم جنوبا .

[2] – جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، مرجع سابق ، ص 303.

[3] – بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 195.

عمر بن احمد الرقادي الكنتي، وبعد مدة ورد على الزاوية الكنتيه وفد من أعيان اروان يطلب هو الآخر شيخا معلماً، فأرسل معهم الشيخ الأمين المعروف بذي النقاب الذي بقي في أروان قائماً بالتعليم و الدعوة إلى أن توفي بها[1]، كما استوطن أقدز[2] الشيخ عبد المهيمن ابن محمد بن احمد بن ميمون التمنطيطي الذي كان من العلماء العاملين توفي بأقدز سنة1008هـ 1600م[3].

ويذكر صاحب فتح الشكور[4] أنه تتلمذ على الشيخ عبد المالك الرقاني[5] الذي كان كثير التّرحال إلى بلاد الساحل من أجل التجارة، ونشر العلم، وأخذ عليه الورد الشاذلي، بالإضافة إلى وجود أكثر من أربعين شخصية تواتية في بلاد التكرور، كما كان للشيخ الرقاني رحلات إلى عدة أماكن في بلاد الساحل الافريقي، مثل السنيغال، و بوركينافاسو، التي لا زالت بها زوايا تابعة لطريقته.[6]

وقد كانت زاويته إلى وقت قريب ملتقى المريدين والعلماء وطالبي الصلح من تنبكتو وأروان وشنقيط وتوات وغيرهم.

ويخبرنا الشيخ عبد الرحمان التنلاني في رحلته أنه زار بلاد التكرور رفقة شيخه عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي (ت1157هـ/1747م) والتي دامت شهرا، زار

---

[1]- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي المرجع السابق، ص ص 292- 293.

[2] - تقع اليوم في الشمال الشرقي من نيامي عاصمة النيجر وتبعد عنها ب 100 كم، احتلت موقعا هاما لمكانتها التجارية، أشار إليها الحسن الوزان باسم مملكة أغاديس، و أفاد أن أغلب سكانها من العرب المغاربة الذين اشتغلوا بالتجارة ويعتمد دخلها على الضرائب التي تؤخذ من التجار الوافدين، انظر: الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 311.

[3]- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، المرجع السابق، ص 291.

[4] - البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص ص 200- 201.

[5] - هو عبد المالك بن عبد الله بن علي بن الزين، بن حم، بن الحاج، مؤسس الزاوية الرقانية برقان، وبلاد الساحل، توفي 1207 هـ انظر : جعفري ابا الصافي أحمد، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص ص 44 – 45.

[6] - محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي، نبذة عن حياة مولاي عبد الله الرقاني، تقييد مخطوط بالمدرسة الرقادية، زاوية كنتة، أدرار، 02.

خلالها عدة أماكن في بلاد الساحل الإفريقي، حيث نزل بتاودني[1]، ومنها انتقل إلى اروان حيث التقى بالشيخ أحمد بن صالح السوقي التكروري، ومن اروان توجه إلى قرية المبروك، لكنه ما لبث فيها إلا قليلا ليعود إلى توات تاركا شيخه الكنتي في بلاد التكرور لوجود أهله وعشيرته فيها، وقد كان الشيخ عبد الرحمان كثير التردد على هذه المنطقة، حيث زارها مرات عديدة.[2]

وإذا كان عبد الرحمان التنلاني قد دوّن رحلته إلى بلاد التكرور ليَرسم لنا بها صورة التواصل العلمي بين بلاده توات وبلاد الساحل الإفريقي، فإن هناك ثلّة من العلماء والطلبة ممن سبقوه بالتنقل إلى هناك أو جاؤوا بعده لكنهم لم يدوّنوا تنقلاتهم تلك، بل رصدناها من خلال تراجمهم في المصادر المحلية للمنطقتين، منهم العالم النوازلي محمد بن العالم الزجلاوي الذي زار عدة مناطق في بلاد التكرور، فكانة فرصة لأهالي تلك المنطقة بأن ينهلوا من فيض علمه ويستفيدوا من فتاويه.[3]

والأمر نفسه حصل مع العالم اللغوي محمد بن أبّ المزمري الذي جلس لتدريس اللغة العربية وعلومها بكلّ من تنبكتو واروان، فكان من تلامذته التكروريين الشيخ أبو العباس أحمد بن صالح السوقي.[4]

وقد تأثّر طلبة العلم التكروريون عظيم التأثر بالشيخ علي بن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي الكنتي (1194هـ/1780م)، وذلك بسبب غزارة علمه وتنقله الكثير بين زوايا أجداده الكنتيين هناك ببلاد التكرور.[1]

---

[1] – قامت قرية تاودني حول سبخة الملح الشهيرة باسم تغازي ، تبعد عن تنبكتو بعشرة أيام ، مما أعطاها أهمية في التعاملات التجارية حيث شكلت همزة وصل بين بلاد المغرب وتنبكتو ينظر: الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، المرجع السابق ، ص 87.

[2] – محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص 24.

[3] – جعفري أحمد أبا الصافي، الحركة الأدبية في منطقة توات، مرجع سابق، ص 321.

[4] – جعفري أحمد أبا الصافي، محمد بن أبّ المزمري، مرجع سابق، ص 38.

كما جلس الشيخ أبو الأنوار التنلاني مدّة غير يسيرة بغرض التدريس والإفتاء بحاضرة تنبكتو، فتحلّق حوله علماء المنطقة وأعيانها، وإليه يعود الفضل في تأسيس حاضرة المبروك شمال مالي رفقة شيوخ كنتة بالأزواد كالشيخ الحاج أحمد بن أبي بكر والشيخ المحجوبي سنة 1125هـ/1713م.[2]

وإذا كنتُ قد حاولتُ تجلية العلاقات العلمية التي كانت بين توات وبلاد الساحل الإفريقي من خلال إلقاء الضوء على الدور الذي أدّاه الأعلام فرادى، فإنه من الجدير كذلك التنويه بالأدوار التي مثلتها الجماعات، ونقصد بها تلك القبائل التي كانت تطوف بين المنطقتين، وتضم بين أبنائها أعلام وعلماء تركوا بصمتهم على العلاقات العلمية مابين مناطق ضفتي صحراء إفريقيا الغربية، وتبرز في هذا الصدد قبيلتي كُنتة[3] وفُلاّن[1] اللتان استوطنتا توات وبلاد

---

[1] – البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 200-201.

[2] – عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة، مصدر سابق، ص 03. أيضا: محمد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص 80.

[3] – **قبائل كنتة:** هي إحدى القبائل العربية الأكثر انتشارا في منطقة الصحراء ،قدموا من الشمال نحو توات وبلاد الساحل الإفريقي، على فترات متقطعة ينتهي نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري مؤسس القيروان، استقرت القبيلة في الصحراء خلال القرنين السابع والثامن الهجري ، الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، بعد أن أصبحت الأوضاع غير ملائمة في الشمال، وفي هذه الفترة رحل أحد أحفاد عقبة إلى واحة عزي من قرى توات واستوطنها وهو عثمان بن يهس. و يقصد بكنتة تلك الوحد السلالية القوية التي تتدرج فروعها المختلفة، ابتداءا من توات حتى منطقة زندر (النيجر) بواسطة الطوق الغربي من الصحراء الكبرى المتمثل في توات وأدرار الموريطاني وتاقانت والعصابة والحوض وأزواد وعقفة نهر النيجر وتمترين وأدرار إيفوغاسن حاليا، و منطقة الهوسا الشرقية من نهر النيجر حتى طاوى ، و لم تعد كنتة قبيلة إطلاقا ، حيث أخذت مخيمات تتناثر على الطريقة المذكورة آنفا و إنما كل فرع محليا تطور ضمن محيطه وتواءم مع بيئته وتكاثر أحيانا بشكل غزير جدا ، وانتهى به الأمر إلى تكوين قبيلة حقيقية لوحدها وهي ليست اتحادية إذ مهما تراخى الرابط الاتحادي في القطر العربي فلا نجد هنا أبدا ما يماثله ، ولا تتعارف فروع كنتة المبعثرة في لا نهائية الصحراء الكبرى إلا بالاسم الغالب، ولا يتزاورون إلا في حالات نادرة ولا يلتقون ببعضهم إلا في حالة العداوات الشخصية أو العائلية، غير مترابطين بأية رابطة اللهم الاشتراك والانتماء إلى أصول أولى، وربما أيضا الانتساب إلى الطريقة القادرية. يُنظر: بول مارتي، كنتة الشرقيون ، تعريب وتعليق : محمد محمود ولد ودادي ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق، 1985 ، ص 9. أيضا: محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية،ج 3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 ، ص 679.

الساحل الإفريقي، وساهمتا مساهمة عظيمة في التواصل بين المنطقتين بفضل هجراتهما والتزاور بين أفراد القبيلة الواحدة، خاصة وأن هاتان القبيلتان كانتا تحويان علماء وأسر علمية كان لهم الفضل في إثراء الساحة العلمية والثقافية في توات وبلاد الساحل الإفريقي، وتكوين مراكز علمية خاصة بهم، مساهمين بذلك في التواصل العلمي بين المنطقتين.

3. انتشار الطرق الصوفية بين المنطقتين:

يعد التصوف أحد الروافد التي شكلت رباطا روحياً بين شعوب القارة الأفريقية عامة وبين توات وبلاد الساحل الإفريقي على وجه الخصوص، إذ ساهم في دعم العلاقات التجارية والثقافية والعلمية بصفة أخص، حيث تعبر توات بمثابة البوابة التي دخل منها التصوف إلى بلاد الساحل الإفريقي لتشكل مصدراً لانتشار أهم الطرق الصوفية، التي كانت مشهورة كالقادرية و الشاذلية و التيجانية في وقت متأخر، وهذا ما نتج عنه ظهور طرق فرعية محلية في كل من توات وبلاد الساحل الإفريقي ساهمت في إثراء هذه العلاقة.

ويتجلى دور الطرق الصوفية في تمتين العلاقات العلمية مابين منطقتي توات وبلاد الساحل الإفريقي في الجهد الذي قام به الشيوخ والعلماء المتصوفون من أجل نشر الإسلام وتعاليم مناهجهم الصوفية ببلاد السودان الغربي.

---

[1] – **فلان:** الفلاتة ، البلار ، الهال ، البول ، التكارير ، التكارن ، الفلاشة ،كل هذه الأسماء تطلق على اسم قبيلة عربية تقطن جنوب الصحراء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر في كل هذه الأقطار المتواجدة في هذه الحزام : موريتانيا ، مالي ، السيغال ، غينيا بيساو ، بوركينافاسو، ساحل العاج،بنين ، نيجيريا ، النيجر ، تشاد ، الحبشة ، ويقدر عددهم بحوالي اثني عشر مليون نسمة ، ويشتغلون بالري والزراعة يرجع نسبهم إلى حمير إحدى القبائل العربية ومنهم من يرجع نسبهم إلى عقبة بن عامر الجهني أحد الفاتحين العرب للصحراء، وقد قاموا بدور بارز في نشر الإسلام، والدفاع عنه في إفريقيا انظر : محمد سليمان الطيب ، مرجع سابق ، ج 3، ص ص 694- 696 . كذلك : كحالة عمر ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1977 ، ص 927.

فقد تلقّت ولاتة المدد الثقافي من توات، وحلّ بها رجال كثيرين من دعاة ومعلمين ومرشدين ومن هؤلاء العلماء يحى كامل المحجوب (جد قبيلة المحاجيب[1] التواتية) والذي بوصوله انتعشت الحركة العلمية في هاته المدينة كما نشر الكنتيون الطريقة القادرية في كل من السنغال والنيجر وساحل العاج وغنيا.

كما اجتهد الشيخ علي بن حنيني الأنصاري الزجلاوي في نشر العلم والطريقة الشاذلية ببلاد الساحل التي ارتحل إليها قادما من توات.[2]

والأمر نفسه قام به الشيخ عبد المالك الرقاني صاحب الطريقة الرقانية وليدة الطريقة الشاذلية، حيث أسس ببلاد الساحل زوايا عديدة تابعة لطريقته.[3]

وقد مثّلت الدروس التيجانية التي كان يلقيها الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله التواتي ببلاد التكرور قاعدة انطلقت منها حركة التجديد التي عرفتها الطريقة التيجانية بلاد السودان الغربي،

---

[1] – يطلق هذا الاسم على ثلاث قبائل تظاهروا و تعاقدوا في ولاتة و هم أولاد الفقيه عثمان بن يحي بن نيومن ثانياً آل آندا عليه ونسبهم إلى محمد بن الحنيفة، الامامات و نسبهم إلى الصحابي سعيد بن العاص، وذكرت بعض المصادر أن المحاجيب خاصة بأولاد الفقيه عثمان لأن نسائهم لا يتزوجن بالأجانب و لا يخرجن من البيوت، و حسب الراوية الكنتيه فإن الشيخ أحمد البكاي عندما قدم ولاته في القرن التاسع الهجري، هو الذي فرض الحجاب على نساء ولاته، و هناك رواية تقول أن المحاجيب من أصل المحتد الفهري الذي ينتسب إلى عقبة بن نافع الفهري جد الكنتيين، لكن الواضح أن المحاجيب من أصول مختلفة بعضها سوقي و البعض الأخر عربي، ينظر: محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص ص 235-236.

[2] – مسعودي زهرة، الطرق الصوفية في توات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 م إلى القرن 20 م ، مذكرة ماجستير في التاريخ ، قسم التاريخ، جامعة أدرار ، 2009 – 2010 ، ص 42.

[3] – البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 200-201.

فتأسست نتيجة لذلك الطريقة الحمالية[1] على يد الشيخ حمى الله، الداعية إلى إصلاح الطريقة التيجانية، وشهدت انتشارا واسعا في حوض السنغال وعدّة مناطق إفريقية.[2]

وبحديثنا عن الدور الطرق الصوفية في وصل حلقات العلاقات العلمية بين جانبي الصحراء الإفريقية، لا يمكننا بحال من الأحوال إغفال الدور الريادي الذي قام به الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي يُعدّ المؤسس الأول للطريقة القادرية في منطقة بلاد الساحل، كما تجدر الإشارة إلى الدور الذي أدّته الأسرة الكنتية في هذا الصدد، إذ حملت لواء الطريقة القادرية ببلاد الساحل بعد الشيخ المغيلي، الذي كان قد تتلمذ على يده الشيخ أحمد البكاي الكنتي، واستمر جُهد الكنتيون في دعم الطريقة هناك مع الشيخ أعمر بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي (ت959هـ/1552م)، وقد بلغت الطريقة مجدها بظهور الشيخ المختار الكبير الكنتي (ت1226هـ/1821م).[3]

تلك هي أهم مظاهر ذلك التواصل القائم بين منطقتي توات وبلاد الساحل في الفترة الحديثة، ويمكن كذلك الإشارة إلى مظاهر أخرى تعضّد ما ذكرناه عن الحجم الكبير للتواصل العلمي ما بين المنطقتين، ومن تلك المظاهر:

- تشابه المواد المدرّسة لطلاب بلاد الساحل الإفريقي مع مثيلتها التي تدرّس بتوات، فاللغة المعتمدة هي العربية والمواد هي النحو وعلوم القرآن والفقه والحساب والفلك العربيين.

---

[1] – **الطريقة الحمالية:** فرع من فروع الطريقة التيجانية، تنسب للشيخ حمى الله الذي أراد العودة بالطريقة إلى قواعدها التي أرساها المؤسس أحمد التيجاني، وقد انتشرت على طول نهر السنغال ووصلت إلى النيجر وموريتانيا. ينظر: عبد الرزاق إبراهيم، الطرق الصوفية في إفريقيا ودورها في نشر الإسلام في إفريقيا، ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، تنظيم جمعية الدعوة الإسلامية بالتعاون مع معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة والجمعية المصرية الإفريقية للعلوم السياسية، 18-19 يوليو 1998م، طرابلس ليبيا، ص 01 وما بعدها.

[2] – نفسه، ص 11.

[3] – قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، مطبعة الجزائر، د.ت، ص 94-95.

- المراكز العلمية التواتية التي يتردد عليها علماء وطلبة بلاد الساحل، حيث لا يكتفون بالدراسة على العلماء التواتيين ببلاد السودان، وإنما يتابعون دراستهم بالمراكز العلمية التواتية كتينيلان وتمنطيط وأقبلي.

ت. مع حاضرة تونس[1]:

شكلت حاضرة تونس منذ قرون محط أنظار العديد من التواتيين ، الذين نزلوا بها واستوطنوها ، بل فيهم من عقب هناك بنين وحفدة ، أصبحوا يعرفون لاحقا بلقب التواتي ، تمييزا لهم عن بقية الجاليات الساكنة بالأقاليم التونسية ، ورغبة منهم – فيما يبدو– في حفظ الأصول والخصوصيات . فنتج عن ذالك التواجد احتكاك ثقافي ، رصدته النوازل من خلال السفر والتوجه إلى تلك المدينة[2]، أو من خلال الإستشهاد بما ذهب إليه الأشياخ المحققون من تونس[3] ، والأمر ذاته يصدق على حاضرة إفريقية الأولى وعاصمتها التاريخية مدينة القيروان.[4]

غير أن العلاقات الثقافية بين الحاضرتين كانت قد تأصلت منذ القرن التاسع للهجرة ، حين استفتي المفتي التونسي محمد الرصاع حول قضية يهود توات الشهيرة ، وكان من الذين أوصوا

---

[1] – **تونس**: من مدن إفريقية الكبيرة ، اسمها القديم ترشيش ، وتونس حادث لها واشبقاقه من التأنيس ، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها تسمى قرطاجنة ، تقع في سفح جبل ولها خمسة أبواب ، دخلها حسان بن النعمان عنوة سنة 70هـ /689م ، وبنى بها مسجدا وأسكنها طائفة من المسلمين وأحكم بناءها ، ذكر صاحب المؤنس أن الخليفة العباسي أباجعفر المنصور كان يصفها بإحدى القيروانين ، تعظيما لها ، وهي دار علم وفقه ، من أعظم بلاد إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، وعاصمة الأمراء من بني حفص. ينظر : محمد بن أبي القاسم القيرواني (ابن أبي دينار) ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1 ،تونس : المطبعة التونسية ،1869م ص06/ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج02 ،ص60.

2 – عبد الرحمان الجنتوري ، المصدر السابق ، ص12 .

3 – المصدر نفسه ، ص88

4 – المصدر نفسه ، ص37 .

في مراسلاته لعلماء توات بالتسامح والاعتدال تجاههم[1]. كما ساهمت قوافل الحجيج التي كان يفد بعضها على تونس ، عبر الطريق المحاذية لحافة الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس[2] في توطيد العلاقات .

أما الشخصيات العلمية التواتية التي أثْرَت الحياة الثقافية في تونس ، وتركت بصماتها على الحركة الفكرية العلمية في تلك الحاضرة وأخواتها ، ورعَتْ عهد الصلةِ والتواصل بينها وبين توات ، فقد نشطت بشكل جلي خلال القرن 12هـ مقارنة مع القرون السابقة ، ومن أشهرها كلٌّ من:

- الشيخ محمد التواتي (ت 1031هـ/1622م)[3]: ارتحل من المغرب الأقصى إلى مدينة قسنطينة ، فاشتهر بها وانتشر علمه وأقبلت إليه الطلبة وانتفعوا به ، ومنهم تلميذه الشيخ عبد الكريم الفكون ، نبغ في الأصول وعلم القراءات والمنطق والبيان والنحو بالأخص ، وكان يبيت مكبا على القراءة ، لا يرى إلا مطالعاً أو ناسخاً ، ثم بدا له بعد ذالك الإنتقال إلى تونس ، حيث شاع خبره ووقع له القبول عند عامتها وأهل باديتها ، فدرّس بمدرسة الباي أبي الحسن علي باشا ، وبمدينة باجة التونسية كانت وفاته بالطاعون.

خلّف هذا العالم التواتي الرحّالة الذي جسد معاني التواصل الثقافي بن المغارب الثلاثة (الأقصى والأوسط والأدنى) تآليف قيِّمة ، اعتُمد بعضها في برنامج التدريس بجامع لزيتونة ، لكن معظمها لايزال مخطوطا في رفوف المكتبات التونسية والأوروبية ومنها: "غنية الراغب

---

1 - روبار برانشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى غاية القرن 15م ،ترجمة: حمادي الساحلي ، ط1 ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، 1988م ،ج01 ، ص440 .

2 - روبار برانشفيك ، المرجع السابق ، ج02 ، ص248 .

3 - ينظر: عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص57. أيضا: أحمد أبالصافي جعفري ، العلاقات الفكرية والثقافية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، ملتقى أدرار تيهرت ، ص126 .

ومنية الطالب" و "شرح الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العرُّبية "، و "الخبر في معرفة عجائب البشر" وغيرها .

- الشيخ الكوش التواتي التونسي (ت ق 12هـ)[1]: كان آدم اللون كوشاً من أهل توات، أرسله شيخه مولاي التهامي البلمحي الحسني إلى تونس نزولاً عند رغبة أهلها، فبنى زاويته بخارج باب مدينة تونس، ومنها انتشر صيته وعلا قدره ، واجتمع عليه التونسيون، فلازموا السنة وتركوا البدع، وعاش حياته بين ظهرانيهم مرغوبا مطلوبا، ظهرت له كرامات وخوارق للعادات، وعين المقدّمين والأتباع في الأقطار التونسية، فلزموا صحبته حتى وافته المنية ودفن في زاويته المذكورة .

- الشيخ محمد العربي بن محمد التواتي (تبعد1149هـ /1736م)[2]: انتصب للتدريس بالجامع الكبير في تونس ، فأفاد وأجاد ، وتخرج على يديه خلق كثير ، كما تولى منصب القضاء ، فكانت سمته العفة والصلاح والزهد .

- ومن الشيوخ التواتيين الآخرين الذين أشعوا بمعارفهم وعطاءاتهم الفكرية البلاد التونسية كلٌّ من[3]: أبوعبد الله محمد التواتي (1107هـ /1696م) ، محمد الصغير محمد العربي التواتي (ت بعد1180هـ /1766م) ، الشيخ احميدة التواتي (ت بعد1188هـ /1774م) ، الشيخ محمد السنوسي التواتي (ت بعد 1194هـ /1780م) . بالإضافة إلى الشيخ القاضي البكري بن عبد الكريم ، الذي رحل إلى تونس في طريقه إلى الحج ، وأسَّس بها زاوية مشهورة

1 - محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ،ج06 ،ص2260 .
2 - أحمد أبالصافي جعفري ، المرجع السابق ، ص127 .
3 - نفسه.

باسمه إلى الآن ، لكنه لم يلبث فيها طويلا حيث رحل عنها إلى ليبيا ثم مصر ومنها نحوالبقاع المقدسة[1].

ث. مع حواضر مصر:

إن الموقع الجغرافي المتميز لمصر والذي يتوسط العالم العربي جعلها همزة وصل بين مشرقه ومغربه، مما أهلها أن تحتلّ مكانة تاريخية في القديم والحديث، اعترف لها بها القاصي والداني، وذلك أكدته كتابات الرحالة والمؤرخون.

ولقد أدرك التواتيون كغيرهم من الشعوب تلك الأهمية التي تحظى بها مصر، فأولوها اهتمامهم، حيث جعلوها محطة أساسية في رحلاتهم الحجازية وقبلة ضرورية في تعلمهم وتفقههم، هذه الأسباب التي أنتجت مع مُضي الزمن علاقات مختلفة بين الحاضرتين، كانت أبرزها العلاقات العلمية والفكرية التي تعود بداياتها إلى عهد الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، ولكنها بدت بصورة جلية مع مطلع العصر الحديث من خلال تعدد الأواصر العلمية التي ربطت بين حواضر مصر ومنطقة توات، والتي يمكن ذكر أبرز مظاهرها فيما يلي:

- اعتبار مصر نقطة توقف أساسية في رحلات علماء المنطقة إلى المشرق والحجاز، ولقد جاء ذكر ذلك في كثير من مؤلفات علماء المنطقة، ومن الذين أقاموا بمصر لمدة طويلة الشيخ عبد الكريم بن محمد، والفقيه الحاج محمد بن جعفر دفين تمقطن بأولف، كما أن الشيخ عبد الرحمان بن باعومر أدركه الأجل هناك في مصر، ودُفن بمقبرة سيدي عبد الله المنوفـــــي. وقال في رثائه الشيخ محمد بن المبروك:

ألا يـــا مصـــر قـــد ازددت فخـــراً *** بجَـــبْـــرِ حـــل مقبـــرة المنـــوفي

1 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص 130 .

- تتلمُذ عدد من الأعلام التواتيين بالديار المصرية كالشيخ عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد الذي أخذ عن العلامة علي الجهوري المصري والشيخ أحمد المقري التلمساني نزيل القاهرة[1]، كما حصل الشيخ محمد عبد الرحمان بن محمد السكوتي على إجازة بمصر من الشيخ يوسف النبهاني.[2]

كما التقى الشيخ البكري بن عبد الكريم بن أمحمد علماء كبار بمصر لما ارتحل إليها، منهم الشيخ أبي عبد الله الخرشي مفتي الديار المصرية آنذاك.[3]

وقد نزل الشيخ إدريس بن عمر بن عبد القادر التواتي بالقاهرة طالبا للعلم، حيث التقى هناك العالم مرتضى الزبيدي (ت 1792)، والذي تحدّث عن الشيخ إدريس بن عمر قائلاً: "ورَد إلى مصر مرات؛ منها سنة 1168هـ، فلقيتُه في دار الكتب، وطلب مني شيئاً من شرح القاموس، فاغتبط به، ثم ورد علينا سنة 1194هـ، فورد منْزلي وُرود محب على محب، وقرأ عليَّ أشياء، منها الدلائل، والأحزاب، واغتبط بشرح (الإحياء) كثيراً، وتأسف على عدم التمكن من تحصيله ليذهب به إلى بلاده، وقد أجزته في كراسة، وعمّمت فيها لأولاده. وهو مليح الخط، كثير الود، خالص الاعتقاد".[4]

- جلوس بعض الأعلام التواتيين بمصر للتدريس أو القضاء، كالذي فعل القاضي أحمد بن سالم العصنوني، الذي تولى القضاء بالقاهرة خلال القرن العاشر للهجرة (16م)[5]، وكذلك الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني الذي نزل بالقاهرة مرات

---

[1] – محمد بن عبد الكريم بكراوي، جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 05.

[2] – الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ص 212.

[3] – جعفري أحمد أبا الصافي، العلاقات الفكرية، مرجع سابق، ص 126.

[4] – نفسه.

[5] – عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 118.

عديدة نظرا لحفاوة الإستقبال التي كان يحظى بها هناك لما يعرفه أهل البلد عنه من علم وفضل، وكان أثناء إقامته هناك بمصر يلقى التقدير البالغ، وقد وصف ذلك بنفسه قائلاً: " أقبل عليّ الفقهاء، واعتقدوا فيّ ما لست له أهلاً، يأتون أفواجا للدعاء، ويقدمونني للصلاة إذا حضرت الصلاة".[1]

- المناظرات والمحاورات والرسائل التي بين علماء حاضرة توات وحواضر مصر كالذي جرى بين الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ جلال الدين السيوطي حول علم المنطق.[2]

- اعتماد كثير من المتون والمدائح (المصرية) في مدارس وزوايا المنطقة، ونذكر من ذلك تمثيلا:

. الخريدة البهية في العقائد التوحيدية.

. أقرب المسالك على بلغة السالك في الفقه، للدر ديري، ومختصر خليل في الفقه.

. الجوهرة في التوحيد لإبراهيم اللقاني.

. العشماوية في الفقه للشيخ العشماوي. وغير ذلك.

كما نذكر هنا أن من أقدم الكتب المصرية التي دخلت الإقليم كانت كتب ابن الحاجب في القرن السادس الهجري.[3]

[1] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، رحلة حجية، مصدر سابق، ص 18.

[2] – مرت بنا بعض تفاصيل المناظرة في الفصل الأول من القسم الثالث في مستهل الحديث عن المناظرات العلمية.

[3] – جعفري أحمد أبالصافي، نفسه، ص 125.

ج. علاقات توات العلمية مع طرابلس الغرب وأقاليمها:

كانت الأقاليم الليبية معبرا لركب حجيج المناطق والبلدان الواقعة غربها، فهي بذلك معبر مهم لمن أراد التنقل نحو بلاد المشرق من ساكنة توات، الأمر الذي نتج عنه صلات مختلفة جمعت بين أهل توات وقاطني تلك الأقاليم الليبية، ولعل العلاقات العلمية بينهما كانت أبرز تلك الصلات، حيث تنقل لنا المصادر التاريخية أنه في عام 890هـ/1485م قدِم ابن باي طرابلس، وطاف بتوات ومعه عشرة علماء، كل واحد منهم يحفظ خليل، وبعض أصول المذهب... وكتب ابن الحاجب، وعلم المعني والبيان، وتبعهم من علماء توات الشيخ علي بن عبد الله ومحمد بن العالم إلى بدريان.[1]

وتعتبر هذه الحادثة مؤشر لعلاقات توطدت أواصرها خلال الفترة الحديثة بتربع بعض أعلام توات على كرسي التدريس هناك، كالشيخ الحسن بن محمد التواتي الذي جلس للتدريس الفقهي واللغوي بجنوب ليبيا.[2]

ويصف الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني إقبال طلبة قرية زويلة قاعدة فزّان في القديم عليه، وذلك أثناء مروره بها في رحلته إلى الحج قائلا: " اجتمع عليّ طلبتها مع طالب من الحمر يسألون عن مسائلهم، منهم من يسأل امتحانا ومنهم من يسأل مستفيدا، ولم يقع لنا فيما قبلها".[3]

ولم تكن علاقات توات بطرابس الغرب وأقاليمها تقتصر على التدريس وحده، بل تعدته إلى وُقوع مناظرات علمية بين أفراد من الطرفين، كالذي حصل مع الشيخ محمد الحسن بن

---

[1] – محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، درة الأقلام، مصدر سابق، ص 18.

[2] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 115.

[3] – عبد الرحمان بن عمر التنلاني، رحلة حجية، مصدر سابق، ص 10.

محمد بن الحاج أحمد بن مالك الفلاّني الذي رحل إلى طرابلس وكانت له مع علمائها محاورات.[1]

وفي ختام الحديث عن علاقات توات العلمية بالحواضر والأمصار غير الجزائرية، لا بد من التنويه بما ذكرتُه آنفا أن هناك عوامل تحكمت في هذه العلاقات من حيث متانتها أو بساطتها، ولعلّ أهمها عاملا الجوار، أو وُقوعها كمعبر في طريق القوافل التواتية.

وقد مرّ بنا كيف كان لتوات علاقات علمية متوطدة مع المناطق المجاورة خصوصا، لكنّ ذلك لا ينفي نشوء علاقات علمية تميزت بالبساطة وبالفردية في غالب الأحيان بين توات وحواضر غير مجاورة لها، كالعلاقة التي جمعتها مع عاصمة الخلافة العثمانية اسطنبول، والتي جسّدها الشيخ محمد بن إسماعيل الجراري (ت1064هـ/1653م)، والذي جمعته ملاقاة بوزير السلطان العثماني بالعراق، وعند سفر الشيخ الجراري إلى اسطنبول اجتمع مع ذلك الوزير الذي أكرم قدومه بأن أمدّه بخزانة عظيمة من الكتب نقلها إلى مسقط رأسه بتوات.[2]

---

[1] – الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ص 212.

[2] – محمد بن عبد الكريم بكراوي، المصدر السابق، نسخة المطارفة، ص 09. ويذكر صاحب كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات أن الشيخ أحمد بن علي النحوي اجتمع مع سلطان اسطنبول وأهداه مجموعة كبيرة من الكتب. يُنظر: الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي، ص 214. ولم يتسنّى لي التأكد ما إذا كانت هذه الحادثة المتشابهة وقعت مع شخصين مختلفين، أم أنها حادثة واحدة وقعت لشخص واحد، ووقع الخطأ من المُترجم لإسم الشخص.

خلاصة القسم الثالث

نخلص ممّا تقدم ذكره ضمن طيّات فصلَي القسم الثالث إلى أن الفترة الحديثة بتوات احتضنت علماء كانوا سببا في ازدهار العلوم والمعارف خلالها، و لم تخلوا أيّة مرحلة من تلك الفترة من مساهمة أولئك العلماء في إثرائها، وقد تميزت الفترة الأخيرة من مرحلة الدراسة وهي القرن 12هـ عن نظيرتَيها بالعدد الهائل من العلماء الذين ازدانت بوجودهم وجهودهم الحركة الفكرية التواتية، حيث ساهموا في اثراء الساحة العلمية إقراءا وتأليفا، كالشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني و عبد الرحمان الجنتوري ومحمد الزجلاوي وعبد الرحمان التنلاني ومحمد بن أبّ المزمري وغيرهم كثيرون.

وما يمكن التوصل إليه من خلال دراسة تراجم أولئك العلماء الأجلاء هو معرفة المكانة العلمية التي بلغوها والتي لا تقل مرتبة عن علماء الحواضر الكبرى كفاس وتلمسان والقاهرة، كما يمكن الوقوف على المظاهر الدالة على الحركة العلمية الحاصلة وحيويتها كشيوع ظاهرة التّرحال العلمي والكتابة في أدب الرحالة ، حيث تنوعت الرحلات مابين علمية وحجازية، وحملت بين طيّاتها فوائد جمّة تجاوزت الغرض المباشر لها، وأدّى ذلك إلى تبلور ظاهرة ثقافية أخرى هي المحاورات والمناظرات والمراسلات مابين العلماء والفقهاء ، حيث تتعددت أسبابها ومضامينها وشكّلت مناخا مميزا سادته الأدلّة الدّامغة والقرائن الجلية.

والملاحظ من خلال كل ما سبق عرضه في القسم الثالث أن تلك النهضة الثقافية تجاوزت الحدود الجغرافية التواتية، وتداخلت في كثير من معطياتها مع الحواضر الثقافية المحيطة بتوات تأثيرا وتأثّرا، فتوطدت العلاقات الثقافية إثرها، ومثّل الأعلام التواتيون قواسم مشتركة فيما بينها، من خلال تنقلاتهم وزياراتهم المستمرة لكبريات الحواضر العلمية كفاس وتلمسان وتنبكتو والقاهرة.

الخاتمة

يخرج الباحث في الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني بانطباعات عديدة لعلّها هي خلاصة موضوع الدراسة، وهذه الإنطباعات مزدوجة الإفادة، الأولى منها تتعلق بالمصادر المحلية وقيمتها التاريخية، أما الثانية فتتعلق بالإستنتاجات العامة المحصل عليها من صلب موضوع الدراسة.

ويمكن إجمال الإفادات المتعلقة بالمصادر المحلية في النقاط الآتية:

- إنّ المصادر المحلية ذات أهمية كبرى في صياغة تاريخ المنطقة، ومن ثـــمّة دراسة الحركة العلمية بها، إذْ أنّ هذه المصادر هي لسان حال المنطقة الذي يشرح لنا تفاصيل الحياة بها، وذلك أن جلّها كتب خلال الفترة المدروسة.
- ساهمت المصادر المحلية مساهمة لا يُستهان بها في إثراء فترة مهمّة من تاريخ المنطقة، وتوصيل الحلاقات التي أهملتها المصادر الأخرى.
- كثرة وتنوّع المصادر المحلية المكتوبة خلال تلك الفترة، وغنى مضامينها، على غرار الغنية البلبالية، ونوازل الزجلاوي ورحلة التينيلاني وفهرسة شيوخه.
- هيمنة العلوم النّقلية على موضوعات المصادر المحلية، كالفقه وأصوله، والنحو وفنونه، والتاريخ ونقوله.

أما ما يتعلق بالاستنتاجات العامة المتحصل عليها من صلب موضوع الدراسة فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- كان لتردي الأوضاع السياسية ببلدان شمال إفريقيا في مطلع العصر الحديث انعكاسات إيجابية على المنطقة التواتية، إذْ هاجر إليها علماء كبار أسّسوا للحركة العلمية التي ازدهرت خلال الفترة الحديثة.

- ترجع جذور النهضة العلمية التي عرفتها منطقة توات في مطلع العصر الحديث إلى عوامل متراكمة سبقت ذلك الزمن، لأنّ الحاصل لم يكن ليَنبعث من عدم، ولعل العامل الرئيسي في بوادر تلك النهضة العلمية هو توافد علماء إجلاء على المنطقة، وما خلّفوه من تآليف وتصانيف ورجال، فأسسوا لما بات يعرف بالحاضرة العلمية فيما بعد.
- لم تُشر المصادر التاريخية إلى أي أثر للحركة العلمية بالمنطقة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (12و13م)، بيد أن أول إشارة للحركة العلمية بالمنطقة نجدها خلال القرن الثامن الهجري (14م)، وهو القرن الذي عرفت فيه الحركة العلمية انتعاشا ملحوظا لاسيما بمنطقتي تمنطيط وأولاد سعيد، غير أن هذه الحركة ظلت في بدايتها ملتصقة بالقضاء.
- إن المتتبع لمسار الحركة العلمية في القرون القليلة التي سبقت القرن السادس عشر الميلادي يلحظ أنها تراجعت تراجعا ملموسا خلال القرن الخامس عشر مقارنة بسابقه الرابع عشر، فقد كثرت في القرن الخامس عشر الحواشي، وتحشية الحواشي، والاهتمام بالعناوين المسجوعة، وغلق باب الاجتهاد، وذلك راجع إلى الإضطرابات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب نتيجة ضعف الدول القائمة آنذاك الزيانيين والمرينين، وكذا تردي الأوضاع الإقتصادية والتي ألقت بظلالها على الحياة الثقافية.
- ثراء الفترة الحديثة بسبب التمايز الواضح في الأوضاع السائدة، في المجالات السياسية والأمنية والإقتصادية، وقدرة المجتمع التواتي على وضع هيكل إداري خاص بهم بديلا عن مراكز الإستقطاب الإقليمية المجاورة.
- إن انشغال العثمانيين بالأحداث الدائرة في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا وأيضا بمستجدات دولتهم المترامية الأطراف وتركيزهم على الشمال الجزائري، قلّل من رغبتهم في التدخُّل في المناطق الجنوبية للقطر الجزائري، مما جعل تأثير الوجود العثماني في الجزائر على التسيير الإداري لتوات قليل أو يكاد ينعدم، حيث حافظت المنطقة على نمطها الإستقلالي مقابل ضريبة رمزية على الساكنة.

- استفاد أهل توات من موقع منطقتهم الذي يتوسّط الصحراء، حيث أصبحت بفضل هذا الموقع نقطة التقاء وتجمع القوافل التجارية العابرة للصحراء، مما رغّبهم في امتطاء فلك التجارة والتي فتحت لهم أبواب التعامل والتعرف على المناطق المجاورة داخل الجزائر وخارجها.
- كان للتجارة أثر بالغ الأهمية في الحركة العلمية بتوات إذ بفضلها وصل العديد من التجار العلماء إلى توات والكثير من الكتب المخطوطة، مما ساهم مساهمة فعَّالة في تبادل المعارف والعلوم، ونتج عن ذلك كله انتعاش الحياة العلمية.
- تميز المجتمع التواتي بالبساطة مما أبعدت عنه مشاكل التعقيدات الاجتماعية وما ينتج عنها من آفات قلّ وجودها وتقلص انتشارها، وبذلك فُسح المجال لانتشار عادات وتقاليد لا تكاد تحيد عن الهدي المحمود، الذي تجلى واضحا في إكرام أهل الفضل من العلماء وطلبة العلم، وتحبيس الأوقاف لصالح مدارسهم وزواياهم، واشتراكهم في دفع مصاريف بناء المؤسسات التعليمية والمعلمين والقضاة، مما ساهم بشكل فعّال في التأسيس للنهضة العلمية التي عرفتها المنطقة واستمراريتها.
- لم يمنع تمسك التواتيين بالمذهب المالكي من بروز تيارات دينية وفكرية ذات توجهات متباينة، احتدم الصراع فيما بينها في ربوع العالم الإسلامي، مشرقه ومغربه، ووصل إلى توات، مما انعكس على طبائع الناس وعوائدهم، وشغل عقولهم وأفئدتهم ردحاً من الزمن، على رأس تلك التيارات الحركتان الصوفية والوهابية.
- احتضنت المراكز التعليمية كالمساجد والزوايا والكتاتيب المنتشرة عبر ربوع توات الحِراك العلمي القائم بالمنطقة، وكان لهذه المراكز والعلماء القائمين عليها عظيم الفضل في تكوين نخب علمية.
- انتهج التواتيون طرائق معلومة في تعليم أبنائهم تتميز بالتدرج في التحصيل والإكتساب عبر مراحل رئيسية محددة، بدءا بمرحلة التلقين والتهجي إلى مرحلة التعمق ثم الإذن والإجازة.

- اهتم أهل توات بالعديد من العلوم المختلفة التي تستدعي الاطلاع والمعرفة، إلا أنها تتفاوت من حيث اهتماماتهم، حيث نالت العلوم النقلية القسط الوافر على حساب العلوم العقلية.
- لم تخلوا أيّةُ مرحلة من الفترة الحديثة من مساهمة علماء أجلاّء في دفع عجلة الحركة العلمية، وقد تميّز القرن 12هـ/18م على باقي قرون العصر الحديث بكثرة علمائه ومساهمتهم الفعالة في ازدهار الحركة العلمية بالمنطقة.
- بلغ علماء توات مكانة علمية لا تقلّ مرتبةً عن علماء الحواضر الكبرى كفاس وتلمسان، فمنهم من بلغ مرتبة الإجتهاد المذهبي كالشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني والشيخ عبد الرحمان الجنتوري والشيخ محمد بن العالم الزجلاوي وغيرهم، ومنهم من زاحم علماء الحواضر الأخرى في ديارهم كالشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني الذي درّس بجامع القرويين بفاس، والشيخ البكري بن عبد الكريم الذي أنشأ مدرسة بتونس وغيرهما، ومنهم من سلك منهجا دلّ على رسوخ قدمه في القضاء كالشيخ عبد الكريم بن أمحمد الأمريني، والشيخ عبد الحق بن عبد الكريم البكري وغيرهما.
- عرفت المنطقة نظام قضائي خاص، دعامته قضاة مشهود لهم بالعلم والدراية، وقوامه فقهاء مقوّمون للأحكام القضائية الصادرة، مع السبق الجلي لبعضهم على بعض في هذا الإطار.
- تعدّدت سبل كسب عيش العلماء في توات، فمنهم من امتهن التجارة وبعضهم الزراعة ومنهم من اعتمد على الوقف في عيشه أو لتزويد بعض الزوايا العلمية في المنطقة.
- ضمّت المنطقة العديد من خزائن الكتب المخطوطة التي حفظت علوم علمائها واجتهاداتهم، وقد انتشرت هذه الخزائن انتشار الزوايا والمدارس العلمية بتوات، وهيمن عليها طابع الملكية الأسرية، ويرجع ذلك إلى الأسر العلمية التي اشتهرت بعلمائها الذين كان لهم الفضل في تشكيل هذه الخزائن وإثرائها بكتبهم كالأسرة البكرية والتنيلانية والكنتية وغيرهم.
- مثّلت المحاورات والمناظرات العلمية سبيلا للتواصل الفكري بين علماء توات بمناطقها الثلاث فيما بينهم من جهة، وفي مواجهة أترابهم المغاربة وغيرهم من جهة أخرى، ووسيلة إلى

توحيد الأفهام والاجتهادات، لتجسّد دورا مهما تمثل في إخراج العلوم من دائرة التلقين والتلقّي إلى دائرة النقاش والبحث.

- ساهمت الرحلات في تدعيم العلاقات العلمية، حيث أعطتها نفسا جديدا، وذلك بتطوير المناهج والأساليب الدراسية، وإمداد المنطقة بكمّ هائل من نفائس الكتب، وتوسيع علاقات علماء توات بأعلام الحواضر الأخرى، ووصْل علومهم بأسانيد ومرجعيات راسخة عن ثقات الأمة ورجالها، نتج عن ذلك إجازات علمية مُنحت لهم في الحواضر والبلدان الأخرى.
- لركْب الحجيج دور فعّال في إعطاء مزيد من التواصل والاحتكاك بين العلماء والطلبة، مثّلت محطات التوقف في توات فضاء واسع لهذا الاحتكاك.

وأخيرا فدراستي هذه هي جُهد الــمُقِل، أردتُ من خلالها إزالة العتمة عن بعض جوانب الحركة العلمية بمنطقة من جنوبنا الجزائري، والأكيد أنّ هناك جوانب أخرى لا زالت خافية، يمكن العبور إليها عبر جسر المخطوطات المحلية المتداعي من يوم لآخر، إنْ لم يتداركه المركز الوطني بالترميم، أو يهبّ الباحثون وذوو الاختصاص إلى ما تبقّى من دُرره ومكنوناته، فيخرجونها من رمْسها ويطلقونها من حبسها، ولعلّي وصلت إلى جزء مما هو واجب علينا اتجاه موروثنا الثقافي الحضاري، وقد أبى اللهُ الكمالَ لغير كتابه.

الـمـلاحـــق

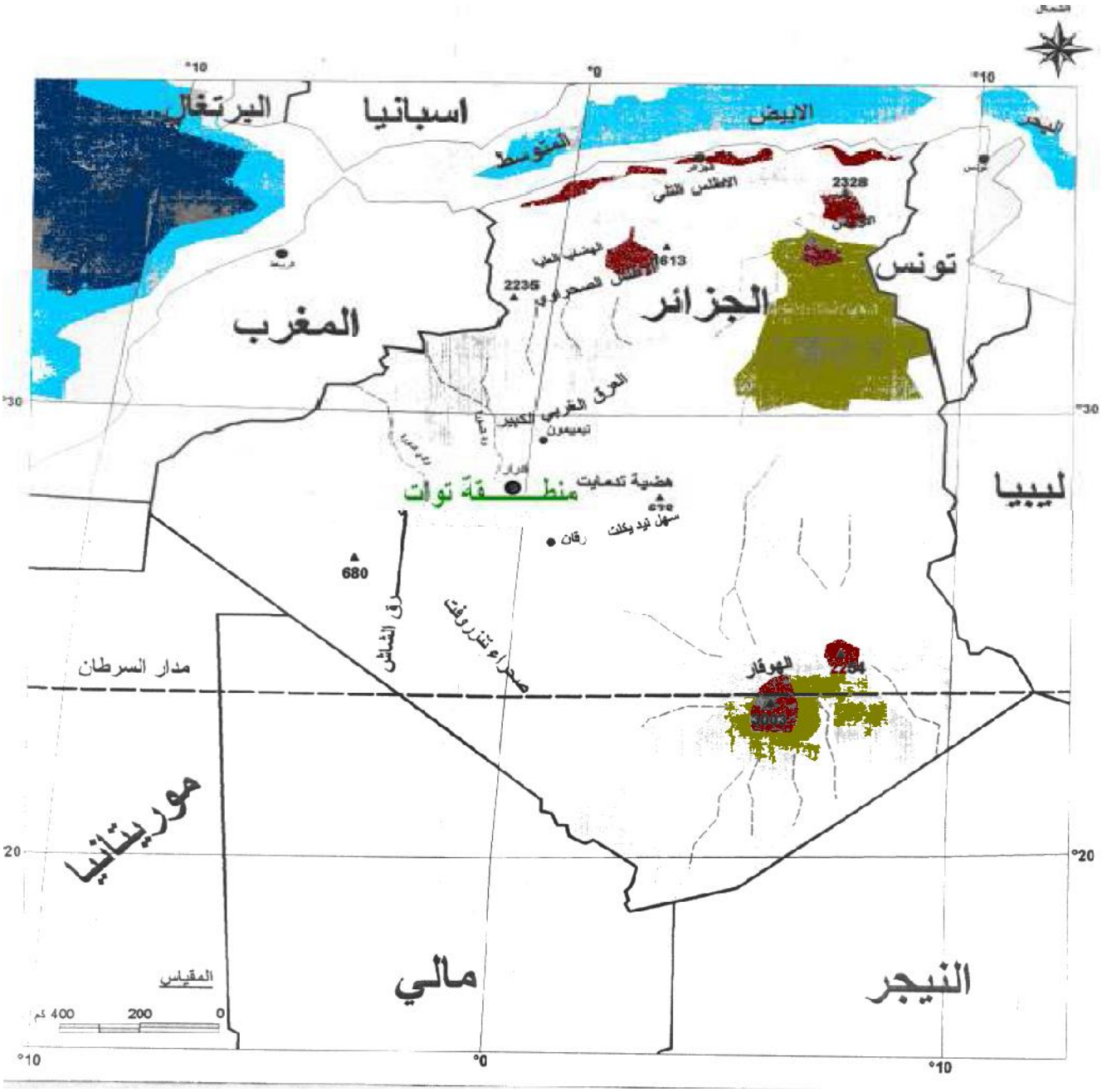

الملحق رقم 01 : موقع منطقة توات وحدودها

المصدر: بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات (تمنطيط نموذجا) من القرن 6هـ إلى 13هـ، ص202.

ملاحظة: إن حدود الجزائر خلال الفترة المدروسة تختلف نسبيا عن الحدود المبيّنة في الخريطة هذه، ولكن طبيعة الدراسة اقتضت ذلك.

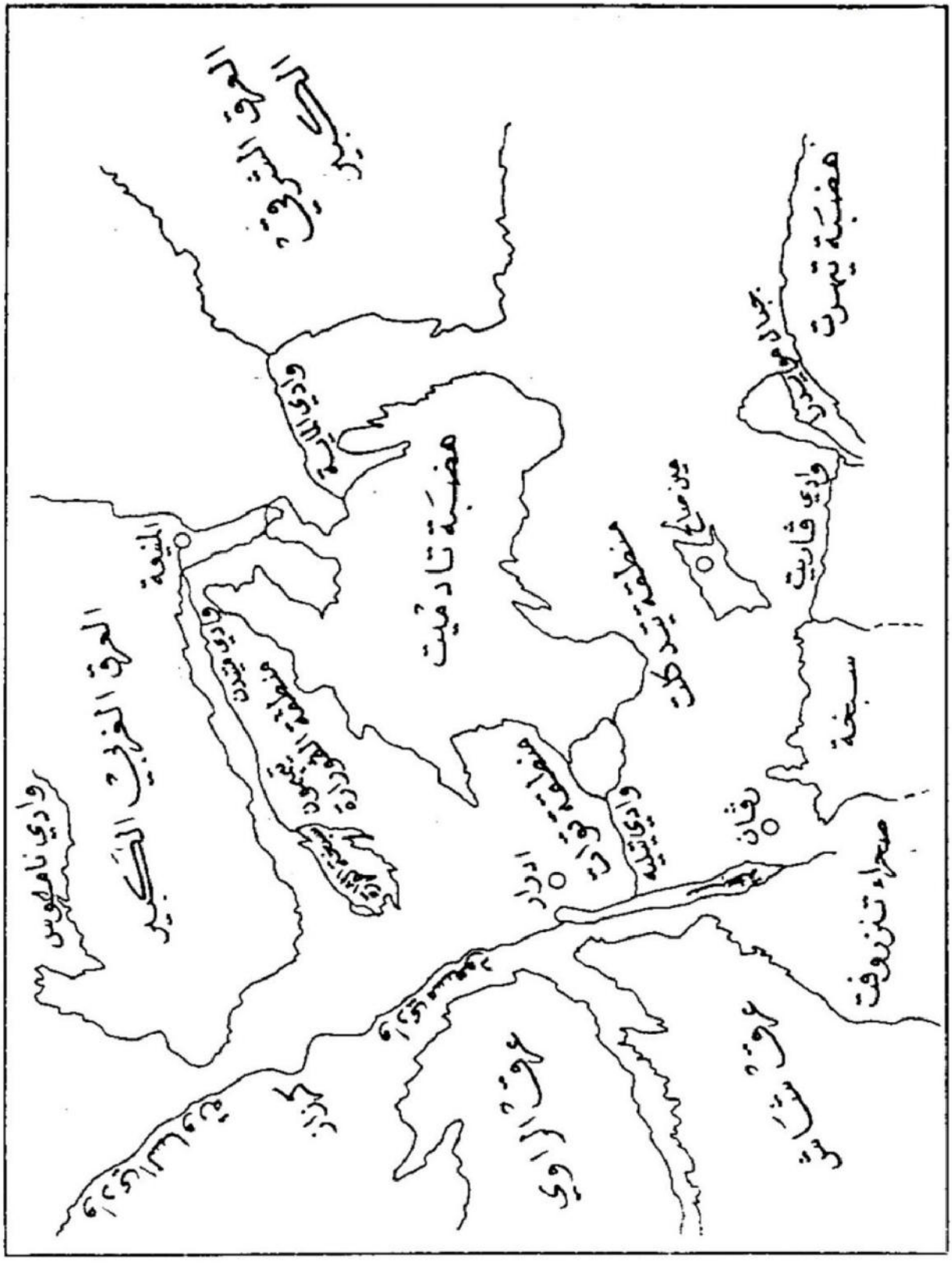

الملحق رقم 02: خريطة توضح موقع منطقة توات وتخومها الصحراية

المصدر: فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18-19 الميلاديين.

حدود داخلية

حدود دولية

• مقر عاصمة الإقليم

الملحق رقم 03 : مناطق توات الثلاث وعواصمها

من إعداد الطالب: سالم بوتدارة

صورة لرسالة مخطوطة مؤرخة بتاريخ 15 ماي 1235م/موافق نحو 25 شعبان سنة 632هـ ذكر فيها اسم الحبر اليهودي التواتي "الربّي إسحاق التواتي".والرسالة هذه تعتبر لحد الآن أقدم مصدر ذكر فيه اسم "توات"،وفيه إشارة إلى الوجود اليهودي ببلاد توات بهذا التاريخ.

أصل هذه الرسالة محفوظ حاليا بجامعة Cambridge بالولايات الأمريكية المتحدة تحت رقم:TS.AR.53.67.

La lettre d'Ibrahim al Touaty, (recto-verso) avec l'aimable autorisation du Directeur de «Taylor-Schechter Genizah Research Unit» (Université de Cambridge).

المصدر:

-Jacob Oliel.Les Juifs au Sahara-Le Touat au Moyen Age.CNRS Edition,Paris,1994.

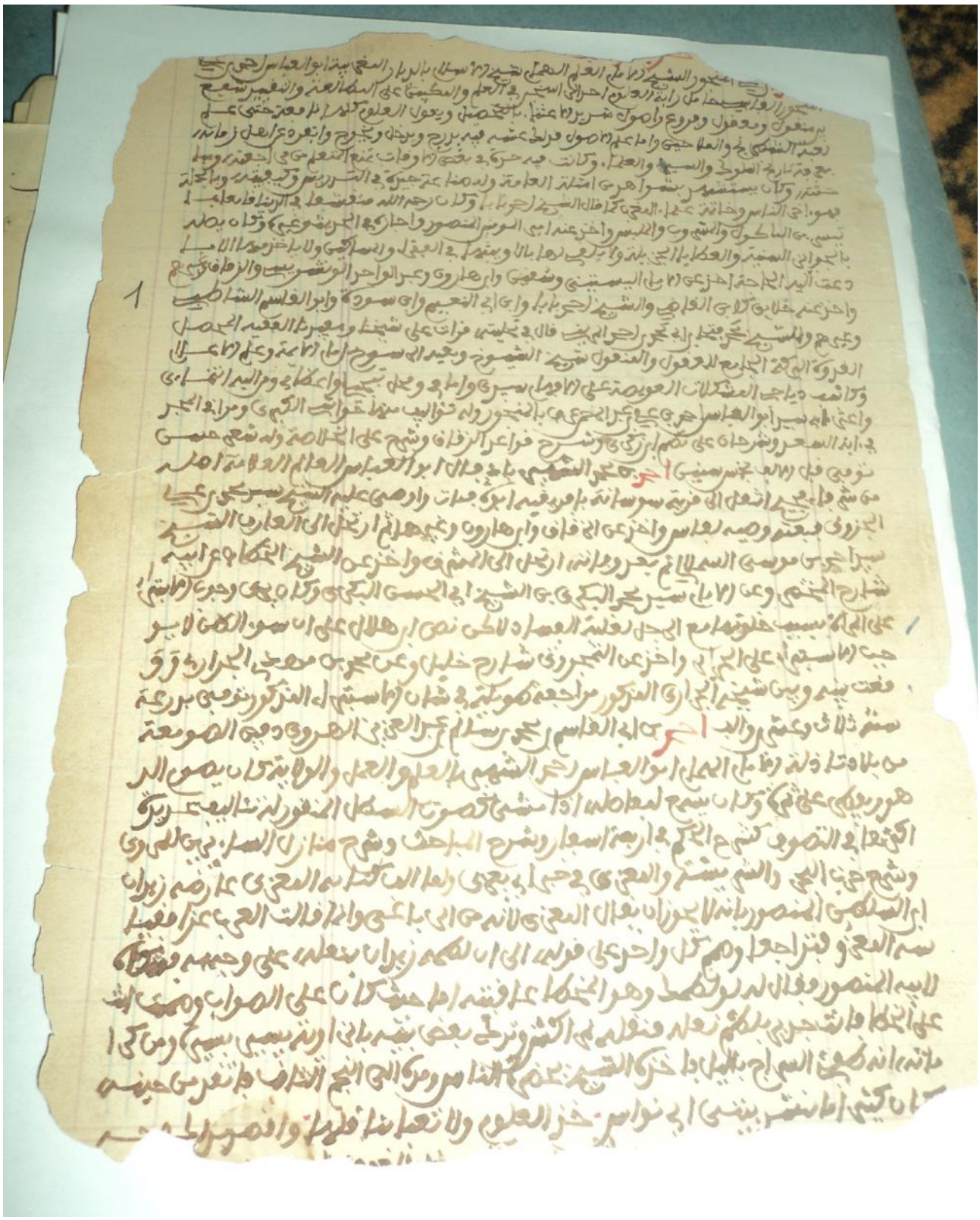

الملحق رقم: 05. الصفحة الأولى من مخطوط جوهرة المعاني فيما ثبت لديّ من علماء الألف الثاني

للشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري

خزانة كوسام . أدرار

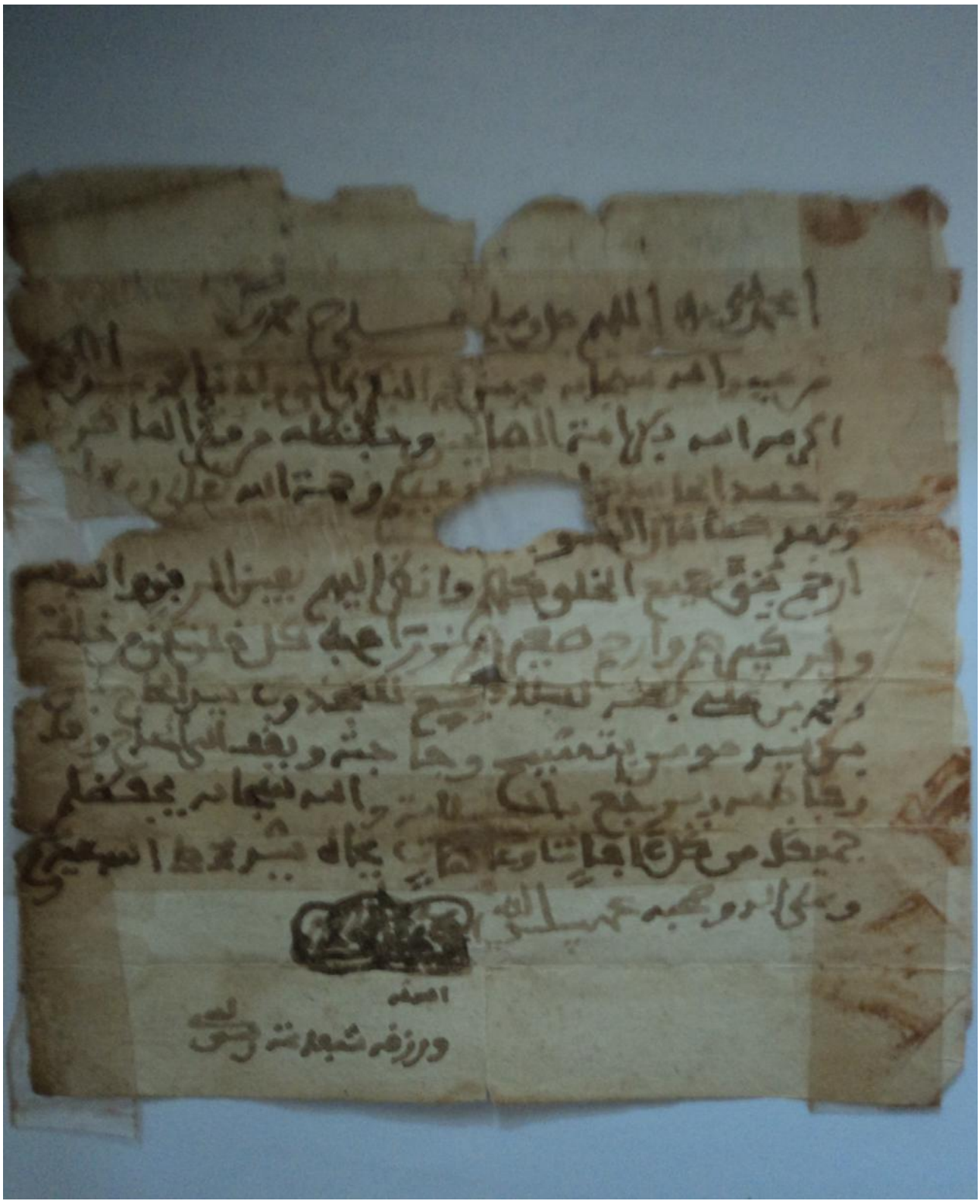

الملحق رقم 6: رسالة مخطوطة من الشيخ محمد بن سيد البكري إلى ابنه عبد الكريم

الخزانة البكرية ــ تمنطيط. أدرار

الملحق رقم: 07

صفحتان من مخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من مسائل

للشيخ عبد العزيز البلبالي

خزانة المطارفة – أدرار – الجزائر

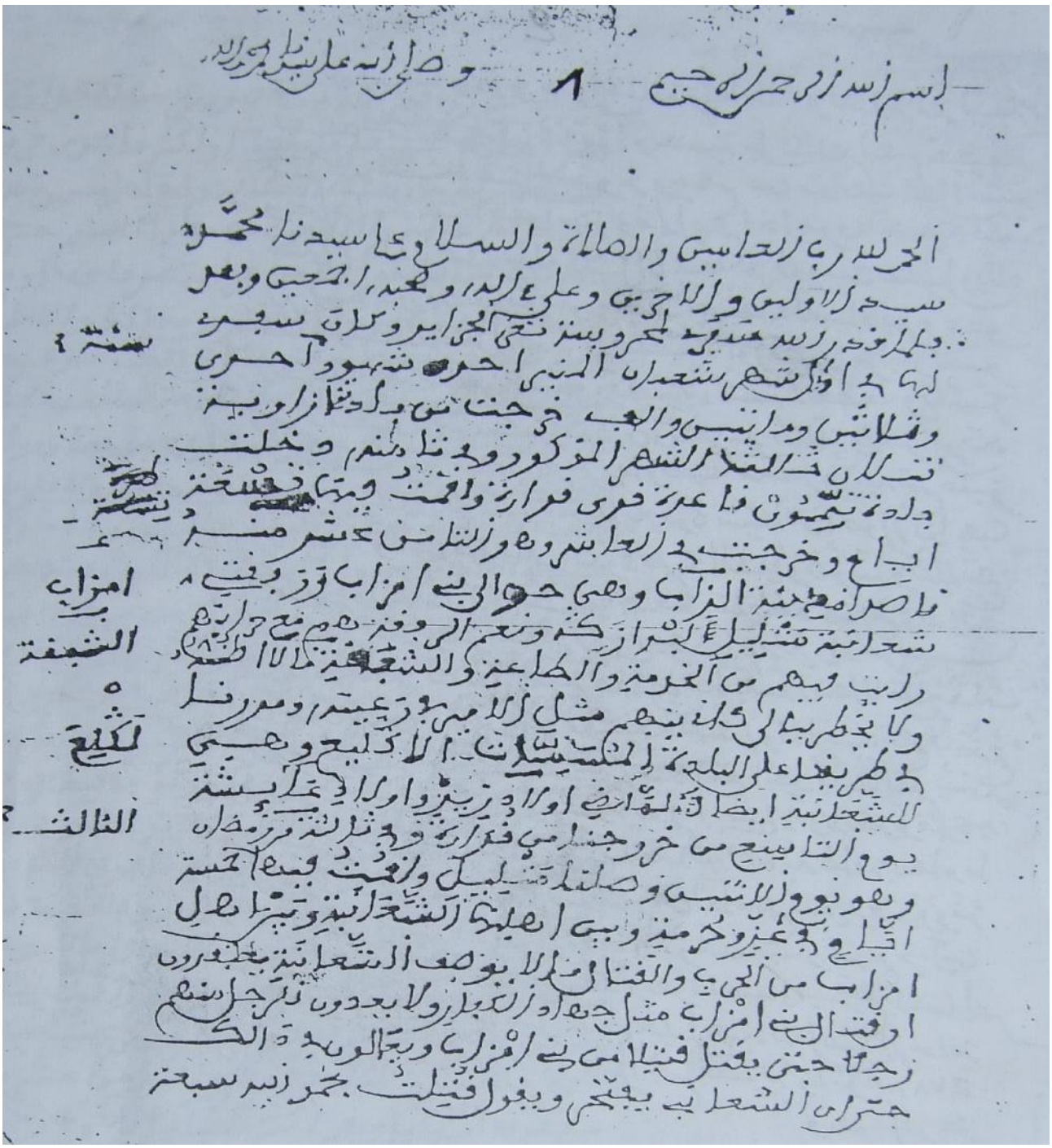

ملحق رقم: 08

الصفحة الأولى من مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التينيلاني إلى الجزائر العاصمة سنة 1816هـ

خزانة باعبد الله. أدرار. الجزائر

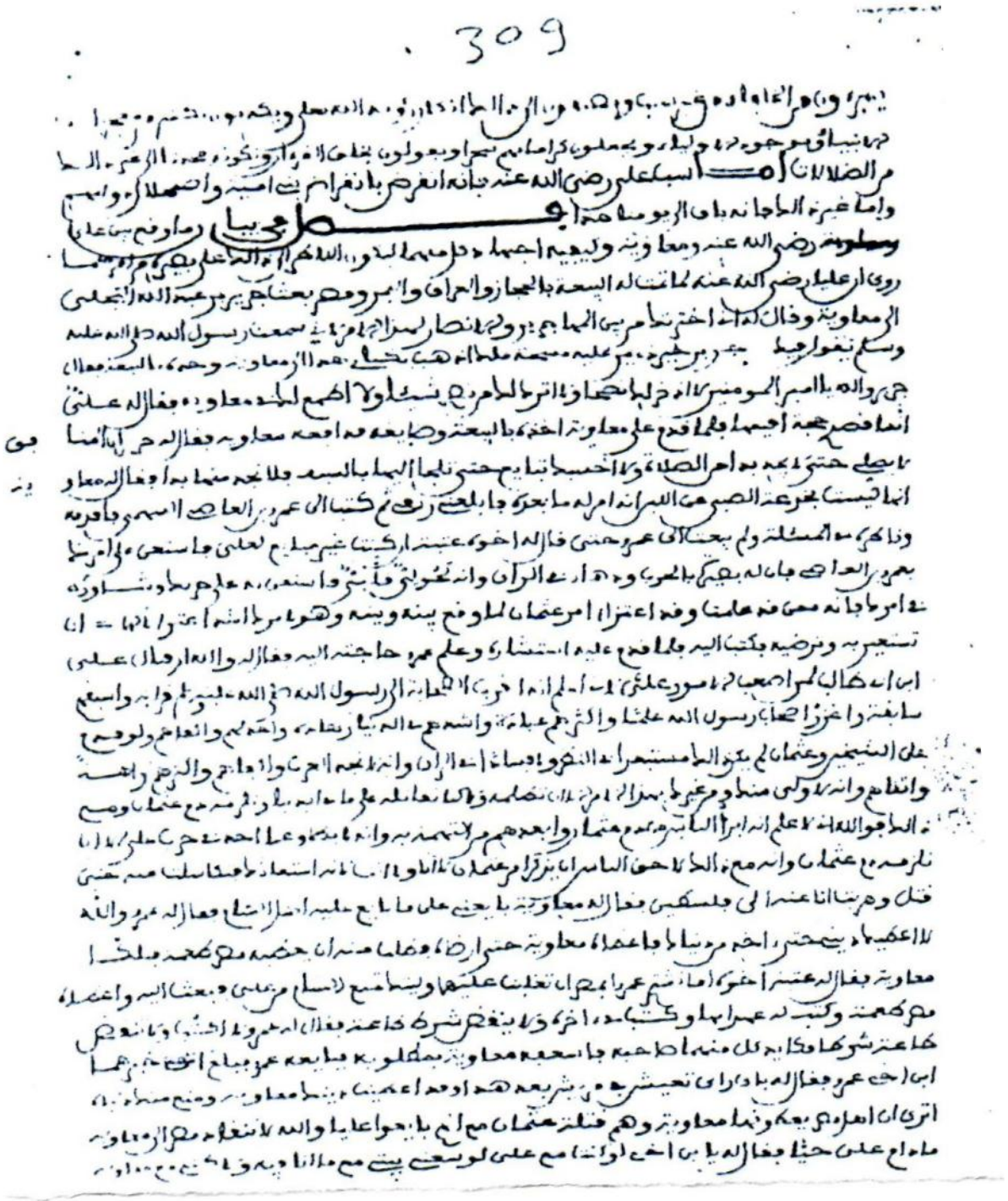

الملحق رقم 09: الورقة الأولى من مخطوط البرد الموشى في قطع المطامع والرشى للمختار الكبير الكنتي.

مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم 33-10 E.

الملحق رقم 10: الورقة الأولى من مخطوط المختصر في علم الفرائض للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله تيمي، أدرار، دون تصنيف.

الملحق رقم11 : صور لأشكال الألواح الخشبية التي كانت تستعمل في العملية التعليمية

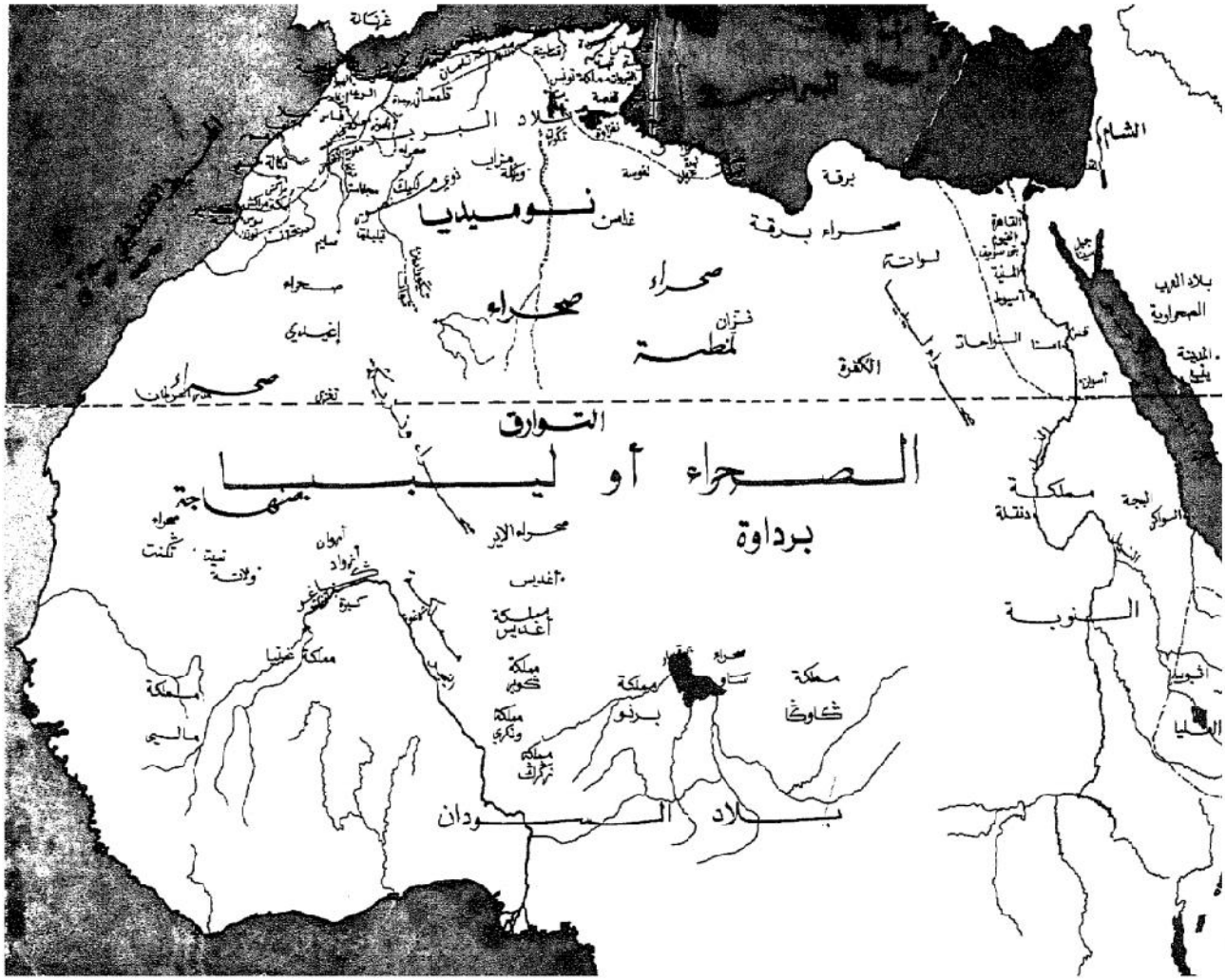

ملحق رقم: 12

رسم توضيحي لصحاري إفريقيا وما ورائها

المصدر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص 383.

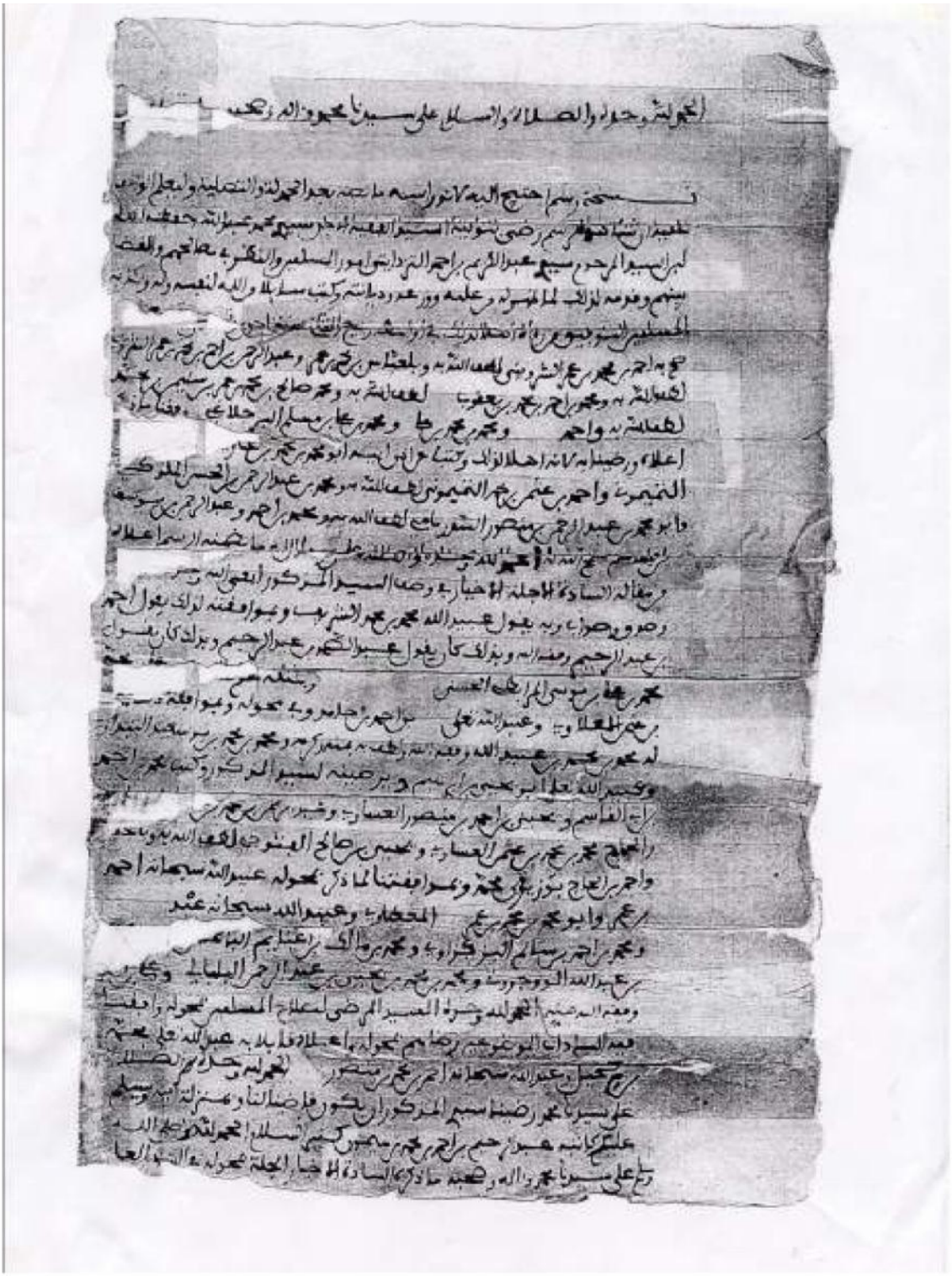

الملحق رقم 13 : وثيقة تزكية أحد القضاة

المصدر : خزانة آل الجوزي ، أولاد سعيد

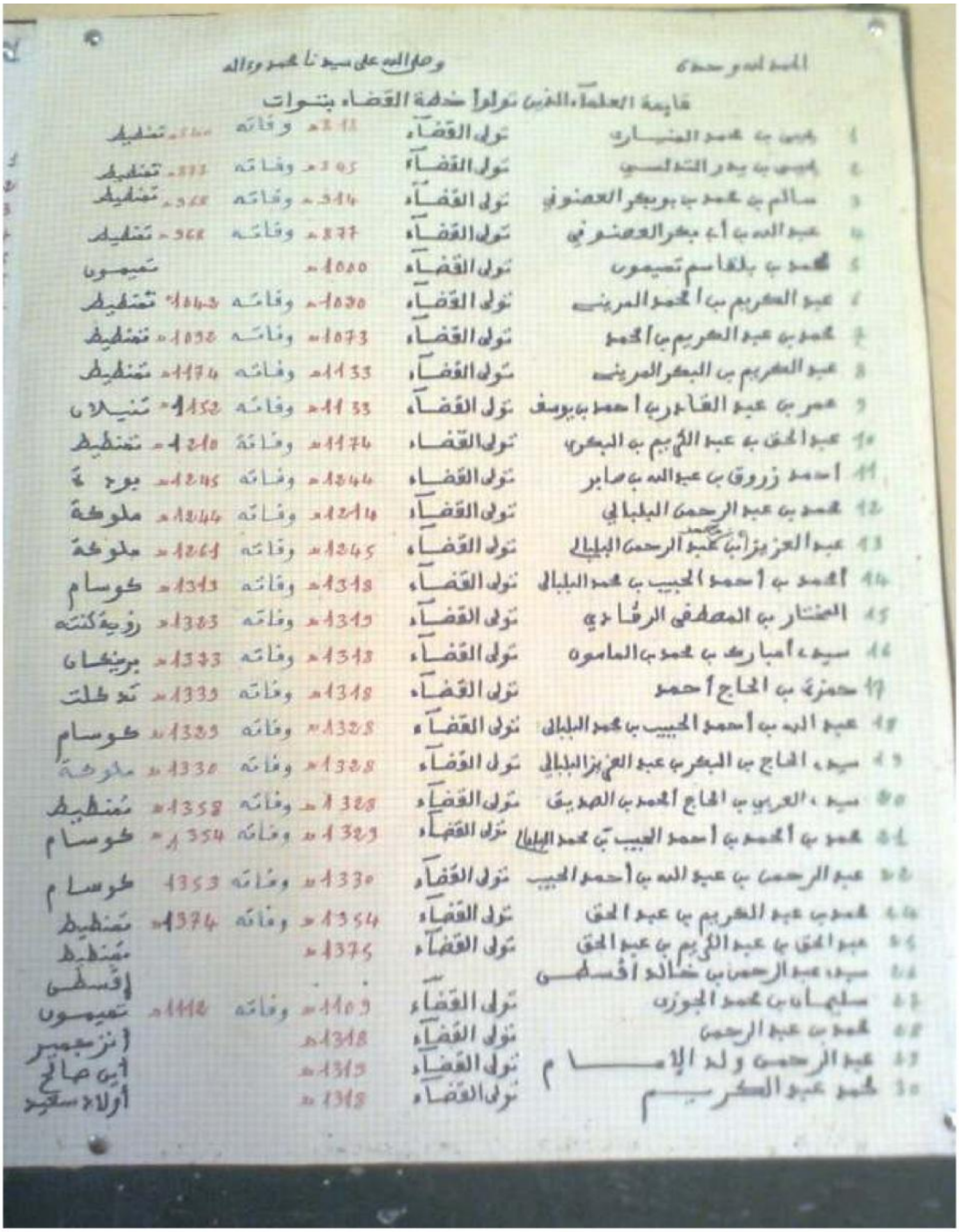

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قايمة العلماء الذين تولوا خطة القضاء بتوات

1	يحيى بن محمد العنباري	تولى القضاء	911 هـ	وفاته	[illegible]	تمنطيط
2	يحيى بن يدر التدلسي	تولى القضاء	905 هـ	وفاته	933 هـ	تمنطيط
3	سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني	تولى القضاء	944 هـ	وفاته	968 هـ	تمنطيط
4	عبد الله بن أبي بكر العصنوني	تولى القضاء	877 هـ	وفاته	968 هـ	تمنطيط
5	محمد بن بلقاسم تميموني	تولى القضاء	1050 هـ			تميمون
6	عبد الكريم بن امحمد المريني	تولى القضاء	1030 هـ	وفاته	1043 هـ	تمنطيط
7	محمد بن عبد الكريم بن امحمد	تولى القضاء	1073 هـ	وفاته	1092 هـ	تمنطيط
8	عبد الكريم بن البكري المريني	تولى القضاء	1133 هـ	وفاته	1174 هـ	تمنطيط
9	عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف	تولى القضاء	1133 هـ	وفاته	1152 هـ	تنيلان
10	عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري	تولى القضاء	1176 هـ	وفاته	1210 هـ	تمنطيط
11	أحمد زروق بن عبد الله بن صابر	تولى القضاء	1244 هـ	وفاته	1245 هـ	بودة
12	محمد بن عبد الرحمن البلبالي	تولى القضاء	1214 هـ	وفاته	1244 هـ	ملوكة
13	عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي	تولى القضاء	1245 هـ	وفاته	1261 هـ	ملوكة
14	امحمد بن أحمد الحبيب بن محمد البلبالي	تولى القضاء	1318 هـ	وفاته	1341 هـ	كوسام
15	المختار بن المصطفى الرقادي	تولى القضاء	1319 هـ	وفاته	1383 هـ	زاوية كنتة
16	سيدي أمبارك بن محمد بن المامون	تولى القضاء	1318 هـ	وفاته	1343 هـ	برينكان
17	حمزة بن الحاج أحمد	تولى القضاء	1318 هـ	وفاته	1339 هـ	تمطلت
18	عبد الله بن أحمد الحبيب بن محمد البلبالي	تولى القضاء	1328 هـ	وفاته	1325 هـ	كوسام
19	سيدي الحاج بن البكري بن عبد العزيز البلبالي	تولى القضاء	1328 هـ	وفاته	1330 هـ	ملوكة
20	سيدي العربي بن الحاج امحمد بن الصديق	تولى القضاء	1328 هـ	وفاته	1358 هـ	تمنطيط
21	محمد بن امحمد بن أحمد الحبيب بن محمد البلبالي	تولى القضاء	1329 هـ	وفاته	1354 هـ	كوسام
22	عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الحبيب	تولى القضاء	1330 هـ	وفاته	1353	كوسام
24	محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق	تولى القضاء	1354 هـ	وفاته	1374 هـ	تمنطيط
25	عبد الحق بن عبد الكريم بن عبد الحق	تولى القضاء	1375 هـ			تمنطيط
26	سيدي عبد الرحمن بن خالد أقسطي					أقسطي
27	سليمان بن محمد الجوزي	تولى القضاء	1109 هـ	وفاته	1112 هـ	تميمون
28	محمد بن عبد الرحمن	تولى القضاء	1318 هـ			أنزجمير
29	عبد الرحمن ولد الإمام	تولى القضاء	1315 هـ			أين صالح
30	محمد عبد الكريم	تولى القضاء	1318 هـ			أولاد سعيد

الملحق رقم 14 : أشهر القضاة في توات

المصدر : خزانة كوسام ، أدرار

ملحق رقم: 15

خزانة تقليدية لحفظ المخطوطات

ملحق رقم 16:

خزانة عصرية لحفظ المخطوطات

ملحق رقم 17: منحنى بياني يوضح مراحل نشأة وتطور الحركة العلمية بتوات

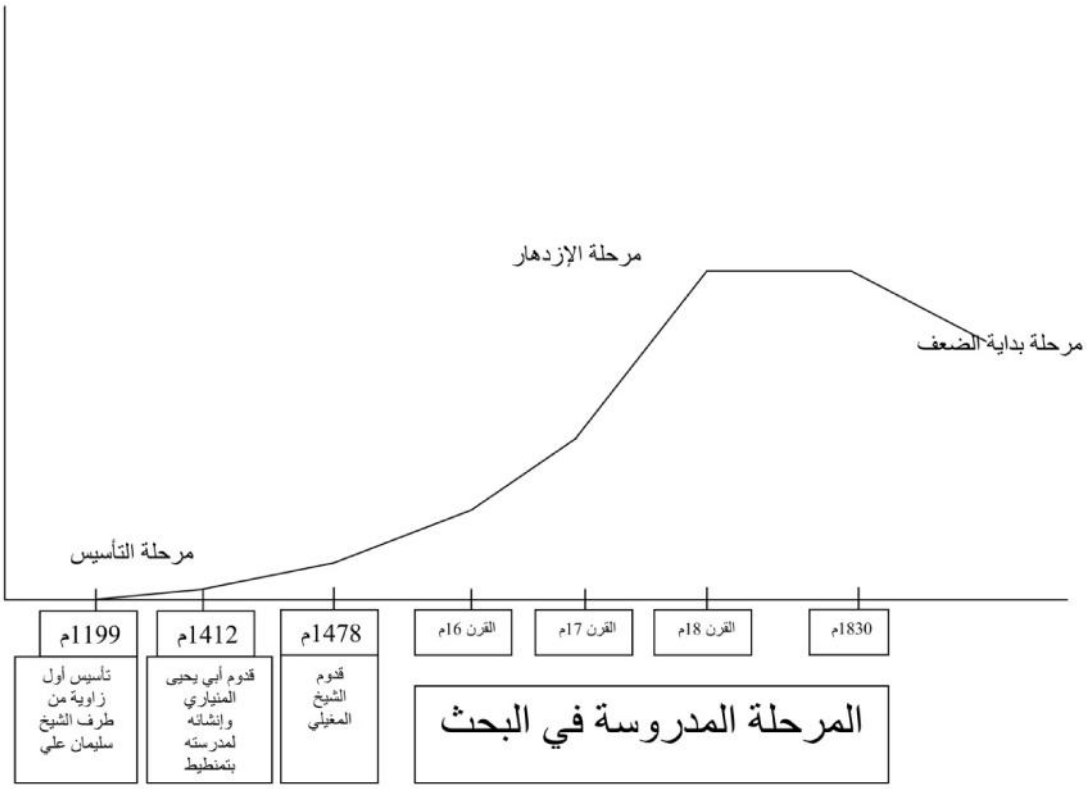

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

I. المصادر المخطوطة:

1. ابن أبّ، ضيف الله: الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر.
2. ابن البركة، محمد الصافي: تحفة أولياء الله الصالحين، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي. أدغا، أدرار، الجزائر.
3. ابن بابا حيدة، محمد الطيب بن عبد الرحيم: القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة الحاج محمد بكراوي، زاوية سيدي البكري، أدرار، الجزائر.
4. الأخضري، عبد الرحمان بن صغير: الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، مخطوط بدار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم 807.
5. الإدريسي، أحمد الطاهري: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
6. الأرواني، مولاي أحمد بن بابكر: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكتو البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر.
7. بكراوي محمد العالم: الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، خزانة محمد العالم، المنيعة، غرداية، الجزائر.
8. بكراوي محمد العالم: ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات، ، مخطوط، خزانة محمد العالم، المنيعة، غرداية، الجزائر.
9. البكري، البكري بن عبد الرحمان: حاشية البكري على مخطوط الكبس والازدلاف، مخطوط بخزانة ابن الوليد قصر باعبد الله، أدرار.
10. البكري، البكري بن عبد الكريم: إعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بخزانة القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار

11. البكري، البكري بن عبد الكريم: تقييد لأخبار الأعلام البكريين، مخطوط بخزانة سيدي أحمد ديدي، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
12. البلبالي، عبد الكريم: غاية الأماني من أجوبة أبي زيد التنلاني، مخطوط بخزانة الأنصار، أنزجمير، أدرار.
13. البلبالي، محمد بن عبد الرحمان: غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط، خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.
14. البوداوي، محمد بن عمر الجعفري : نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة كوسام ولاية أدرار.
15. التجاني، أبو العباس محمد: الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان، 2002.
16. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: الكواكب البرية في المناقب البكرية، خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
17. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار.
18. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
19. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.
20. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم: تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين، تمنطيط، الجزائر.
21. التنبكتي، أحمد بابا: الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.

22. التنبكتي، أحمد بابا: معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، المغرب، رقم 1029 د.
23. التنلاني ، البكري بن عبد الرحمان: الديوان، ضمن مجموع به مؤلفات الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلاني، مخطوط بخزانة الشيخ عبد القادر بن عبد الكريم المغيلي، أدرار، الجزائر.
24. التنلاني ، عبد الرحمان بن إدريس : رحلة إلى الجزائر العاصمة، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام- أدرار- الجزائر.
25. التنلاني، عبد الرحمان بن عمر: تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني (فهرسة الشيوخ)، مخطوط بخزانة تينيلان، أدرار، الجزائر.
26. التنلاني، عبد الرحمان بن عمر: رحلة حجية لعام 1188هـ، مخطوط بخزانة باعبد الله، تيمي، أدرار، الجزائر.
27. التنلاني، عبد الرحمان بن عمر: مختصر النوادر، مخطوط بخزانة محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار، الجزائر.
28. التنلاني، عمر بن عبد القادر: الرحلة في طلب العلم، خزانة بن الوليد، قصر با عبد الله، أدرار، الجزائر.
29. التنلاني، محمد بن عبد الرحمان: الرد على الزجلاوي، مخطوط ضمن مجموع بخزانة الحاج أحمد الشيخ بأنزجمير، أدرار، الجزائر.
30. التواتي، عبد الكريم بن محمد أمحمد: الرحلة في طلب العلم، نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ أحمد ديدي بتمنطيط، أدرار، الجزائر.
31. الجامعي، أبي زيد عبد الرحمان الفاسي: شرح أرجورة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تونس، تحت رقم: 08671.

32. الجنتوري، أبو زيد عبد الرحمان: معونة الغريم في بعض أحكام قضاء الدين، مخطوط بخزانة الشيخ باي بلعالم، أولف، أدرار.
33. الجنتوري، أبو زيد عبد الرحمان: نوازل الجنتوري: مخطوط بخزانة الصوفي، بدريان، أدرار، الجزائر.
34. الجنتوري، أبو زيد عبد الرحمان: نوازل الجنتوري: مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر.
35. الجنتوري، أبو زيد عبد الرحمان: نوازل الجنتوري، مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.
36. الرقادي، محمد بن مصطفى بن عمر: نبذة عن حياة مولاي عبد الله الرقاني، تقييد مخطوط بالمدرسة الرقادية، زاوية كنتة، أدرار، الجزائر.
37. الزجلاوي، محمد بن محمد العالم بن حميدان: نوازل الزجلاوي، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام أدرار. الجزائر.
38. الزجلاوي، محمد بن محمد العالم بن حميدان: نوازل الزجلاوي، مخطوط بخزانة الأنصار، أنزجمير، أدرار، الجزائر.
39. الزجلاوي، محمد بن محمد العالم بن حميدان: نوازل الزجلاوي، مخطوط بخزانة البكريين، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
40. العياشي، أبو سالم، ماء الموائد (رحلة العياشي) مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر.
41. الفلاني، أبو عبد الله بن أحمد، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.
42. محمد بن مبارك: تاريخ توات، مخطوط بخزانة المنصور أقبلي، أولف، أدرار، الجزائر.

43. المهداوي، عبد القادر بن عمر: الدرة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، أدرار، الجزائر.
44. مؤلف تواتي مجهول: تقييد في تاريخ توات (ذكر ما وجد من الأخبار التواتية)، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، الجزائر.
45. مؤلف مجهول: تقييد حول كتب خزانة الحسن بن سعيد البكري، مخطوط بيد الحاج عبد الله بكراوي، قصر غوزي، أدرار، الجزائر.
46. مؤلف مجهول: تقييد مخطوط حول أعلام قورارة، خزانة عبد المالك الصوفي- زاوية بدريان- تيميمون- أدرار، الجزائر.
47. مؤلف مجهول: تقييد مخطوط حول تأسيس قصر ملوكة، خزانة كوسام، أدرار الجزائر.
48. مؤلف مجهول: تقييد نسب العائلة التنيلانية، خزانة باعبد الله، أدرار، الجزائر.
49. مؤلف مجهول: تقييد نسب ومناقب الولي الصالح سيدي سليمان بن علي، مخطرط بخزانة سليماني، آدغا، أدرار، الجزائر.
50. هاشم بن أحمد بن عبد الرحمان: المحن والشدائد، مخطوط بخزانة سليماني، أدرار، الجزائر.

II. المصادر المطبوعة

51. ابن القاضي، أحمد: لقط الفرائد من لفاظة حُقَقُ الفوائد، تحقيق محمد حجي و أحمد توفيق، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1996م.
52. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي النازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 1997.

53. المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د. س.
54. ابن خلدون، عبد الرحمان: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.
55. ابن فارس، أبي الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر 1979.
56. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: تحقيق عبد الله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.
57. الأخضري، عبد الرحمان، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، تحقيق محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، د ت.
58. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863م.
59. الإدريسي، أحمد الطاهري: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق عبد الله الطاهري، (د.ن)، الجزائر 2010.
60. الأغواطي، الحاج ابن الدين: رحلة الأغواطي، ترجمة أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط 02، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1990م.
61. الأندلسي، محمد المشرع النجار: أرجوزة في مشاهير صلحاء فاس ، تحقيق: خالد بن أحمد الصقلي، ظهر المهراز، فاس، (د.ت)
62. الأنصاري، أبو عبد الله: فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، المكتبة الوطنية القديمة، تونس، تحت رقم 44201.

63. البرتلي، أبو عبد الله الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
64. التلمساني، ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.
65. التلمساني، محمد بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
66. التليدي، عبد الله بن عبد القادر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط 4، دار الأمان، الرباط، 2003.
67. التنبكتي، أحمد بابا: معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الإسترقاق، ط 1، تحقيق فاطمة الحراق وجون هانريك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000.
68. التونسي، محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، مصر، 1965
69. الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001.
70. الجزائري، محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
71. الجزنائي، علي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب ابن منصور ، ط 2 ، الرباط : المطبعة الملكية ،1991 م.

72. حجي، محمد: موسوعة أعلام المغرب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م.

73. الحفناوي، محمد: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م.

74. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977 م

75. الحنبلي، مرعي بن يوسف: القول البديع في علم البديع، تحقيق محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيليا، الرياض، 2004.

76. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

77. الرازي زين الدين، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر وحمزة فتح الله، دار البصائر، دمشق 1987.

78. الزِركلي، خير الدين ، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت 2002.

79. السعدي، عبد الرحمان بن عبد الله: تاريخ السودان ، طبعة هوداس، باريس، 1981م.

80. السملالي، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م.

81. سيد عمر، عبد العزيز: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط 2، دار هومة، الجزائر 2002.

82. سيد عمر، عبد العزيز:مفتاح العلوم بحل ثلاثة من خير أنواع الفهوم، المطبعة العربية، غرداية، 1997.

83. الشفشاوني، محمد بن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط 2، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1977.

84. الطبوبوي، عبد القادر الكسمي: كتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى، مطبعة المنار، تونس، 1373هـ.

85. العسقلاني، ابن حجر: نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشيد، الرياض 1409هـ.

86. العياشي، أبو سالم: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الإمارات: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006.

87. الفاسي، علي بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972،

88. الفشتالي، أبو فارس عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريم، الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف، (د.ت).

89. الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الاسلامي،بيروت 1987م.

90. فودي، محمد بللو بن عثمان: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ، 1996.

91. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط،، ط 8، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005.

92. القيرواني، محمد بن أبي القاسم (ابن أبي دينار): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، تونس : المطبعة التونسية ،1869م.

93. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ممن قبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق : محمد حمزة بن علي الكتاني ، ط 4 ، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس ، 2005.

94. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر: سلوة الأنفاس ومحاذاة الأكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 95.
95. الكرخي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل 1927.
96. كعت، محمود: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس، 1964.
97. الكنتي، محمد الخليفة: الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 2007.
98. مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج.ت.ت.ن، مكتبة المعرف، الرباط، 1984.
99. مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م.
100. المراكشي، ابن عِذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط 3، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت 1983
101. المراكشي، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994،
102. المغربي، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي (ط 2)، الجزائر، 1982.
103. المقري، أحمد بن محمد: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م.
104. المكناسي، أبي العباس أحمد: درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

105. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

106. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد: الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1954.

107. الناصري، أبو راس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ت).

108. الوزان، الحسن ، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، بيروت،دار الغرب الإسلامي،1983.

109. الونشريسي، أحمد ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

110. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ، البلدان، ليدن: مطبعة بريل 1890م.

111. اليفراني، محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: هوداس، انجي: مطبعة بردين، 1888م.

III. المراجع باللغة العربية

112. أبّا الصافي جعفري أحمد: رجال في الذاكرة الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري حياته وشعره، ط 1، منشورات الحضارة، الجزائر 2009.

113. أبّا الصافي جعفري أحمد: رجال في الذاكرة الشيخ محمد ايداوعلي حياته وشعره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008.

114. أبّا الصافي جعفري أحمد: محمد بن أبّ المزمري حياته وآثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004م.

115. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط 3، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956، ج1.

116. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، السعودية.

117. الإدريسي احمد الطاهري: الدر المنظوم شرح مقدمة ابن اجروم، مطبعة الواحات، غرداية، (د.ت).

118. الأزرق أحمد، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

119. الأزمي أحمد، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرنين 19م و 20م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000.

120. الأزهري محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق عبد الكريم العرباوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

121. الأنصاري عمر: الرجال الزرق، دار الساقي

122. بديوي، يوسف علي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط 1، دار الأصالة، الجزائر، 2010.

123. بصير عبد المغيث مصطفى: الفقيه عبد الواحد ابن عاشر، حياته وآثاره الفقهية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007.

124. بقشى عبد القادر: محاضرات في مادة تحليل الخطاب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2009.

125. بكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2005.

126. بكري عبد الحميد: سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2008.

127. بلعالم محمد باي: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر.

128. بلعالم محمد باي: الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، دار هومة، الجزائر.

129. بلعالم محمد باي: قبيلة فلان بين الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، ط 1، دار هومة، الجزائر 2004.

130. بلعالم محمد باي: كشف الجلباب، شرح جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د.ت.

131. بلعالم محمد باي: ميسر الحصول على سفينة الوصول، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2001.

132. بلّيل رشيد: قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والاخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008.

133. بن ساسي ابراهيم، من أعلام الجنوب الجزائري، مطبعة ENAG ، الجزائر، 2011.

134. بن عاشور محمد الفاضل: أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح، تونس.

135. بن عبد الله عبد العزيز: الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، ط 1، دار نشر المعرفة، المغرب، 2001.

136. بن عبد الله عبد العزيز: معلمة الصحراء 01، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1976، ص 119، (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية).

137. بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001.

138. بول مارتي: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دار السرح، بيروت، لبنان 2005.

139. بول مارتي: كنتة الشرقيون ، تعريب وتعليق : محمد محمود ولد ودادي ، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

140. بونار رابح : المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط 3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2000م.

141. بيسوني إبراهيم، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1969.

142. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1989م.

143. جابر عوض السيد، العمل مع الجماعات (أساسيات، مبادئ، نماذج) دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1999.

144. جعفري مبارك: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط 1، دار السبيل، الجزائر 2000.

145. جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الأسكندرية، 2001م.

146. الجوزي عبد الرحمان : ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، د. ط، د. ت.

147. الجيلالي عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1980.

148. حاج أحمد الصديق: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، ط 2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011.

149. حاج أحمد الصديق، من أعلام التراث الكنتي المخطوط، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.

150. حجي محمد: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط 1964.

151. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978م.

152. حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، 2011،

153. حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر 2007

154. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1964.

155. حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981.

156. حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2006.

157. حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، ط2، الجزائر، 1968.

158. الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012.

159. حوتية محمد: توات والأوراد خلال القرنين 12/ 13هـ- 19/18م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

160. الخالدي عبد الحميد: الوجود السلمي الهلالي في الجزائر، دار هومة، الجزائر 2003.

161. خدوسي رابح وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003.

162. الخضري محمد: الدولة العباسية، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1997م.

163. خميش عبد الحق ومحفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر (تلمسان وتوات)، دار زمورة للنشر، الجزائر، 2011.

164. الدالي الهادي المبروك: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط 1، 2002.

165. الدالي الهادي المبروك: التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، (د .ت).

166. ذيب محيي الدين ومحمد قاسم: علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003.

167. الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002.

168. الرحماني محمد علي وأحمد الأمين محمد: المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب.

169. روبار برانشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى غاية القرن 15م ،ترجمة: حمادي الساحلي ، ط1 ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، 1988م.

170. روس إ. دان Rosse. Dunn: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي(1881- 1912)، ترجمة أحمد بوحسن، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2006.

171. سرير ميلود : دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، فرقة بحث، جامعة أدرار، الجزائر، 2000

172. سعد الله أبو القاسم: أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر،الجزائر 2007.

173. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ط 2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005 .

174. سعد الله أبو القاسم: مجموع رحلات- رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين- ، تأليف وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

175. سعد الله فوزي: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط 1، دار الأمة، الجزائر 2004.

176. سويف مصطفى: الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي، دراسة ارتقائية تحليلية، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1980.

177. السيد أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992.

178. شاكر محمود، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م.

179. شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصطلح الثائر، دار ابن الطفيل، الجزائر 2012.

180. الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، ط2 ،1958.

181. الصلابي علي محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001.

182. الصلابي علي محمد: دولة الموحدين، عمّان، دار البيارق للنشر، 1998م.

183. ضيف شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

184. طه حسين: حديث الأربعاء، دار العلم للملايين، بيروت، د.س.

185. طواهرية عبد الله: تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي، (د.ت).

186. الطيب محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية،ج 3 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.

187. عبد العزيز طريح شرف، جغرافيا ليبيا، ط 2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1971.

188. عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

189. عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، المغرب ، 1960م.

190. العربي إسماعيل : الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

191. عقباوي الأمين، دور كنتة في نشر الإسلام وغرب إفريقيا، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار، (د.ت).

192. العكاك عثمان: البربر، منشورات تامغناست، 1375هـ.

193. عميراوي أحميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، قسنطينة، 2002.

194. غانم محمد الصغير: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

195. الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت(د.ت).

196. غيتاوي التهامي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، منشورات الديوان الوطني للنشر والإشهار، الجزائر، 2005.

197. فارس محمد خير ومحمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث المغرب الأقصى وليبيا، الجمعية التعاونية للطباعة بدمشق، سوريا، د.ت.

198. فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع في تاريخ الغرب الإسلامي بين القرن 12-15م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999.

199. فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنيين 18 و 19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

200. الفلاتي الطيب عبد الرحيم محمد: الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، ط 1، دار الكتاب الحديث، 1994.

201. فيلالي عبد العزيز : تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002.

202. قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، مطبعة الجزائر، د.ت.

203. القدوري عبد المجيد: ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، منشورات عكاظ، الرباط، 1991.

204. قدّي عبد المجيد: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، (د. ن)، الجزائر، 2006.

205. القشاط سعيد: التوارق عرب الصحراء، مركز أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا، 1989.

206. الكتاني يوسف: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، (د.س).

207. كحالة عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1977.

208. كحالة عمر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 3، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1977.

209. كحلاوي حليمة نيكلو مريم، تاريخ القضاء بتوات الوسطى من النشأة إلى نهاية القرن 13هـ، دراسة غير منشورة، أدرار.
210. لعروق محمد الهادي : أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين امليلة، 2005.
211. لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، 1979.
212. لمرابط الشيخ: الكنز المفقود في حياة ومآثر موسى بن المسعود (بحث غير منشور) تيميمون، ولاية أدرار.
213. ماما حيدرة عبد القادر: فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق، تحرير: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000.
214. مجموعة من المكتبيين، فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو، تحرير عبد المحسن العباس، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997م.
215. مجموعة من المؤلفين: الأطلس العلمي، المعهد التربوي الوطني والديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، (د. ت).
216. محمد رزق عاصم: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000
217. المدني احمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
218. المرابط عبد الله الترغي: فهارس علماء المغرب، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1999

219. مريوش أحمد، حوتية محمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر 2004.

220. مقدم مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.

221. مؤنس حسين: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، 2003.

222. مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.س).

223. الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1976.

224. الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، ط 1، دار المدار الإسلامي فرع طرابلس الغرب، ليبيا، 2007.

225. النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1997.

226. نوفل محمد محمود قاسم: تاريخ المعارضات في الشعر العربي، دار الفرقان، بيروت، 1983.

227. هدارة مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، د. س.

228. هلال عمار، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر 1988.

229. هلايلي حنيفي: العلاقات الجزائرية الأروبية ونهاية الايالة 1815- 1830، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.

230. هولو جودت فرج، البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990.

231. وافي علي عبد الواحد: الأدب اليوناني القديم، دار المعارف، مصر، 1960.

232. ولد أيده أحمد مولود، الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

IV. المراجع باللغة الفرنسية

233. A.G.P Martin: Les Oasis Sahariennes, Alger, 1908.

234. A.G.P Martin: Quatre Siècle d'histoire Marocain, Librairie Félix Alcan, Paris 1923.

235. Bernard Saffray, Chronique du Touat, Ghardaïa, C- D- S.

236. G. Autier. E.F, Le Sahara, Payot, Paris, 1946.

237. G. Rohlfs, Résumé historique et géographique en Touat et à In Salah, publié par les sois du Dr Auguste Petermann, paris, 1866.

238. GSEL Stéphane, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Librairie Hachette, Paris, 1991.

239. Hachid Malika, Les pierres écrites de l'Atlas saharien, ENAG Edition, Alger, 1992

240. - J. C Echalier, Notule sur une mosquée du Touat, un le saharien, Paris, 1-2 trim. 1969.

241. Jacob Oliel, Les juifs au Sahara, GNRS édition, Paris, 1994.

242. Le lieutenant-colonel Daumas, études géographiques, statistiques et historiques sur La région au sud des établissements français en Algérie, Paris.

243. Mandeville G : L'Algérie méridionale et le Touat, Paris, 1898.
244. Mario Vivarer, Au Sujet du Touat, Librairie Michel Ruff, Alger, 1896.
245. Marouf Nadir, Lecture de l'espace oasien, Edition sindibad, paris 1980
246. Miguel, Larburburu, Gravure rupestre du Tademaït, Matriouenne- wilaya d'Adrar, centre de documentation saharienne, Ghardaïa, 1995.
247. Paul Gaffarel, L'Algérie, Imprimerie de l'institut, Paris 1883
248. Quenard, recherches historiques dans le Touat.
249. Raymond, A ,Grands ville Arabes à L'époque Ottomane, paris 1985.
250. Reclus Elisée : Nouvelle Géographie universelle, T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris, 1886.
251. Rig caputaine, L'artisanat A Tamentit Institue de recherche sahariennes, Alger, 1961.
252. Robert Corne Vin: Histoire de L'Afrique ; imprimerie Buissière, Paris 1962.

V. الرسائل والأطروحات الجامعية

253. أبا الصافي جعفري أحمد: الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب، إشراف محمد زمري، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2006- 2007.

254. أعفيف محمد : مساهمة في دراسة التاريخ الإجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغرب بتوات في القرن 19، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1982.

255. بابا عبد الله: الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار 2011-2012.

256. بخدا مريم: أعلام العائلة النيلانية، ودورهم العلمي خلال القرنين 11هـ/12هـ، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، إشراف: شترة خير الدين، 2013/2012.

257. بعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر التواتي، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير في التاريخ العام، إشراف: محمد بن معمر، جامعة بشار، قسم التاريخ، 2009.

258. بن سويسي محمد: العمارة الدينية في منطقة توات (تمنطيط نموذجا)، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008.

259. بهية عبد المؤمن: الحياة الإجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18- 19م) من خلال نوازل الغنية البلبالية، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: د. محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005/ 2006م.

260. بوسعيد أحمد: الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أدرار 2012/ 2013.

261. بوكرابيلة الزهراء، الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية مابين القرنين 7هـ، 10هـ/ 13م، 16م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010-2001.

262. بومدين علي : الفنون والعادات التقليدية و أهميتها في التنمية البشرية، دراسة نموذجية لمنطقة توات، مذكرة ماجستير في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2009- 2010.

263. جدو فاطمة الزهراء: السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين 479هـ-635هـ، 1086- 1238م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

264. جرادي محمد : نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، إشراف سعاد سطحي، جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، قسنطينة 2010- 2011.

265. حاج أحمد الصديق: الدراسات اللغوية بتوات من بداية القرن 12هـ إلى غاية القرن 14هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، إشراف: الطاهر مشري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2008-2009.

266. الحمدي أحمد: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1999-2000.

267. حوتية محمد الصالح: قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد- دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرنين 13/12هـ-، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1992/ 1993م.

268. الدّالي الهادي المبروك : التاريخ السياسي والإقتصادي والحضاري لمنطقة السودان الغربي من نهاية القرن 15 إلى غاية القرن 18 ميلادي، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد رزوق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عين الشق الدار البيضاء، المغرب، 1997.

269. شيباني ياسين: الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي، مذكرة ماجستير، إشراف جهيدة بوجمعة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2006/ 2007.

270. طموز عبد الكريم: تحقيق فهرس شيوخ عمر بن عبد القادر التنلاني، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، إشراف: بوبة مجاني، 2010/2009.

271. عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيره في بلاد السودان الغربي بين القرنين 9- 10هـ/ 15- 16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بشار قويدر، جامعة الجزائر، 2000- 2001.

272. عليق ريحة: قصر ملوكة (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001- 2002.

273. قزان زهير: حاضرة توات المالكية أعلامها نوازلها وخصائصها، مذكرة ماجستير، إشراف محمد حوتية، جامعة أدرار، قسم الشريعة، تخصص فقه مالكي، السنة الجامعية 2010-2011.

274. مسعودي الزهرة: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا بين ق 18 وق 20م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أ. د عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2009/ 2010.

275. نويجم حدة: آثار الإمام المغيلي في العلوم الشرعية وأماكن العثور عليها، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2001- 2002.

VI. المجلات والتقارير بالعربية

276. البعلاوي محمد:حساب الجمل أو التأريخ بالحروف، حوليات الجامعة التونسية، عدد 08، تونس، 1971.

277. البوزيدي أحمد : مؤسسة الزوايا بوادي درعة القرنيين 10-11هـ/ 16- 17م بين الإشعاع العلمي والإنتشار الصوفي، مجلة أمل : التاريخ الثقافة المجتمع، المغرب، عدد مزدوج 19- 20، السنة السابعة، 2000.

278. بوسليم صالح: مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12- 13هـ بين الإشعاع العلمي والإنتشار الصوفي، مجلة الواحات، عدد 9، جوان، غرداية، المركز الجامعي 2009.

279. تقرير الوكالة الوطنية للموارد المائية المقدم للمجلس الشعبي الولائي بأدرار، جوان 2008.

280. حراش سعيد: دور المدن الجنوبية في الربط الطرقي بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء كرونولوجيا، مجلة المناهل، مارس 1998، عدد 58 خاص بالأقاليم المغربية الجنوبية.

281. دعيش خير الدين: البرهان والبيان والعرفان، قراءة في نظم المعرفة عند المقري، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، د.ع، 2010.

282. رزوقي عبد الله : واقع الزوايا في إقليم توات، بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، العدد 14، جويلية 2010.

283. العماري الحسن : المخزن المغربي والتجارة الصحراوية بين القرن 18م، مجلة أمل، عدده 3، السنة العاشرة 2004

284. مسدالي فاطمة: مكانة الكتاتيب القرآنية في التعليم الأولي بالبادية المغربية، مجلة البحث العلمي، المغرب، العدد 51، يناير 2009.

285. مقلاتي عبد الله: موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد 06، ماي 2005.

VII. المجلات والنشرات بالفرنسية

286. Abderrahmane Saka, Notice sur le Touat bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique de Nord 3 eme trimestres, 1922, N° 90.

287. Herbut, les Foggara du Touat, Bulletin de la société géographie d'Algérie et de l'Afrique du nord : 4 eme trimestre, 1934

288. Le Chatelier, Les medagnat, Revue Africaine, Alger, Office des publications universitaires, 1869, N' 30.

289. Qu'Erard. Recherches historiques dans le Touat-Gourara, Bulletin de liaison saharienne, N° 02, Décembre 1950.

290. Saoudi N., La préhistoire, Revue de préhistoire et d'Anthropologie culturelle. N° 1, Alger 1983.

VIII. الملتقيات والندوات

291. أبا الصافي جعفري أحمد: أدب المقاومة في توات دراسة في الأعلام والمظاهر، أعمال الملتقى الوطني الرابع" إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبّان العصر الحديث"، جامعة أدرار 19- 20 أبريل 2010م.

292. أبا الصافي جعفري أحمد: العلاقات الفكرية والثقافية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار: 14- 15 أبريل 2009.

293. بعثمان عبد الرحمن: الدور العلمي للزوايا التنيلانية، الملتقى الوطني الرابع حول إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث(1500م،2000م)، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، أيام 04ـــ05 جمادى الأولى 1431هـــ الموافق لـــ: 19 ـــ 20 ابريل 2010م.

294. بكراوي عبد العالي ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية- الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، أعمال الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، يومي 07- 08ديسمبر 2001.

295. بلعالم محمد باي: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، محاضرة مطبوعة، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.

296. بن خويا إدريس : واقع الطرق الصوفية بإقليم توات من المرجعية المعرفية والممارسة العملية، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أدرار: 09/ 10/ 11 نوفمبر 2008م.

297. بن خويا إدريس: خزانة مولاي سليمان بن علي والمخطوطات المتواجدة بها، دراسة وصفية، الملتقى الوطني الثالث حول البحث العلمي ودوره في خدمة التراث، جامعة أدرار، أبريل 2008.

298. بن زيطة أحميدة: الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، أدرار، ماي 2006.

299. بوصفصاف عبد الكريم : التصوف وأبعاده، الملتقى الدولي 11: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أدرار نوفمبر 2008.

300. تاوشيخت لحسن: سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م.

301. جعفري أمبارك: علماء توات في حاضرة القرويين بفاس ،خلال القرن 12هـ ، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار: 14- 15 أبريل 2009.

302. جعفري مبارك: تنقل علماء توات و تأثيرهم في السودان الغربي خلال القرن 12 هـ/ 18 م، الملتقى الوطني الرابع جامعة أدرار، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية و الثقافية إبان العصر الحديث (1500 م- 2000 م)، أدرار، 19- 20 أفريل 2010.

303. عباس عبد الله: الدور الحضاري لإقليم توات، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار: 14- 15 أبريل 2009.

304. عبد الرزاق إبراهيم: الطرق الصوفية في إفريقيا ودورها في نشر الإسلام في إفريقيا، ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، تنظيم جمعية الدعوة الإسلامية بالتعاون مع معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة والجمعية المصرية الإفريقية للعلوم السياسية، 18-19 يوليو 1998م، طرابلس ليبيا.

305. مشري الطاهر: العلامة ابن أب والبحر العروض الجديد، ملتقى الرابع إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية، جامعة أدرار، 19- 20 أبريل 2010.

IX. مواقع شبكة الأنترنيت

306. الجزولي محمد بن علي اليلو: الإجازات العلمية وعناية المغاربة بها، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة، المغرب، www.alqwatan.ma/Article تاريخ زيارة الموقع : 23 نوفمبر 2012.

307. مشروع مخطوطات تومبكتو www.tombouctoumanuscripts.org تاريخ زيارة الموقع: 02 مارس 2015.

الفهـــارس

1. فهرس الأعلام والقبائل

﴿ أ ﴾

- إبراهيم اللقاني: 220- 263
- ابراهيم الملايخافي: 200
- ابن بابشاذ: 211
- أبو الحسن علي باشا: 259
- الأجهوري، علي: 181- 221- 243- 262
- أحمد الحبيب: 138
- أحمد المنصور الذهبي: 66- 86 - 88 – 90 – 91 -97
- احمد بلحاج: 137
- أحمد بن محمد بن زكري: 228- 241
- أحمد عمار: 222
- الأخضري، عبد الرحمان: 164- 168- 169
- الأدارسة: 62- 63- 108
- إدريس المشاط: 189- 241
- الإدريسي، أحمد الطاهري: 21- 26
- الإدريسي، سليمان بن علي: 73- 76
- الإسبان:86- 227- 231- 234
- الأصطخري: 18- 20
- الأعراب: 43- 47- 55- 56- 80
- الأغواطي، الحاج ابن الدين: 38- 49- 98- 100
- أمحمد بن بومعزى: 221

- أمحمد عبد الله بن عبد الكريم: 178- 179- 221
- الأمريني: أمحمد بن ابي محمد: 176- 178- 221
- الأمريني، عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد: 135- 179- 181- 182- 185- 217- 230- 245- 270.
- الأمويون: 106- 159
- الأنصاري، أبو أيوب: 36- 64
- الأنصاري، ابو يحي زكريا: 150
- أولاد حمرون: 55
- أولاد طالب: 55
- أولاد طلحة: 61
- أولاد علي بن موسى: 69
- الإيداوعلي محمد: 186- 250

﴿ ب ﴾

- ابن بطوطة: 18- 33- 41- 46- 66
- البلبالي: محمد بن عبد المالك: 196
- الباي محمد الكبير: 231
- بتوليمي: 18
- البدري، يعقوب: 176- 221
- البرامكة: 36- 37- 67- 68
- البرباعي، محمد السالم: 189
- البربر: 27- 28-30- 37-52 – 57 – 58- 59- 69- 98- 101- 106- 123- 199.

- البرتلي، أبو بكر بن الطالب: 216- 249
- البرتلي، البشير بن أبي بكر: 249
- البطيوي، عيسى بن محمد: 74
- البكري بن عبد الكريم: 144- 185- 217- 220- 230- 233- 242- 250- 260- 262- 270.
- البكري، أمحمد بن أحمد البدوي: 206
- البكري، محمد الصالح بن سيد البكري: 186- 233
- البكري، محمد بن سعيد: 206
- البلبالي محمد بن عبد الرحمان: 141- 169- 193- 205
- البلبالي، عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان: 205
- البلبالي، عبد الله: 140
- بلعالم، محمد باي: 21- 205
- بلقاسم بن الحسين: 136
- بني مخزوم: 199
- البوبكريون: 64
- البوداوي محمد بن المبروك: 136- 202- 261
- البوداوي، محمد بن عمر: 19- 21- 49- 166
- بوسماحة التلمساني: 200
- البوصيري: 165- 201
- البيروني: 18

﴿ ت ﴾

- التاودني بن سودة: 243
- التدلسي، يحي بن يدر بن عتيق: 74
- تراجان: 68
- الترك (الأتراك): 81- 82- 85- 231- 239
- تريكة: 59
- التسليمي، محمد الحاج ابراهيم: 155
- التكروري، أحمد بن صالح: 145- 191- 219- 253
- التلمساني، أحمد المقري: 181- 221- 222- 262
- التلمساني، محمد يوسف بن عمر: 148
- التمنطيطي، البكري بن عبد الكريم: 144- 185- 217- 220- 230- 233- 242- 250- 260- 262- 270
- التمنطيطي، عبد الحق بن عبد الكريم: 135- 136- 193- 206
- التمنطيطي، عبد المهيمن بن محمد: 177- 252
- التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم: 49- 58- 66- 135- 177- 185- 186- 233.
- التنبكتي، أحمد بابا: 66- 152- 165- 181- 187- 209- 221- 247
- التنلاني، أبو الأنوار:136- 139- 141- 157- 254
- التنلاني، أحمد بن يوسف: 135- 136- 170- 187- 188- 217
- التنلاني، الشاذلي بن عمر التنلاني: 220- 242
- التنلاني، عبد الرحمان بن إدريس: 31- 83- 166- 231

- التنلاني، عبد الرحمان بن عمر: 144- 150- 166- 190- 191- 192- 193- 194- 198- 200- 202- 203- 204- 215- 218- 219- 222- 242- 244- 250- 262- 264- 270.
- التنلاني، عمر بن عبد القادر: 136- 144- 145- 166- 167- 189- 191- 198- 202- 212- 218- 219- 220- 241- 270.
- التنلاني، محمد بن عبد الرحمان أبي زيان: 221.
- التنلاني، محمد بن عبد الرحمان: 157- 192- 194- 196- 197- 244.
- التنلاني، يوسف بن عبد الحفيظ: 169- 193.
- التهامي البلمحي الحسني: 260
- التواتي أحميدة: 260
- التواتي، أبو القاسم: 219
- التواتي، أحمد بن عبد الله: 256
- التواتي، أحمد بن محمد بن الونان: 240
- التواتي، الحاج محمد: 240
- التواتي، الحسن بن محمد: 264
- التواتي، الكوش الموري: 239
- التواتي، عبد السلام بن محمد الجعفري: 239
- التواتي، محمد السنوسي: 260
- التواتي، محمد العربي بن محمد : 260
- التواتي، محمد بن مزيان: 211- 232
- التواتي، معاذ: 232
- التوتي، الكوش التونسي: 260

- التوجي، سيد أحمد: 200
- التيجاني، احمد: 113
- التيطافي، ابن دين الله: 139
- التيميموني، عبد الله بن علي بن محمد: 187

﴿ ج ﴾

- الجامعي، عبد الرحمان: 230
- الجبلي، عبد السلام: 231
- جدالة: 57
- جدولة: 57
- الجراري، محمد بن اسماعيل: 140- 220- 265
- الجرمانت: 56
- الجزائري، الحسن بن الحاج مصطفى : 231
- الجزولي، محمد بن محمد: 206
- الجعافرة: 64
- جعفر باشا: 81
- الجعفري، أحمد زروق: 83- 220
- الجنتوري، عبد الرحمان: 114- 160- 189- 191- 196- 197- 198- 201- 212- 216- 217- 218- 270.
- الجنتوري، عبد العالي: 198
- الجوزي، أحمد يوسف بن عبد الكريم: 218
- الجوزي، امحمد عبد الرحمان: 218
- الجوزي، عبد الرحمان: 175

- الجومي، عبد الرحمان بن سليمان بن موسى: 181
- الجيتول: 57
- الجيلاني، عبد القادر: 155- 210- 220

﴿ح﴾

- الحفصي، عيسى بن أحمد: 77
- الحفصيون: 53

﴿خ﴾

- الخدري، أبو سعيد: 128
- الخرشي، أبو عبد الله: 144- 243- 262
- ابن خلدون، عبد الرحمان: 18- 26- 30- 34- 44- 47- 48- 53- 54- 58- 62- 94- 101- 109- 123- 164- 165- 246.

﴿د﴾

- الدرعي، محمد بن علي: 191
- الدرعي، أبو عبد الله: 215
- الدرعي، أحمد بن ناصر: 249

﴿ذ﴾

- ذوي منصور: 59

﴿ر﴾

- الرستميون: 106
- الرفاعي، احمد الكبير: 111
- الرقاد، احمد: 142- 183- 219- 220- 251- 252- 253
- الرقاد، عمر بن محمد المصطفى: 136- 142- 191- 199- 217- 252.

- الرقادي علي: 251
- الرقادي، أحمد بن محمد: 183
الرقادي، علي بن أحمد بن علي: 253
- الرقاني، عبد الله: 37
- الرقاني، عبد المالك: 37- 252- 256
- الرومان: 56- 58- 68

﴿ ز ﴾

- زناتة: 23- 26- 28- 30- 37- 58- 59- 60- 61- 62
- الزنوج: 65- 66
- الزجلاوي، محمد بن العالم: 131- 136- 160- 192- 203- 204- 212- 222- 247- 253- 270.
- زمورة: 199
- الزواوي، محمد بن راشد: 211- 232

﴿ س ﴾

- ابن سعيد المغربي: 42.
- السبئيون: 57
- السجلماسي، أحمد بن أبي محلي: 63- 89- 178- 179- 181- 187- 221- 245.
- السجلماسي، أحمد بن هلال: 196- 244
- السجلماسي، أحمد مبارك: 189
- السجلماسي، صالح بن محمد: 191- 244
- السجلماسي، عبد الحكيم بن عبد الكريم: 138

- السجلماسي، محمد المكي بن صالح: 244
- سعد الله أبو القاسم: 217- 222- 232
- السعديون: 56- 80- 82- 85- 86 – 88- 89- 90- 91- 217- 222
- سعيد قدورة الجزائري: 66- 180- 181- 185- 220- 221- 230- 231.
- السكوتي، عبد الرحمان:160- 262- 169-233
- السماحي، عبد القادر بن محمد: 178- 221
- السندي، جمال الدين احمد: 171
- السوسي، محمد بن سعيد بن يحي: 170
- السوسي، يحي: 174
- السوقي، أحمد بن الصالح: 145- 219- 253
- السيوطي، جلال الدين: 209- 210- 263

﴿ ش ﴾

- الشاذلي، أبو الحسن: 112- 114
- الشافعي، شهاب الدين: 150- 195
- الشظة: 61
- الشنقيطي، محمد ايداوعلي: 186

﴿ ص ﴾

- صالح باي: 82
- صنهاجة: 37- 58- 59

﴿ ط ﴾

- الطوارق: 23- 25- 26- 27- 37- 58- 97

﴿ع﴾

- ابن عاشر، عبد الواحد: 149- 152- 154- 159
- أبو علي عمر المريني: 53
- عبد الكريم الفكون: 211- 232- 259
- العبد اللاوي، محمد عبد الرحمان: 77
- عبد الله محمد بن مجير: 176- 221
- عبد المؤمن بن علي: 21
- عثمان بن عفان: 187
- عثمان بن يعقوب: 53
- العثمانيون: 56- 80- 81- 82- 83- 84- 85- 113- 240.
- العدي، محمد: 221
- العراقي، عبد الرحيم بن الحسين: 151
- العصنوني، أبي بكر: 76- 211- 231
- العصنوني، سالم: 76- 174- 219- 229- 262
- العصنوني، عبد الله: 74- 75- 134- 174- 228
- العصنوني، فاطمة بنت عبد الله: 75
- العلوي، محمد بن عبد الله: 240
- العلويون: 62- 63- 91- 92
- علي بن حنيني: 131- 138- 139- 203- 217- 249- 256
- عمر ابن الوردي: 166
- عمر باشا: 83
- عمر بن صالح: 138

- العياشي، أبو سالم: 18- 32- 43- 44- 48- 95- 98- 130- 138- 140- 167- 179- 243.
- عياض (القاضي): 181- 151- 216
- عيسى الثعالبي: 222

﴿ غ ﴾

- الغرناطي، أبو عبد الله البليدي: 198
- الغزالي، أبو حامد: 110- 233
- غزولة: 57
- الغلاوي، أبو بكر بن الحاج عيسى: 249
- الغلاوي، أحمد بن الأمين: 138- 215- 237- 250
- الغمار، يحي بن أبي البركات: 228
- غمارة: 33
- غمارة (القبيلة): 58
- الغماري، صالح بن محمد: 219

﴿ ف ﴾

- ابن فرحون: 165- 183
- الفاسي محمد بن محمد ميارة: 189
- الفاسي، إدريس المشاط: 189- 241
- الفاسي، العربي بن أبي عبد الله: 189
- الفاسي، عبد الله الدقاق: 175
- الفاسي، محمد الطيب بن عبد الرحمان: 189
- الفاسي، محمد العربي بن محمد مقلب: 241

- الفاعوني، محمد الطاهر: 77
- الفجيجي، عبد الجبار: 178- 221
- الفرنسيون: 83
- فزازة: 61
- فزولة: 57
- الفشتالي، عبد العزيز: 49- 59- 87- 91
- الفقيقي، محمد بن عبد الجبار: 178- 221
- الفقيه، محمد بن أحمد: 137
- فلاّن: 66- 143- 254
- الفلاني، أبي عبد الله: 194- 250
- الفلاني، محمد بن مالك: 194- 234
- الفهري، عقبة بن نافع: 19- 20- 52- 64
- الفودودي، سيد أعمر: 77

﴿ ق ﴾

- القابسي، أبو الحسن: 108
- القاهري، سالم بن محمد النفراوي: 198
- القبلاوي، محمد عبد القادر بلعالم: 232
- القبلاوي، عبد الرحمان أبو نعامة: 39- 137- 142- 166- 216- 250
- القرامطة: 61
- القوراري، أمحمد عبد الله: 178- 221- 229- 245.
- القوراري، عبد الكريم بن أحمد: 175- 178- 179
- القوراري، محمد بن إسماعيل: 140- 220- 265

- القيرواني، ابن أبي زيد: 120- 149- 153- 180- 198.

﴿ ك ﴾

- الكرزازي، احمد بن موسى: 184
- كنتة: 111- 254
- الكنتي، أحمد البكاي: 111- 183- 257
- الكنتي، أعمر بن أحمد البكاي: 111- 257
- الكنتي، الأمين الأزرق: 125- 183
- الكنتي، المختار الكبير: 111- 154- 257

﴿ ل ﴾

- اللاحقي، إبان ابن عبد الحميد: 159
- اللازدي، أبو جُمرة: 151
- اللمتون: 23- 59
- اللواتي، محمد بن ابراهيم: 46
- لمطة: 25- 58

﴿ م ﴾

- أبو مدين شعيب: 110- 112
- بن مشيش، عبد السلام: 112
- بنو مرين: 53- 54- 55- 78- 85- 268
- مارمول كربخال: 30- 33- 55
- مالك بن أنس: 107
- المحارزة: 30- 37
- المحجوب، يحيى كامل: 256

- محمد الرصاع: 258
- محمد الصالح بن المقداد: 199
- محمد العالم بن عبد الكبير: 142
- محمد بن الصالح (عريان الراس): 48
- محمد بن القاسم بن زكور: 229
- محمد بن امبارك: 22
- محمد بن جعفر: 261
- محمد بن سعيد العالم: 206
- محمد بن عبد الله بن عومر: 167
- محمد بن عبد الوهاب: 114
- محمد بن عيسى: 111
- محمد عبد السلام: 137
- محمد عثمان باشا: 83
- مرتضى الزبيدي: 262
- المزمري، ضيف الله بن أبّ: 200
- المزمري، محمد بن أبّ: 136- 153- 156- 157- 161- 162- 163- 169- 191- 196- 199- 217- 220-247- 253.
- المسناوي، محمد بن أحمد: 189
- مسوفة: 23
- المعداني، مالك بن رحال: 144
- المعقل: 23- 25- 26- 54- 59- 61- 62- 240.

- المغيلي، محمد ابن عبد الكريم: 34- 36- 68- 69- 70- 74- 75- 76- 110- 111- 130- 134- 141- 148- 150- 151- 153- 167- 209- 228- 247- 257- 263.
- المكناسي، محمد بن أحمد بن غازي: 75
- المنتصر بن اليسع: 107
- المنياري، أبو يحي بن محمد: 74
- المهاية: 61
- المهداوي: عبد العزيز سيد أعمر: 124- 187
- المهدي، محمد بن تومرت: 21
- موسى بن مسعود: 77- 136
- مولاي هيبة بن محمد: 38- 130- 134- 139
- ميمون بن عمرو بن محمد الباز: 75- 134- 176- 238

﴿ ن ﴾

- نابليون بونابارت: 83

﴿ هـ ﴾

- بنو هلال: 60- 61- 62
- هارون الرشيد: 36- 67
- الهلالي، أحمد بن عبد العزيز: 191- 243- 244- 245
- هوارة: 58
- الهوسا: 65- 66
- هومير: 18
- هيريدوت: 18

﴿ و ﴾

- ابن الوردي: 166
- ابن الونان: 161- 240
- الوزان، محمد بن الحسن: 18- 30- 33- 48- 98- 100- 101
- الوطاسي، محمد بن عبد الله: 138
- الوقروتي، محمد بن علي: 185- 217
- الونقالي، أمحمد بن عبد الله: 202

﴿ ي ﴾

- يحى الشاوي: 221
- يعقوب البدري:176- 221
- اليعقوبي: 18- 20
- اليهود: 34- 52- 68- 69- 70- 74- 76- 110- 134- 210- 226- 228- 242- 258.
- يوسف أحنصال: 200
- يوسف النبهاني: 262.

2. فهرس الأماكن والبلدان

﴿ أ ﴾

- الأزواد: 141- 247- 254
- اسطنبول: 140- 227- 233- 265
- إشبيلية: 69
- الأغواط: 113
- أماهور: 100
- امقيدن: 30
- الأندلس: 21- 62- 28- 69- 108
- الأهقار: 45- 233- 234
- أودغست: 108
- أولاد الحاج: 36- 38- 40- 199
- أولاد الحاج مامون: 34
- أولاد أوشن: 33- 133- 238
- أولاد عيسى: 32- 33- 73
- أولف: 37- 38- 49- 50- 51- 68- 128- 139- 193- 199- 217- 261.
- إيقلي: 43- 44- 99- 100

﴿ ب ﴾

- باجة: 259
- بجاية: 229- 234- 236
- بسكرة: 19

- بني عباس: 180- 230- 245
- بوركينافاسو: 252
- بوسمغون: 113

﴿ ت ﴾

- تابلكوزة: 30- 31- 41- 61- 69
- تاخفيفت: 36- 68- 134
- تادمايت (الهضبة):29- 37- 38- 39- 40
- تادمكة: 108
- تازولت: 134- 175
- تافيلالت: 62- 80- 89- 91- 92- 99
- تامسنا: 106
- تاهرت: 106
- تاودني: 28- 100- 219- 243- 253
- تقرت: 179- 185- 227- 233
- التكرور: 39- 137- 138- 144- 145- 181- 191- 194- 207- 219- 220- 222- 235- 250- 252- 253- 256
- تلمسان: 21- 30- 48- 53- 54- 56- 74- 76- 100- 113- 122- 178- 211- 221- 226- 227- 228- 229- 231- 233- 270.
- تمقطن: 128- 199- 261
- تمنطيط: 28- 34- 41- 45- 48- 49- 53- 54- 55- 59- 60- 62- 68- 69- 70- 74- 75- 76- 77- 88- 92- 98- 100- 108- 134-

435- 139- 176- 179- 185- 186- 187- 199- 212- 217-
221- 233- 235- 236- 238- 245- 246- 250- 258- 268.
- تنبكتو: 28- 66- 100- 101- 122- 199- 218- 219- 220- 227-
235- 236- 237- 243- 246- 247- 248- 251- 252- 253-
254.
- تنزروفت: 29- 40- 45- 50- 100
- تنلان: 34 – 73- 135- 157- 187- 189- 191- 194- 204- 218-
222- 250- 258.
- توات: ذُكر بكل صفحات الدراسة تقريبا.
- تونس: 53- 76- 99- 100- 113- 185- 185- 211- 220- 226-
227- 231- 258- 259- 260- 270
- تيدكلت: 39- 40- 45- 68- 125- 127- 142- 144- 197- 207-
212- 216.
- تيشت: 247
- تيكورارين: 25 – 26- 30- 31- 32- 41- 43- 48- 49- 53- 54-
55- 56- 59- 60- 62- 86- 88- 125- 128- 136- 175- 198-
201- 207- 228- 249.
- تيماسين: 113
- تيمي: 28- 33- 41- 49- 127- 137- 244
- تيميمون: 28- 31- 32- 33- 41- 49- 50- 98- 100- 128- 178-
200- 202- 217- 218
- تينركوك: 30- 137

﴿ ج ﴾

- الجزائر: 53- 57- 80- 82- 83- 92- 100- 113- 132- 158- 166- 167- 185- 220- 222- 226- 227- 229- 230- 231- 232- 233- 269.
- الجزيرة العربية: 114- 115

﴿ح﴾

- الحجاز: 60- 68- 181- 182- 195- 216- 222- 261.

﴿ د ﴾

- درعة: 19- 23- 89- 99- 106

﴿ ز ﴾

- الزاب: 185
- زاجلو: 131- 144- 203- 204- 212- 215- 217- 249
- زواوة: 232
- زويلة: 20- 215- 264
- الزيبان: 232

﴿ س ﴾

- ساحل العاج: 256
- الساورة: 27- 29- 32- 43- 44- 89- 99- 180- 184- 230- 236- 245.

- سجلماسة: 19- 20- 23- 24- 25- 44- 47- 48- 49- 53- 54- 89- 99- 106- 107- 108- 184- 191- 196- 199- 219- 220- 227- 235- 236- 237- 243- 244- 245- 246.
- سعيدة: 236
- السنغال: 256- 257
- سنغاي: 65
- السودان الغربي: 28- 47- 52- 53- 65- 84- 92- 100- 108- 113- 130- 133- 134- 139- 174- 177- 219- 236- 247- 255- 256.
- السوس: 20- 21- 26- 47- 48- 52- 54- 59- 62- 64- 246.

﴿ ط ﴾

- طرابلس الغرب: 81- 99- 100- 106- 185- 220- 222- 236.

﴿ غ ﴾

- العراق: 37- 220- 265.
- عكا: 83
- عنابة: 232
- عين صالح: 33- 37- 39- 40- 49- 83- 101- 197- 217- 236.
- عين ماضي: 113

﴿ غ ﴾

- غانة: 23- 108
- غدامس: 58- 99
- غينيا: 47- 255

﴿ ف ﴾

- فاتيس: 31- 61- 137
- فاس: 48- 53- 55- 73- 75- 76- 89- 90- 99- 100- 113- 122- 133- 134- 136- 144- 145- 149- 167- 175- 176- 178- 184- 185- 189- 198- 199- 211- 218- 219- 220- 221- 226- 227- 232- 236- 237- 238- 239- 240- 241- 242- 270.
- الفائجة: 19- 106
- فقيق: 59- 65- 140- 178- 221.
- فلسطين: 83

﴿ ق ﴾

- القاهرة: 122- 144- 221- 222- 227- 262.
- قرطاجة: 51.
- قسنطينة: 82- 83- 100- 227- 231- 232- 233- 259.
- القيروان: 52- 258.

﴿ م ﴾

- مالي: 24- 34- 47- 101- 226- 247- 254.
- المبروك: 219- 236- 253- 254.
- مراكش: 23- 52- 53- 54- 66- 86- 89- 90- 99- 185- 220- 236- 242.
- مشرية: 100- 236.

- مصر: 60- 83- 84- 144- 185- 198- 216- 220- 222- 261- 262- 263.
- المطارفة: 30- 32- 75- 142.
- المغرب الأقصى: 19- 22- 31- 47- 48- 49- 53- 56- 58- 59- 62- 63- 64- 74- 75- 80- 84- 85- 86- 87- 88- 91- 92- 99- 101- 108- 113- 130- 145- 161- 178- 194- 220- 221- 237- 238- 240- 259.
- ملوكة: 34- 127- 141- 170- 193- 205- 207- 212.
- المنيعة: 43- 49- 236.

﴿ ن ﴾

- نقاوس: 232
- نوميديا: 30- 33- 48- 56- 57.
- النيجر: 256

﴿ هـ ﴾

- هضبة مويدر: 29- 37- 45

﴿ و ﴾

- واد قاريت: 42- 45
- واد قير: 43- 44
- واد مسعود: 27- 35- 43- 44- 45
- واد نون: 19
- ودان: 247
- ورقلة: 113- 233

- ولاتة: 47- 256
- وهران: 100- 231- 234

﴿ ي ﴾

- اليمن: 57- 88.

فهرس المحتويات

	المحتويات	الصفحة
	الإهداءات	
	التشكرات	
	المختصرات والرموز	
	المقدمـــة	
	فصل تمهيدي	17
	تقديم	18
أولا	أصل التسمية	18
	الرواية الأولى	19
	الرواية الثانية	21
	الرواية الثالثة	23
	الرواية الرابعة	25
	الرواية الخامسة	26
	الرواية السادسة	27
	الرواية السابعة	28
ثانيا	**الموقع والخصائص الطبيعية**	29
أ	الموقع الطبيعي والفلكي	28
ب	التقسيم الجغرافي	31
ت	التضاريس والمناخ	41
ث	الأودية والغطاء النباتي	43
ثالثا	**الأهمية التاريخية**	47
1	توات في المصادر التاريخية	47
2	الخلفية التاريخية	51

فهرس المحتويات

3	التعمير البشري للمنطقة	57
أ	البربر	58
ب	العرب	61
ج	الأفارقة	66
د	البرامكة	68
هـ	اليهود	69
	خلاصة الفصل التمهيدي	72
القسم الأول	**الخلفية الثقافية والأوضاع العامة بالجنوب الجزائري وتأثيراتهما على الحركة العلمية**	73
	تقديم	74
الفصل الأول	**الخلفية التاريخية للحركة العلمية وتأثيراتها على الحياة العلمية**	75
أولا	الجذور التاريخية للحركة العلمية بالجنوب الجزائري	75
ثانيا	الحركة العلمية بالجنوب الجزائري قبيل القرن السادس عشر الميلادي	78
الفصل الثاني	**الأوضاع العامة بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني وأثرها على الحركة العلمية**	81
أولا	**الأوضاع السياسية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	81
أ	التطلعات العثمانية نحو مناطق الجنوب الجزائري	81
ب	محاولات الإستقطاب المغربي	85
ثانيا	**الأوضاع الإقتصادية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	94

فهرس المحتويات

أ	الزراعة	94
ب	الصناعة	97
ج	التجارة	99
ثالثا	**الأوضاع الإجتماعية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	103
رابعا	**الأوضاع الدينية وأثرها على الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	107
أ	المذهب الإباضي	107
ب	المذهب المالكي	108
ت	المد الصوفي	110
▪	أثر الحركات الصوفية على الحركة العلمية	115
ث	صدى الحركة الوهابية	115
	خلاصة القسم الأول	117
القسم الثاني	**التعليم والعلوم في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	118
	تقديم	119
فصل1	**التعليم في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	120
1	مراحل التعليم	120
2	مناهج التعليم	124
3	المؤسسات التعليمية	126
أ	الكتاتيب	126
ب	المساجد	128

فهرس المحتويات

ج	الزوايا	130
4	المكتبات وخزائن المخطوطات	141
5	الإجازات العلمية	145
فصل2	**العلوم السائدة في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني**	149
أولا	**العلوم الشرعية**	149
أ	العقيدة	149
ب	علوم القرآن	151
ت	الحديث النبوي الشريف	152
ث	الفقه والأصول	153
ج	التصوف	155
ثانيا	**علوم اللغة العربية**	156
أ	النحو والصرف	157
ب	الأدب	158
ت	الشعر	159
ث	البلاغة	163
ثالثا	**العلوم الإنسانية والاجتماعية**	165
أ	التاريخ والتراجم والسير	165
ب	الجغرافية والرحلات	167
ت	الفلسفة والمنطق	168
رابعا	**العلوم التجريبية**	169
أ	الحساب	170
ب	علم الفلك	170
ت	الطب والصيدلة	171

فهرس المحتويات

	خلاصة الفصل الثاني	173
القسم الثالث	**التراث العلمي للجنوب الجزائري وعلاقة المنطقة بالمناطق والبلدان الأخرى**	174
	تقديم	175
فصل1	**أعلام الحركة العلمية بالجنوب الجزائري وتراثهم العلمي**	176
أولا	**تراجم بعض علماء توات وتراثهم العلمي**	176
أ	تراجم بعض علماء القرن 10هـ/16م	176
ب	تراجم بعض علماء القرن 11هـ/17م	180
ج	تراجم بعض علماء القرن 12هـ/18م وبداية القرن القرن 13هـ/19م	191
ثانيا	**المناظرات والمحاورات العلمية**	210
أ	بوادر المناظرات العلمية توات	211
ب	أشهر المحاورات في توات	214
ثالثا	**الرحلات**	215
أ	الرحلات الحجازية	216
ب	الرحلات العلمية	219
فصل2	**العلاقات العلمية بين الجنوب الجزائري والمناطق والبلدان الأخرى**	226
أولا	**العلاقات العلمية بين حواضر الجنوب الجزائري والحواضر العلمية الجزائرية**	228
أ	مع حاضرة تلمسان	228
ب	مع الجزائر العاصمة	230
ت	مع قسنطينة	232
ثانيا	**العلاقات العلمية بين الجنوب الجزائري الحواضر العلمية غير الجزائرية**	236
أ	**العلاقات العلمية مع حواضر المغرب الأقصى**	238

•	مع حاضرة فاس	237
•	مع حاضرة سجلماسة	244
ب	مع حواضر بلاد الساحل الإفريقي	246
ت	مع حاضرة تونس	259
ث	مع حواضر مصر	262
ج	مع طرابلس الغرب وأقاليمها	265
	خلاصة القسم الثالث	267
	خاتمة	269
	الملاحق	275
	المصادر والمراجع	293
	الفهارس	324
	فهرس الأعلام والقبائل	325
	فهرس الأماكن والبلدان	341
	فهرس المحتويات	350

ملخص الدراسة:

شهد الجنوب الجزائري في العصر الحديث ما يمكن اعتباره نهضة ثقافية علمية حضارية، مكّنته من أن يتبوّأ مكانة مرموقة بين الحواضر والمدن المتاخمة له، ساهمت في تفعيلها عوامل موازية، على غرار العامل الاقتصادي التجاري، والعامل الجغرافي الاستراتيجي. وقد تبلورت تلك الحركية بجلاء، وتجسدت بصفة خاصة ملامحها وصورها بمنطقة توات من الجنوب الجزائري، حيث تنافس ثلّة من العلماء والأعلام عطاءً واجتهاداً، وفي وفرة التآليف والتصانيف، التي شملت مختلف الفنون والعلوم، وفي تناثر المدارس والزوايا عبر ربوع وقصور المنطقة، وأيضا في مختلف العلاقات العلمية التي ربطتها مع عديد الحواضر العلمية كفاس وتنبكتو وتونس والقاهرة واسطنبول.

الكلمات المفتاحية: الجزائر – الجنوب – الصحراء الجزائرية – العلم والعلماء – العهد العثماني – توات.

The study's summary :

During the modern era, the Algerian South witnessed a great cultural, scientific, and civic revival which gave it an elevated status among the well-known leading cities at that time. This prosperity was due to many reasons such as the economic and commerce factor and the strategical geographical location. This progress was manifested clearly in the region of "Touat" in the Algerian South where many scholars and scientists were actively working and producing a plenty of different books and works in both liberal arts and sciences. In addition, many schools and "zawaya", a specific kind of schools dedicated mainly to teach Quran and Islamic teachings, were spread abundantly in the region. This period also witnessed a strong relationships and mutual cultural exchange with many other leading centres of knowledge in the neighboring countries such as "Fess", "Tunisia", "Tunbektou in Sudan", as well as "Cario" and "Istanbul".

The key words : Algeria - the South – The Algerian Desert - The Science and Scholars - The Ottoman Era – Touat.